تاريخ إيران القديم

من البداية حتى نهاية العهد الساساني

تأليف

حسن پيرنيا

مشير الدولة

ترجمة

دكتور
محمد نور الدين عبد المنعم

دكتور
السباعي محمد السباعي

مراجعة وتقديم

د. يحيى الخشاب

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م

الناشر

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ ش سيف الدين المهراني ـ الفجالة

ت: ٩٠٤٦٩٦

تاريخ إيران القديم

من البداية حتى نهاية العهد الساساني

تأليف

حسن پيرنيا

مشير الدولة

ترجمة

دكتور
محمد نور الدين عبد المنعم

دكتور
السباعي محمد السباعي

راجعه وقدم له

د. يحيى الخشاب

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

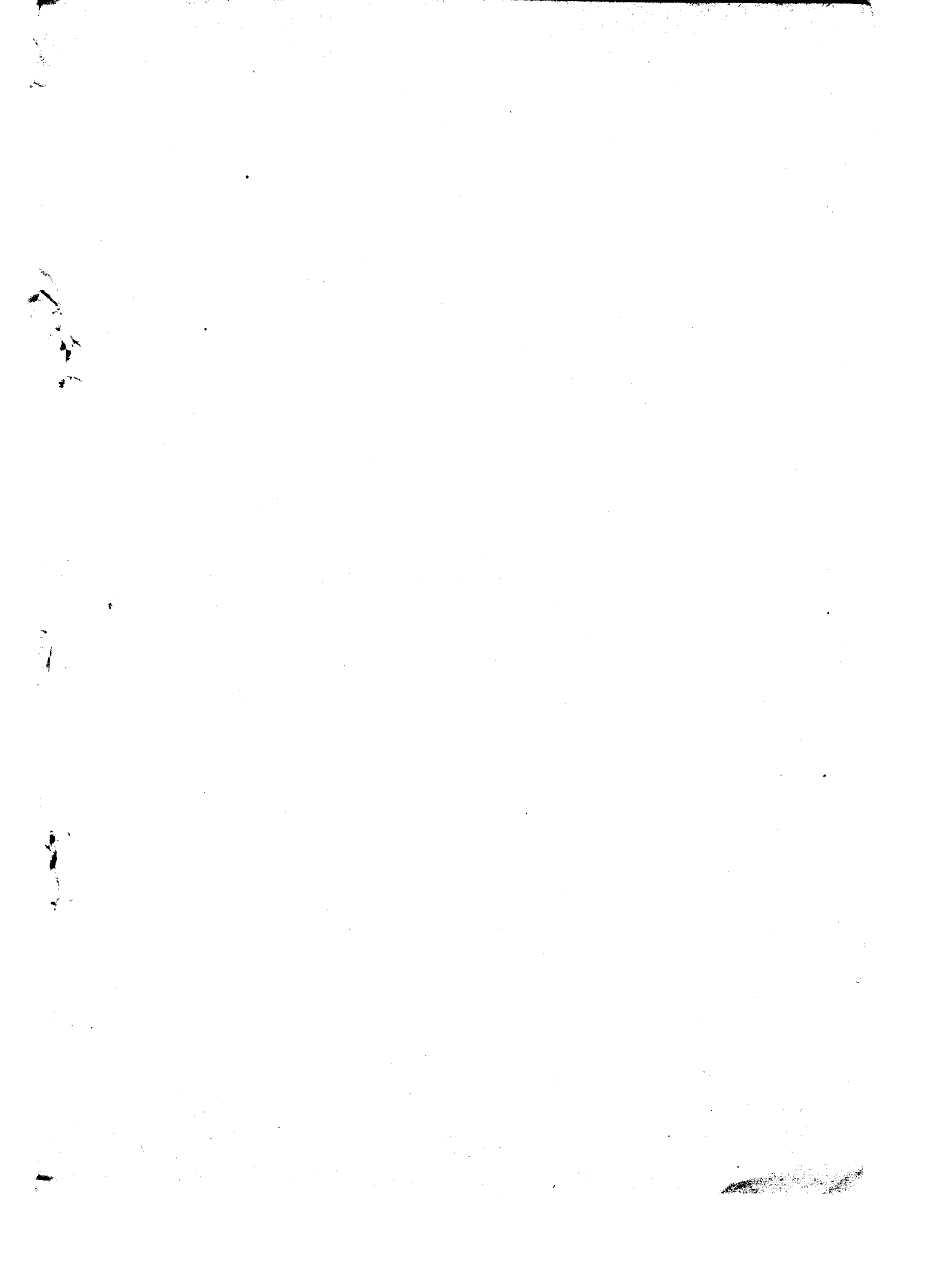
الناشر

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ ش سيف الدين المهراني - الفجالة

ت: ٩٠٤٦٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم



ملحوظة

ترجم النصف الأول من الكتاب (من ص ٥ الى ص ١٧٣)

الدكتور السباعى محمد السباعى

وترجم النصف الثانى من الكتاب (من ص ١٧٥ إلى ص ٣٥٢)

الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم

* * *

حرص المترجمان على الإبقاء على الحروف الفارسية المستخدمة فى الأعلام كما هى ، والنطق الصحيح للحروف الفارسية الغريبة عن العربية كما يلى :

١ — الحرف الفارسى پ ينطق مثل p.

٢ — « « چ « « Ch.

٣ — « « ژ « « J

٤ — « « گ « « الجيم فى اللهجة المصرية أو حرف G فى كلمة Go الإنجليزية.

٥ — حرف الواو إذا كان متحركا ينطق مثل v كما فى الكلمات : أوستاه والرين ، وره ران ، پرويز .

محتويات الكتاب

مختصر لتاريخ عيلام

أولا — من أقدم العصور حتى عام ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق . م

الموضوع | الصفحة

تاريخ آرى إيران

الباب الأول

دورة الميديين

الباب الثانى

الفترة الأولى لحكم الفرس

الموضوع الصفحة

الباب الثالث

العصر المقدوني واليوناني

الإسكندر والسلوكيون

الموضوع	الصفحة

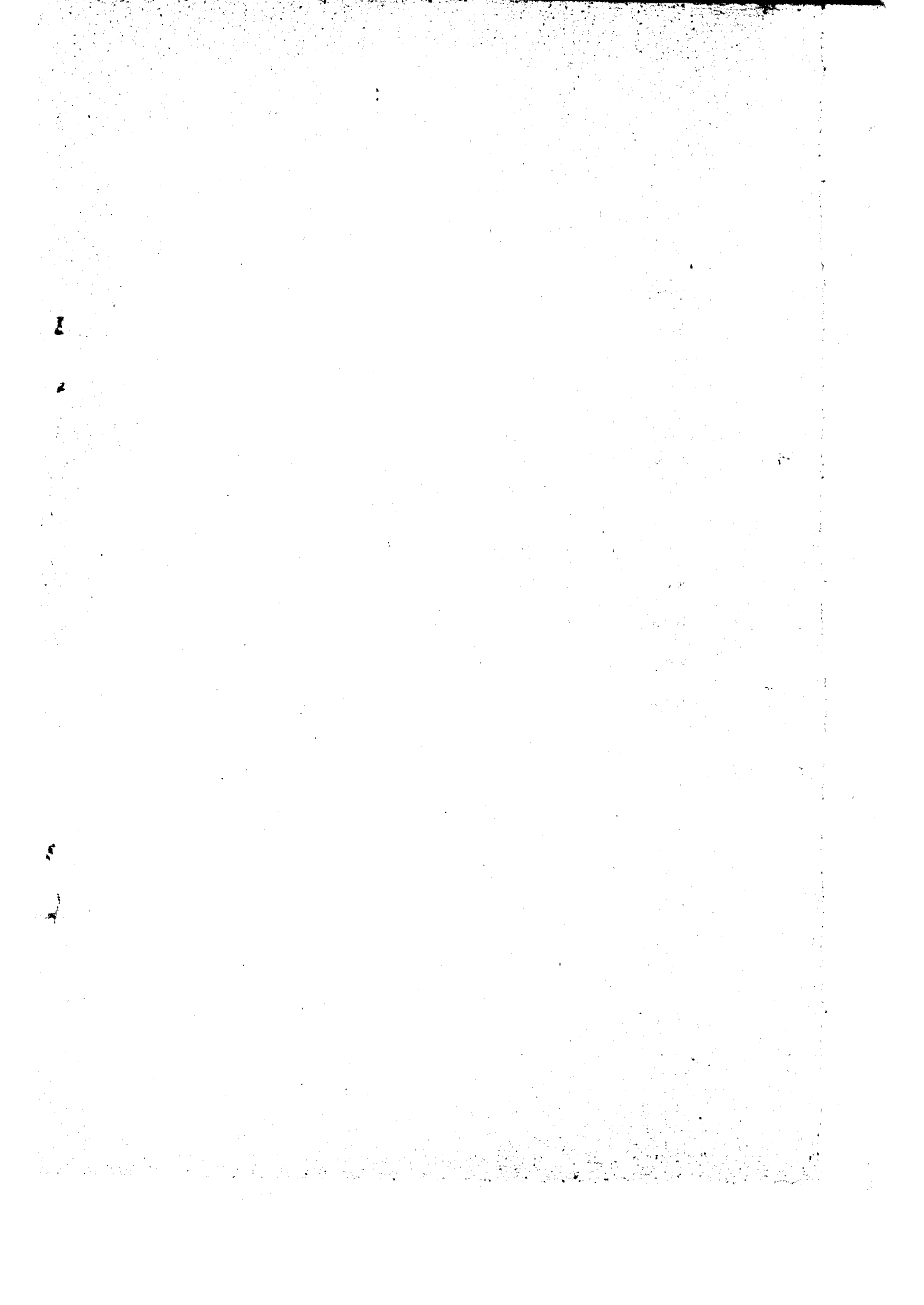
الباب الخامس

عصر البارسيين (الفرس) الثانى

الفصل الأول : الملوك الساسانيون

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يذكر أساتذة الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى أن نصيب الفرس فى الحضارة الإسلامية هو النصيب الأوفى ويستندون فى تأييد هذه القضية إلى ما ورد فى كتب التاريخ من أقوال . وحين قامت الجامعة فى مصر وبدأت بها الدراسات الإيرانية تبلور التفكير حول هذه القضية وظهرت كتب كثيرة تبين حضارة الفرس قبل الإسلام وبعده . ظهرت ترجمة البندارى العربية للشاهنامة ، وظهرت بالعربية ترجمة (إيران فى عهد الساسانيين) لكريستنسن ، وتوالى ظهور كتاب تنسر ، والحضارة الإسلامية لبارتولد وسياستنامه لنظام الملك وغيرها . واليوم تقدم بنياد فرهنگ إيران باللغة العربية ترجمة كتاب من خير ما كتب عن تاريخ إيران قبل الإسلام أو إيران القديمة ، وهو مختصر لسفر أكبر يقع فى ثلاثة أجزاء كبيرة ويشمل تاريخ إيران القديم حتى بداية العصر الساسانى ثم انضم إليه الترجمة الفارسية لكتاب كريستنسن ليصبح تاريخ إيران قبل الإسلام كاملا باللغة الفارسية ، والمختصر هذا كان البداية .

اختارت بنياد فرهنگ ايران هذا المختصر لسهولة تداوله لدى طلاب الدراسات الايرانية ولأن المتخصص فى هذه الدراسات حين يتقدم به العمر وتسرع فى هذه الدراسات خطاه يستطيع أن يرجع للسفر الكبير بلغته الفارسية ، أما فى بداية الطريق فالمختصر انفع ويلقى الضوء الكافى ليبين أن حضارة الامة لا تتوقف فى سيرها وإنما هى تمضى قدما بأصولها الثابتة ولكن فى ألوان متجددة . وحضارة إيران تؤيد هذه النظرية بوضوح ، فالدولة الإكينية قامت على أسس من العدل والرحمة وحكمت أمماً كثيرة فلم تستضعف أهلها ولم تقتل رجالها ولم تسب نساءها وظلت هذه القاعدة سارية ، والدولة الساسانية قامت على

عمادين هما وحدة الاقليم ووحدة الدين أى « على أن الدين والدنيا توأمان » وظلت هذه القاعدة سارية ، وعنى الفرس بالعلوم وحافظوا على هذا النهج وهكذا .

وحين دخل الفرس فى الاسلام دخلوه مخلصين له فجدوا فى علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ وتقويم البلدان والرحلات ثم فى الطب والرياضة وغيرهما من المواد العلمية ، وكما أن الايرانيين قبل الاسلام أخذوا عن الأمم التى فتحوها مثلما أعطوها فكذلك الايرانيون بعد الاسلام واصلوا السير فى هذا الطريق فنقلوا الكثير عن اليونانية والسريانية واستفادوا من صناعات جيرانهم وفنونهم مثلما أفادوهم .

ومؤلف الكتاب الذى نقدمه اليوم بالعربية هو حسن پيرنيا (مشير الدولة السابق) . والمؤلف رغم اشتغاله بالديوان إلا أنه فى قرارة نفسه مورخ ثبت ووطنى من هذا الصنف الذى يتأجج حبا لوطنه ويرى خدمة هذا الوطن عن طريق تدوين تاريخه . وتاريخ إيران كان محل عناية من المستشرقين الاوربيين منذ القرن الثامن عشر ووثائق هذا التاريخ تكشف بالتدريج ويترتب على هذا أن التاريخ قد يتغير فى بعض نواحيه ، فكلما جدت وثيقة كشف جانب من التاريخ . وقد درس حسن پيرنيا الكتب الأوربية وعكف على الوثائق فى دور الكتب والمتاحف وكتب هذا الكتاب الذى نقدمه بالعربية اليوم ثم رأى أن الاقبال على معرفة تاريخ إيران تفصيلاً يزداد بين المثقفين وأن الواجب يقتضى أن يسهر العالم ويدقق فى مصادره ويحقق ويكتب تاريخ أمته بقلم محايد لا عوج فيه . وهكذا ظهرت أجزاء ثلاثة فتناول تاريخ ايران حتى العصر الساسانى ، وذلك منذ نحو ثلاث وثلاثين سنة .

إننا نأمل أن يفيد طلاب الدراسات الايرانية والحضارة الاسلامية من هذه الترجمة وأن يروا فيها أصول الحضارة الايرانية التى استمرت فى ظل إيران الإسلامية لتنقل إلى العربية خير مافى التراث الفارسى من أدب وعلم وتاريخ ، هذا التراث الذى نجده فى كتب ابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة

وابن عبد ربه وغيرهم ، ثم لتنقل إلى العربية روائع التراث اليونانى من أدبه وعلوم ورياضة وطب أيام عصر المأمون وبعده . ولتكتب فى فن السياسة مثلما فعل نظام الملك والغزالى وغيرهما .

وهكذا فإن الباحث يستطيع أن يرد إلى الأصل الكثير مما يقرأ فى أمهات الكتب العربية كما يستطيع أن يرى الأخوة الإسلامية بين العرب والفرس فى ميدان الحضارة حيث لا شىء إلا العلم الخالص لوجه الله العلى القدير وحيث التعاون فى أشرف الميادين وأسماها ؟

يحيى الخشاب

مقـــدمة

جغرافية الهضبة الايرانية

يتكون القسم الاكبر من المملكة التى نسميها إيران ، من أرض واسعة تعرف فى علم الجغرافيا باسم هضبة إيران .

تشتمل هذه المملكة المترامية الأطراف على سهول واسعة ونجاد عالية ، تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب ، فتحدها من الناحية الشرقية ثلاثة من الجبال المتوازية تعرف بجبال سليمان [القوقاز] .

وتحيط بها من الشمال جبال البرز التى تطوقها كالسلسلة من الشرق إلى الغرب حيث تنفصل فى الغرب عن جبال أرمينيا ، مارة بجنوب بحر الخزر . عن طريق جبل (بابا) لتواصل امتدادها إلى بلاد الهند ، حيث تتصل بجبال هيالايا أعلى جبال العالم . وتحدها من الغرب جبال كردستان أ وزاجروس [كما يسميها الاوروبيون] ، التى تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ثم تعرج جنوبا وشرقا لتصل إلى بحر عمان .

وتتركب الجبال الجنوبية والشرقية من المواد الجيرية ، وتشاهد فى الجبال الغربية قريبا من بحيرة أورمية[1] أحجار جرانيتية . وتتركب بعض الجبال الشمالية من مواد بركانية — أى المواد المتفجرة عن باطن الأرض — مثل دماوند على مقربة من طهران وسبلان فى آذربايجان وهذه البراكين خامدة ، ساكنة الآن .

---

(١) ذكر الجغرافيون العرب وغيرهم اسم هذه البحيرة أورميه ، وسميت فى الروايات الايرانية القديمة جى جست أو جى كست .

وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها فى الجنوب ، ويقل كلما اتجهنا شمالا ، فيبلغ ارتفاعها فى كرمان ١٦٠٠ متر تقريبا ، بينما لايتجاوز فى مشهد ١٠٥٠ متر وفى تبريز ١٢٠٠ مترا .

وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية ستمائة ألفاً ومليونين كيلو متر مربع تقريبا أى خمسة وخمسون ألف فرسخ مربع ، وتشتمل إيران الحالية على حوالى ثلاثة وستين فى المائة من تلك المساحة تقريبا ، أى ما يقرب من الثلثين .

ويتبع الباقى ممالك أخرى مثل أفغانستان وبلوچستان وغيرهما ، وقد أخذ هذا الباقى فى الإنسلاخ عن إيران تدريجيا منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجرى بعد سلسلة من الأحداث التاريخية .

ويتسم مناخ إيران بالجفاف وبخاصة وسط الهضبة اذ هو صحراء يسميها أهل الجنوب لوت (ويسميها أهل الشمال كوير) ، وتعد من أكثر مناطق العالم إرتفاعا فى الحرارة ، مع إستثناء جيلان ومازندران وسواحل الخليج ، حيث تنهمر الأمطار هناك بشدة ولا تتجاوز مياه الأمطار طوال العام فى مناطق إيران الأخرى ثلاث عقد ونصف العقده حتى أربع عقد ونصف[1] .

وتهب فى شمال إيران الرياح الممطرة ، إلا أنها حين تصطدم بسلاسل جبال البرز ، لا تستطيع عبورها إلى الجنوب ، وهذا هو السبب فى هطول الأمطار بكثرة فى جيلان ومازندران ، بينما يظل الجزء الجنوبى من هذه الجبال متميزا بالجفاف .

وتهب الرياح فى إيران من ناحيتين ؛ الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية ، وتنشأ الأولى نتيجة للرياح الشديدة المنبعثة من شمال أمريكا ، حيث تعبر المحيط الأطلسى مارة ببحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) لتصل إلى البحر الأسود وآسيا الصغرى، ثم تواصل هبوبها حتى ايران والهند . وأما الثانية فتنشأ من المحيط

---

(١) العقدة : مقياس من ٢٢ الى ٢٨ سنتيمتر اى ١/١٦ من الذراع .

الهندى ، وتهب على إيران ، ولا تغير تلك الرياح اتجاهاتها لأنها مضطرة لعبور فجوات ضيقة بين سلاسل الجبال المختلفة ، ومن البـــديهى أن الجبال لا تغير أماكنها واتجاهاتها. وتهب الرياح فى بعض مناطق إيران بصورة عنيفة ومنتظمة مثل رياح المائة وعشرين يوما التى تهب على سيستان بصورة منتظمة . وتتوسط الهضبة الإيرانية صحراء يسميها أهالى الجنوب صحراء لوت .

ورغم عدم التباين الشديد بين أجزاء الهضبة الإيرانية فى الارتفاع ، حيث لا يقل ارتفاع فيها عما هو فى اعلاه عن ٦٠٩ مترا ، فإن عبور الصحراء أمر فى غاية الخطورة بالنسبة للقوافل التجارية نتيجة لمستنقعاتها وامتلائها بالرمال المتحركة . ونهر كارون هو النهر الوحيد الصالح الملاحة فى الهضبة الإيرانية وينبع هذا النهر من جبال بختيارى ، حيث يخترق منطقة خورستان ليصب فى شط العرب . وما بها من أنهار أخرى تجرى على هذا النحو :

فى الشمال آرس — سرخ رود أو قول اوزن — [النهر الأحمر] — [الذى يسمونه بعد اتصاله بشاهرود : سفيدرود (النهر الأبيض) — واترك ، وتصب هذه الأنهار الثلاثة فى بحر الخزر . وفى اصفهان نهر زاينده رود الذى يتلاشى فى المستنقعات .

وفى الناحية الشرقية مرغاب وهريرود اللذان يجريان فى صحراء التركمان ، وفى سيستان نهر هيلمند (او هيرمند) . وفى الشمال الشرق من الهضبة ينبع نهر جيحون من بدخشان ويصب فى بحر آرال[1] .

---

(١) كان هذا النهر يصب فى بحر الخزر فى عهـــد الاسكندر · وكانت السفن التجارية تبحر من نهر جيحون الى هذا البحر ، وعن هذا الطريق يسير الى نهـــر كوروش أو كوراى الحالى (نهر الكر) ثم غير هذا النهر مجراه ليصب فى بحر ارال· وابان الغزو المغولى عام ١٢٢٠ م لتخريب مدينة أركنج عاصمة خوارزم حولوا مجرى النهر الى هذه المدينة ونتيجة لذلك عاد مجرى نهر جيحون مجراه السابق· وظل على هذا النحو ثلاثة قرون ثم غير مجراه مرة أخرى ليصب فى بحر الارال وهو على هـــذا الان ·

وتوجد فى الهضبة الإيرانية عدة بحيرات ، يعتبرها علماء الجيولوجيا بقايا بحر كان يغطى الجزء الأكبر من هذه الهضبة ، وهذه البحيرات هى : فى القسم الشمالى والغربى من الهضبة والمناطق المجاورة : توجد بحيرة أورمية فى الناحية الغربية من أذربايجان ، وبحيرة وان فى تركيا على بعد خمسة عشر فرسخا من الحدود الايرانية ، وبحيرة كى چاى فى القفقاز ، واهم تلك البحيرات بحيرة اورميه التى يصل عمقها إلى خمسة عشر ذراعا ومياهها شديدة الملوحة ، وتقع على ارتفاع ألف متر من سطح المحيط (أى البحر المرتبط بالمحيط مثل الخليج وغيره) وتوجد فى مقاطعة فارس بحيرتان : مهارلو ونيريز ،وفى سيستان بحيرة هامون التى تصب ما يتبقى فيها من مياه الأمطار فى منخفض زره ، وفى كرمان هامون أخرى تعرف بنمك زار(يذكرها بعض الباحثين باسم بحيرة جزمريان) ويصب نهرا بمپور وهليل الصغيران فى هذه البحيرة (هامون) ، وتوجد بحيرة قم او حوض سلطان بين طهران وقم .

سبق القول بأن الهضبة الايرانية يحدها من الناحية الشمالية بحر الخزر ، وقد سمى بهذا الاسم نسبة الى الاقوام التى استوطنت الشاطىء الشمالى الغربى من هذا البحر لقرون عديدة وكانت تعرف باسم الخزر[1] ، ويمكن تقسيم عمق هذا البحر إلى ثلاثة أقسام أكثره عمقا فى الناحية الجنوبية منه بينما يقل العمق كثيرا فى الناحية الشمالية ، حيث يصب نهر اديل (فلجا) الكبير فى هذا البحر[2] ، ويقل سطح البحر عن سطح البحر المحيط ٢٦ متراً ، وكما ثبت بالتجربة فإنه دائم الانخفاض ، ويعللون ذلك بشدة الحرارة خلال فصول الصيف ، والتبخير المستمر للمياه فيه .

ويحد الهضبة الإيرانية من الناحية الجنوبية الخليج وبحر عمان ، وهذا

---

(١) يطلق الاوروبيون عليه اسم كاسبين اشتقاقا من اسم سكان غرب ايران المعروفين باسم (كاس سو) التى تكون فى صيغة الجمع (كاسپت) ويسميه الجغرافيون العرب قزوين .

(٢) عمق بحر الخزر فى الشمال ٤٠ مترا وفى الجنوب ٩٥٠ مترا .

الخليج من أكثر بقاع العالم حرارة ، ويفصل الجزيرة العربية عن إيران ويتصل ببحر عمان عبر مضيق هرمز ؛ حيث يرتبط بمناطق العالم المختلفة عن طريقه . ويصب شط العرب فى هذا الخليج ، وترتبط ارتباطا تاريخيا وثيقا بهذا الخليج شعوب العالم القديم كالسومريين والأكاديين والعلاميين والكلدانيين والفرس والعرب ، وشاهدت شواطئه ما غبر من الحضارات القديمة . ويضم هذا الخليج الكثير من الجزر أكبرها قشم والبحرين .

وفى الهضبة الإيرانية الكثير من المعادن مثل النحاس والحديد والرصاص والفحم الحجرى والمرمر والطين الأحمر (مغره) والفيروز وغير ذلك ، وكذلك كشف عن الذهب ، ويقول علماء الجيولوجيا أن الهضبة الإيرانية تسبح فوق بحر من النفط ، ونظرا لأن عملية استخراج المعادن والاستفاده منها لم تستكمل حتى الآن[1] فإن غالبية ما تغله الأرض يعتمد على الزراعة ، وتعتمد الزراعة فى بعض مناطق إيران على الرى (رى الحياض) نظرا لنقص مياه الأمطار ونوع المناخ ، إلا أن الزراعة الدائمة غالبة فى كثير من المناطق ، والمنطقتان الشمالية والغربية من الهضبة الإيرانية أكثر غنى فى محصولاتها الزراعية من المنطقتين الوسطى والشرقية ، ولعل السبب فى ذلك وجود بحر الخزر فى الشمال حتى سلسلة جبال البرز وتأثير بحر الغرب فى المغرب ، هو وإن كان ضعيفا فى فلات إيران ، إلا أنه يحدث تأثيراً فى بعض مناطق الناحية الغربية وتزداد خصوبة الأرض ويشتد عود النباتات فى الأماكن ذات المياه الوفيرة والوديان وتربة الوديان والسفوح رسوبية ، وذلك من الطمى الذى يتخلف عن السيول والأنهار السطحية فإذا تعمقنا تحت سطح الأرض قليلا فاننا نصادف حجارة ورملا ورمالا ناعمة .

---

(٢) كان هذا قبل اكتشاف النفط فى ايران الذى تزايد بمرور الأعوام حتى وصل الانتاج اليومى عام ١٩٧٥ = ٢٥٣٣ شاهنشاهى ٥ر٣٤٩ر٤٧٨ برميل يوميا — المترجم —
ارجع الى تحولات صنعت نفت در دوران شاهنشاهى بهلوى ٢٥٣٥ شاهنشاهى

(١) كذلك فان العمل على استخراج ما فى أرض ايران من المعادن يجرى على قدم وساق فى العهد الحاضر وتفيد منه ايران فائدة عظمى .

وعلى الرغم من أن العرض الجغرافى للهضبة الإيرانية يتراوح بين خطى ٢٤ واثنين واربعين شمالا ، وان هذا العرض لا يؤدى إلى اختلاف بين فى مناخ مناطقها المختلفة ، إلا أن تفاوت الارتفاع بينها والمناطق الملاصقة لشواطىء البحار والبحيرات ، وسفوح الجبال والمناطق المجاورة للصحراء قد أدى إلى وجود اختلاف كبير بين تلك المناطق فى المنـــاخ داخل الهضبة . ولذا فإن الاشجار تنبت والورود والرياحين فى إيران كلها .

وطرق التجارة والاتصال الحالية الموجودة فى إيران هى التى كانت موجودة فى إيران القديمة[١] ، نذكر بعضها لاهميتها التاريخية : الطريق الممتد من بلاد مابين النهرين حتى الهضبة الايرانية حيث يبدأ من المكان الذى سمى بعد ذلك سلوكية والقريب من بغداد الحالية ، ثم يعبر نهر دجلة إلى وادى دياله ليصل الى أرتى ميتا قرب قزل رباط الحالية لينتهى عند مدينة شالا حاضرة حلوان[٢] ، ثم يبدأ صعوده بعد ذلك إلى الهضبة الإيرانية ،ويستمر هذا الطريق فى امتداده عابرا جبال زاجروس وكامبادين Kamb dene اوكرمانشاه الحالية تقريبا ليصل إلى وادى بلند كرخه، ثم يعبر كنگاور (كنكبار القديمة) لينتهى إلى همدان وترتبط همدان بشوش والمدن الآخرى بكثير من الطرق .

ومن الطرق الأخرى الجديرة بالذكر كذلك الطرق الممتدة من الهضبة الايرانية حتى الهند ، احداها الطريق التى تبدأ من وادى كابل إلى پيشاور — عبر جبال سليمان — فى وادى السند ،والطريق الآخرى أقصر من الأولى وتعبر ممر خيبر ، وقد سلك فاتحو الهند وكذلك نادر شاه هذه الطريق .

وأخر هذه الطرق الطريق التى تربط افغانستان الحالية بوادى آمويه (جيحون) والطريق الذى يحتل اهمية كبرى حاليا هو الذى يبدأ من باميان وبلخ ويمتد مخترقا جبال هندوكش ليصل إلى الوادى المشار اليه .

---

(١) وكما قلنا فهذا الكلام قبل النهضة الحالية التى بدأت فى عصر الشاهنشاه رضا بهلوى الكبير ثم تطورت الى غاية المجد فى عهد الشاهنشاه همايون آريا مهر .

(٢) حلوان ، احدى القلاع فى جبال كردستان على مقربة من كركوك .

وطرق إيران الممتدة من الرى إلى آذربايجان وجيلان وخراسان وأصفهان ومن خراسان إلى آسيا الوسطى ومن بندر عباس (كمرون العهد القديم) إلى شيراز ومن الرى عن طريق دامغان إلى طبرستان وجرجان كانت كلها فى القديم كما هى حاليا ليس معلوما عدد سكان الهضبة الايرانية فى الأزمنة القديمة، وحتى الآن لم يجر احصاء وتعداد عام ، ويظن أن تعداد إيران وأفغانستان وبلوچستان يصل إلى سبعة عشر مليونا[١] .

وسنترك الناحية الجغرافية التى لا تتصل بالتاريخ ، إلا أننا يجب أن نشير إلى هذه النقطة لما لها من أهمية تاريخية ، فالهضبة الإيرانية جسر يربط بين الاجزاء الشرقية والغربية من آسيا ، وقد أكسب هذا الموقع إيران أهمية خاصه عبر التاريخ ، فقد كانت إيران الطريق الوحيدة لربط أجزاء آسيا مع بعضها البعض وكذلك ربطها بممالك بحر المغوب وأوروبا فى الأزمنة التى لم يكن عبور البحار فيها سهلا ممكنا ، كما أن موقع إيران فى الطرق الاربع للعالم القديم جعلها ملتقى لكثير من الشعوب والأجناس . وكان لهذا الموقع الجغرفى كثير من النتائج نتتبعها عبر التاريخ كما سيلى :

(١) كان هذا وقت تاليف الكتاب أما الان فان سكان ايران ٣٠ مليونا .

الأجناس ـ الجنس الابيض ـ الشعوب الهند وأوربية

يتضح من علم الاجناس أن سكان الكرة الارضية ينقسمون من حيث الجنس إلى خمسة أقسام :

١ ـ الجنس الابيض .

٢ ـ الجنس الاصفر .

٣ ـ الجنس الاحمر .

٤ ـ الجنس الاسود .

٥ ـ الجنس (ماله) اليولونيزى .

والاجناس الثلاثة الاخيرة لا ترتبط بموضوع كتابنا هذا . ويسمى بعض الباحثين الجنس الاصفر باسم الجنس المغولى . ويتفق أكثرية هؤلاء المحققين على تقسيم هذا الجنس ثلاثة أقسام : الصين والتبت ، المغول والمانجو ، الترك والتتار . ويسكن أكثر سكان هذا الجنس فى آسيا الشرقية وسيبيريا وآسيا الوسطى ، بينما اختار بعضهم الإقامة فى آسيا الغربية وأوروبا مثل سكان القفقاس وتاتار القرم والاتراك والمجريين الفنلنديين وغيرهم .

وقسم المحققون الجنس الابيض ثلاثة أقسام كذلك : الهند وأوروبى والسامى والحامى . وكما تذكر التوراة ، فإن الحاميين ينتسبون إلى حام بن نوح عليه السلام . ويختلف المحققون فى موطن إقامتهم ، فبينما يرى بعضهم أن موطنهم الاصلى بابل أو إحدى المناطق فى آسيا الغربية . ويعتقدون أنهم هاجروا من آسيا إلى أفريقيا ، واختاروا مصر وليبيا وغيرهما مقرا لهم . ولكن المستشرق المعروف نولدكه يعتقد أن موطنهم الاصلى هو الشمال الشرقى من أفريقيا ، لانهم أقرب فى الشكل والقيافة من الجنس الافريقى الاسود .

ويعتقد أكثر المحققين أن المصريين القدماء (القبط) وكذلك برابرة ليبيا والأحباش من الحاميين . وقد اختلط الحاميون مع الأجناس الأخرى .

ويكون الساميون أحد فروع الجنس الأبيض الكبرى ، ويسكن أكثرهم فى شبه الجزيرة العربية ، وبين النهرين ، والشام ، وأفريقيا الشمالية والشمالية الشرقية . وتفرقت شعبة منهم وهم بنو إسرائيل فى مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا .

أما الشعوب السامية فى العهد القديم فهى الكلدانيون ، الآشوريون ، الفينيقيون، بنو إسرائيل ويهودا والآراميون والعرب . وتعتبر التوراة الفينيقيين من الحاميين ، بينما يعتبرهم أكثر الدارسين من الساميين . ولغة هؤلاء الأقوام متقاربة غاية التقارب ، فكما تذكر التـــوراة فإن بنى إسرائيل عام ١٥٠٠ ق . م . كانوا يفهمون العربيه دون حاجة إلى مترجم .

أما الشعوب الهند وأوروبية — كما يتضح من اسمها — فيقيمون فى بلاد الهند حتى أقصى البلاد الأوروبية . أى أن سكان أوروبا جميعاً من هذا الجنس عدا أقلية من الاجناس الاخرى . ويقطن آسيا فقط الهند وأوروبيون والإيرانيون بمعنى أعم (أى المواطنون الذين تشعبوا عن الفرع الإيرانى الآرى) والأرامنة .

ويمكن تقسيم الشعوب الهند وأوربيـــة طبقاً للمقاييس العلمية إلى ثمانى شعب :

١ — الآريون .

٢ — اليونان والمقدونيين .

٣ — الأرمن .

٤ — الالبان (فى شبه جزيرة البلقان — ويسمونهم الارناؤود) .

٥ — الإيطاليون .

٦ — السلت (سكان أقطار أوروبا الغربية) .

٧ — الجرمان (الالمان والانجلو ساكسون وغيرهما) .

٨ — الليتوانيون والسلاف .

وقد أثبتت الابحاث التى أجريت على لغات هذه الشعب الثمانية ودياناتها وقصصها وأساطيرها قبل التاريخ ، أن أهلها كانوا يعيشون فى مكان واحد قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة ، ثم تفرقوا بعد ذلك إلى جهة غير معلومة ، اضيق المكان عليهم لزيادة عددهم، وتفرقت كل شعبة منهم إلى مكان آخر. ولا يمكن معرفة وقت افتراق هؤلاء الاقوام على وجه الدقة واليقين. ولكن المحققين ، يتصورون إمكان حدوث هذا الانقسام والتفرق ، مابين عامى ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ ق . م . ويختلف الباحثون حول الموطن الاصلى للسكان الهندواوربيين ، فكانوا يعتقدون أنهم كانوا يقطنون آسيا الوسطى فى بداية الامر ، ثم غيرت الابحاث والحفريات المتقدمة هذا الرأى إلى القول بأنهم استوطنوا سواحل نهر أديل (الفولجا) . ثم قيل أنهم سكنوا سواحل بحر البلطيق . ولكن الرأى السائد القوى الآن هو أنهم كانوا يقيمون فى إحدى المناطق الشمالية من أوروبا ، وأن هذا المكان على مايبدو هو شبه جزيرة اسكندناوه التى يجب التحقيق فيها .

(الآريون .الشعبة الإيرانية)

الآريون ، كما سبق القول ، فرع من الشعوب الهندوأوربية . وطبقاً للتحقيقات المتعلقة بالشعوب الهندوأوربية يتضح أن الشعبة الآرية هى الشعبة الاولى . لان آثارها التاريخية والادبية تبدأ من القرن الرابع عشر ق . م ، فى حين أن الآثار اليونانية والإيطالية أكثر جدة منها ، والآثار الادبيه للشعب الخمس الاخرى أحدث بكثير من اليونانية والإيطالية .

اتجه الآريون بعد انفصالهم عن الشعوب الهند وأوربية إلى الجنوب ، حيث أنقسموا إلى الشعب التالية : الشعبة الهندية - الشعبة الإيرانية - الشعبة السكائية[١].

وليس بين يدى الباحثين معلومات كثيرة ومحققة عن أحوال الشعوب الآرية إبان عصور ماقبل التاريخ . وعلى الرغم من هذا ، فقد برز من أبحاث المحققين الأسئلة التالية : متى انفصل الآريون عن سائر الشعوب الهند وأوربية ؟ وأين كانوا بعـــد الانفصال ، وهل كانوا يعيشون جميعاً أم عاشوا متفرقين ؟

وفيما يتعلق بالسؤال الاول ، يعتقد المحققون أنهم لا يستطيعون تحديد تاريخ معين لهذا الانفصال ، ولكن يمكن القول طبقاً للمقاييس العلمية إن انفصال الآريين عن بقية الشعوب الهند وأوربية ، يجب أن يكون فى حدود الألف الثالث ق . م .[٢] . وفيما يتعلق بالسؤال الثانى والثالث ، معلوم أن أكثر الآريين الهند وإيرانيين هاجر إلى آسيا الوسطى ، حيث عاشوا هناك ردحاً من الزمن أما فيما يختص بموطن اقامتهم ، فبين العلماء اختلاف ، ولكن غالبيتهم متفقة الآن على أنهم كانوا يعيشون بين نهرى سيحون وجيحون أى فى بلاد ماوراء النهر .

---

(١) ذكر دارا هذه الشعبة فى نقشه باسم (السك) و (سكا) وكلاهما صحيح ، وطبقا لما يرويه كريستنسن فهم من الايرانيين الشماليين ، لان لغتهم من اللغات او اللهجات الايرانية الشمالية .

(٢) لان تاريخ سطر الكتاب الهندى المقدس يرقى الى سنة ١٤٠ ق.م، ولا جدال فى أن لغة الاريين فى ذلك الوقت لم تكن واحدة والا لكان هذا الكتاب بلغة مشتركة. ولكى نصل الى الوقت الذى كانت فيه للاريين لغة واحدة ، وفقا لرأى علماء الفليلوجيا، فانا نعود الى الوراء الف سنة ، وعلى هذا نقول انه كان للاريين لغة مشتركة عام ٢٤٠٠ ق.م. ، ومن ناحية اخرى فان فترة تحدث الاريين بلغة واحدة كانت مديدة اذ يلزم انقضاء قرون حتى تتبدل لهجة من اللغة الاصلية الى لغة فرعية ، ثم انه يبدو من دراسة الحضارة الارية مقارنة بالحضارة الاوربية أن عدة قرون لازمة لحـــدوث هذه الظاهرة وثباتها .

والمعلومات الخاصة بالسكا جد قليلة ، لأنه ليس بين يدى الباحثين آثار أدبية لهم . وتنحصر هذه المعلومات فيما يمكن استنباطه من النقوش الإيرانية القديمة وكتابات المؤرخين اليونان والحفريات التى أجريت فى مقابرهم . وسوف نذكر من بين الموضوعات التى تتصل بالأزمنة التاريخية لاتصالها بها ، وحتى يعين ذلك ، يجب العلم بأنهم كانوا رجالا أقوياء مسلحين ، يسكنون الصحارى ، وأنهم كانوا ينتشرون فى الأزمنة التاريخية من وسط آسيا حتى نهر الدانوب . وسوف نكرر الاشارة إلى هذه الأقوام من السكا عبر تاريخ إيران القديم .

هاجر آريو الهند وإيران من آسيا الوسطى بعد أن عاشوا معاً زمناً ، ثم اتجهوا غرباً ، ومن ثم اتجهت الشعبة الهندية إلى الهند وكوش ، وانتشروا فى البنجاب فى الهند . وعطفت الشعبة الايرانية إلى الجنوب والغرب وانتشروا فى الفلات الإيرانية[1] .

ومن هنا يتضح أن إسم إيران مشتق من إسم هؤلاء الاقوام ، لأنهم كانوا يسمون أنفسهم آريا أى النجيب أو الوفى ، وكان اسم إيران فيما مضى آيران ، ثم تحرف إلى أيران وإيران وايران .

قدوم الآريين إلى الهضبة الإيرانية

لا يعرف سبب مجىء الآريين إلى هضبة إيران ، وتسمى الاوستا الموطن الأصلى للآريين بآيران واج أو مملكة الآريين . وتذكر أنها كانت مملكة غنية بالمياه العذبة والمناخ الجيد ، ذات أراض خصبة . ولكن الارواح الشريرة أحالت أرضها برداً مرة واحدة ، ولما ضنت أرضها بالقوت على أهلها ، بدأت الهجرات منها .

وليس معلوماً على وجه الدقة ما المقصود من كلمة آيران واج ، هل هو المسكن الأصلى للآريين قبل انفصالهم عن الشعوب الهند وأوربية ، أم هو مسكنهم إبان اقامتهم مع الهنود ؟

(١) ويرى بعض المحققين أن آريى الهند نزحوا من پامير الى الهند .

على أية حال ، يمكن القول بأن السبب فى تلك الهجرة ، يرجع إلى ازدياد السكان وضيق المجال ، أما عن تاريخ وفادتهم إلى إيران ، فبعض العلماء كان يعتقد فيما مضى أن ذلك التاريخ يرجع إلى حدود ألفى سنة ق.م ، لأننا نصادف فى تاريخ عيلام — الذى سيأتى — قوماً يظن أنه كان من الآريين .

ولكن قوى الاعتقاد أخيراً بأن تلك الهجرة قد بدأت فى القرن الرابع عشر (ق . م) واستمرت حتى القرن الثامن ق . م .

وفيما يتعلق بكيفية انتشار الآريين بعد وصولهم إلى الهضبة الايرانية ، يلزم القول بأن الأوستا قد ذكرت أسماء ست عشرة مملكة منها إسم واحد لا يعرف مكانه ، ومن الخمس عشرة الباقية ذكرت (آيران واج) ومملكتين أخريين صفحة ألبرز وبنجاب الهند .

ومن هنا يستنبط بعض الدارسين أن هذه الممالك أو الولايات تحدد خط سير الآريين وانتشارهم . وعلى هذا فان خط سيرهم وانتشارهم هو على النحو التالى : انتقل آريو ايران من الصغد إلى مرو ، ثم استوطنوا هراة ونيسايه وكابل ، وتوجهوا بعد ذلك إلى ناحية رخج وهيلمند .

وحينما بلغوا بحيرة زرنگ (بحيرة سيستان) ، وكانت فيما مضى أكبر مما هى الآن ، لم يتجاوزوها إلى الطرف الآخر ، لأنه يبدأ فى الطرف الجنوبى منها أراضى بلوچستان ومكران الحالية ، وهى أراض لم تجذب الآريين لجفافها وشدة حرارتها ، ولهذا فقد اتجهوا غربا بعد اقامتهم فى سيستان ، واستوطنوا الولاية الجنوبية من خراسان ، وسفوح دماوند والرى ثم انساحوا إلى بلاد ايران الأخرى .

وفيما يتعلق بأى الشعوب كانت تعيش فى ايران قبل وفود الآريين ، فان رأى المحققين هو أن شعباً يسمى (كاس سو) كان يقطن غرب ايران ، ولا يعرف إلى أى جنس كان ينتمى . وكان يسكن مازندران الحالية التپوريون(١)

(١) وطبرستان من تبورستان .

أما فى الجنوب الغربى فكان يقيم العيلاميون الذين سنقف على مجريات تاريخهم .

وفيما يخص الأجزاء الباقية من إيران ، فتختلف الآراء ، إذ يعتقد بعض الباحثين أن سواحل الخليج وعمان كان يقطنها بعض الأحباش أو جماعات من السود . ويعتقد آخرون أن جميع سكان هضبة إيران والقفقاز وأوروبا الجنوبية ، فى الأزمنة القديمة كانت تتكون عن عناصر سوداء أو عناصر لم تكن بذى وسامة .

على أية حال ، وقتما قدم الآريون الهضبة الإيرانية وجدوا فيها قوماً أقل منهم من حيث الشكل والعنصر والعادات والأخلاق والمذاهب . لأن الآريين كانوا يسمون السكان الوطنيين باسم ديوياتور .

يضاف إلى ذلك الآثار التى عثر عليها فى منطقة مازندران التى يرجع تاريخها إلى زمن قديم ، وتؤكد صحة هذا الاستنتاج وهو أن سلوك الآريين مع هؤلاء الوطنيين كان سلوك الغالب مع المغلوب ، سيما أن الآريين كانوا يعتبرونهم أقل منهم درجة . ولذا فلم يعترفوا لهم بأى حق فى بداية الأمر ، بل كانوا فى حرب وصراع دائمين معهم ، فكانوا يقتلونهم حيث وجدوهم .

ولكن حينما ضعفت شوكة هؤلاء الوطنيين ، وتخلى الآريون عن الأعمال الشاقة كالزراعة وتربية الحشم والخدم فى عائلاتهم ، القوا هذا العبء على كاهل الوطنيين ، وصارت لهم حقوق ، كحقوق العبيد والإماء الذين كانوا يعيشون تحت حماية أسيادهم .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الإمتزاج بين الآريين والسكان الأصليين . ويمكن استنباط طريقة إستقرار الآريين فى إيران مما روته بعض القصص الإيرانى القديم ، وإلى حـــد ما كذلك من مقارنة أسلوب هجرة واستقرار سائر الشعوب الهند وأوربية فى البلاد المختلفة .

لم يأت الآريون إلى ايران للسلب والنهب والعدوان ، بل كانوا يودون

الإستقرار فى تلك المنطقة ولذلك فقد كان يتحتم عليهم إنتزاع الأراضى من الوطنيين ، حيثما وصلوا تحقيقاً لهدفهم الأصلى . وكانوا يبنون قلعة بعد كل حرب مع السكان . وكانوا يقسمون داخل القلعة قسمين : قسما يخصص لمساكن العائلات ، وآخر لسكنى الخدم . وكانوا يضرمون النار فى فنائها وحواليها لتحقيق هدفين : أولهما أن تستفيد العائلات منها ، وثانيهما يتمثل فى أنه إذا حاول الوطنيون الاغارة ليلا ، فان حراس النار كانوا يركونها حتى يخرج أهل القلعة للقتال ، ويصدون المعتدين عن أطراف القلعة ، ثم تحولت تلك القلاع بعد ذاك إلى قرى ومدن[1] .

---

(١) يعتقد بعض الباحثين ان بناء مدينتى شخرة والرى كان نتيجة لذلك .

مذهب الآريين وأخلاقهم

عقائد آريى ايران: تجدر الإشارة بأن عقيدتهم وعقيدة الهنود كانت واحدة زمنا طويلا . ذلك أنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة ، ولكن حدث اختلاف فى العقيدة بينهما بعد ذلك بعد عدة قرون . وليس معلوماً على وجه الدقة متى بدأ هذا الإنفصال أو ذلك الإختلاف ، ولكن يستفاد من النقش الذى عثر عليه فى بوغاز (كـ أى) فى آسيا الصغرى ، والذى يرجع تاريخه إلى عام ١٣٥٠ ق . م أن الإنفصال لم يكن قد حدث قبل ذلك التاريخ . فقد ورد فيه أن نجباء الميتانيين ، وكانوا آريين . كانوا يقسمون بالآلهة الهندية . وحيث أن تاريخ تدوين الويدا كتاب الهنود المقدس لا يمكن أن يعود إلى ماقبل القرن الرابع عشر ، ولا يمكن فى الوقت ذاته أن يتأخر عن القرن الثامن ، لذا يمكن القول بأن تاريخ الانفصال يجب أن ينحصر بين القرنين التاسع والرابع عشر .

أما فيما يختص بما هية آريى ايران وعقيدتهم ، فيتضح من أبحاث المحققين فى الديانات الهندية ، ومقارنة ماتوصلوا إليه من نتائج ، مع ماوصل اليه الباحثون فى الأوستا كتاب زردشت المقدس ، أنهم كانوا يعتقدون بوجود أرواح عديدة خيرة وطيبة تهب الإنسان الكنوز وذخائر الطبيعة ، ومن بين تلك الذخائر وأهمها النور والغيث . وكانوا يعتقدون كذلك بوجود أرواح شريرة مظلمة ، تتصارع والأرواح الخيرة ، ولا تريد أن يكون الإنسان سعيدا ، وكانوا يعدون الليل والشتاء والسنوات العجاف والقحط والأمراض والموت والبلايا من الأرواح الشريرة . ويتضح كذلك أنهم كانوا يعبدون الأرواح الأولى ، ويسبحون بحمدها ويلهجون بالثناء عليها ، ويبدون لها الخضوع . فى حين أنهم كانوا يعدون الأرواح الشريرة عدواً لهم ، فكانوا يتوسلون بقراءة الأوراد حماية من شرورها ، وأصبحت تلك الأوراد سببا فى انتشار السحر والشعوذة بعد ذلك ، وثار زردشت على تلك الخرافات .

ويعتقد بعض الباحثين أن عبادة ورثرغنا[1] إله الرعد ، وميثر إله الشمس قد دخلت عقيدة آريى ايران منذ ذلك التاريخ . وكانوا يعتبرون الشمس عين السماء والرعد ابنها . وبعبارة أخرى يجب القول إن آريى ايران كانوا يعبدون العناصر كآريى الهند . ثم ترقوا فى معتقداتهم ، حتى وصلوا إلى مرحلة التوحيد.

أما متى حدث هذا الارتقاء ، فليس معلوماً . ولكن ما يجب معرفته هو أن رقى آريى ايران كان أسرع من رقى آريى الهند ، ومع ظهور زردشت رسخت عبادة الإله الواحد ، كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه .

وحينما قدم آريو ايران إلى ايران ، كانوا أقل حضارة من جيرانهم البابليين والآشوريين فاقتبسوا منهم ، كما سيلى — أشياء كثيرة ، ولكنهم كانوا أكثر رقيا منهم فى الأخلاق ، لأن معتقداتهم المذهبية كانت تحضهم على السعى والعمل مع التحلى بالإخلاص والصدق . ويعتبر الايرانيون القدماء الكذب أحد كبار الأرواح الشريرة .

الأسرة — الطبقات — شكل الحكومة :

تقوم الأسرة على السلطة الأبوية أو أكبر أفرادها ، ومع حرمان الزوجة من الحرية بالنسبة لزوجها إلا أنها كانت تعتبر ربة المنزل . وعلى العموم فإن ما يلفت النظر أن منزلة المرأة عند آريى ايران كانت أفضل مما كانت عليه عند الشعوب الأخرى . وكان الأولاد يتبعون الأب تبعية محضة .

وكان رئيس الأسرة فى العهود الموغلة فى القدم هو القاضى والقائم بآداب العقائد والمشرف على تنفيذها فى آن واحد . لأن الطقوس الدينية كانت بسيطة ولم يكن لرجال الدين وجود . ومن الواجبات الحتمية الملقاة على عاتق رئيس العائلة الإشراف على أتون المنزل حتى تظل ناره مستعرة لا تنطفىء . وكان أتون الأسرة موضع الاحترام .

---

(١) ورثرغنا صارت ورهران ثم صارت بهرام . مثير (ميتر) اصبحت مهر .

والطبقات كما يتضح من الاوستا ثلاث : رجال الدين — رجال الحرب — الزراع . ولكن لم يكن لرجال الدين وجود في العهود الموغلة في القدم ، وكان اجراء الطقوس الدينية وتقديم القرابين من المهام التي كلف بهـا رؤساء العائلات .

نظام الحكم :

كان نظام الحكم يقوم على أساس ملوك الطوائف ، فكان يتكون الفخذ أو البطن من عدة أسر وسكنها القرية ، التي كان يطلق عليها (ويس) .

وتتكون القبيلة أو العشيرة من عدة أفخاذ ومحل اقامتهـا هو البلوك (الناحية) التي كان يطلق عليها آنذاك (كنو) . وتشكل عدة عشائر القوم أو الشعب ومحل اقامته الولاية التي كان يطلق عليها (ده يو) . وينتخب رؤساء العائلات رئيس الفخذ ؛ وينتخب رؤساء الأفخاذ رئيس القبيلة .

وكان رئيس القوم أو الولاية يتم بالتعيين في بادىء الامر ، ثم زادت صلاحياته وسلطاته بعد أن أصبحت قيادة الجيش إبان المعارك منوطة به ، ولكن لم يؤد إلى تقلص سلطات رؤساء العائلات أو رؤساء الأفخاذ تقلصا تاما .

وكان رئيس البطن أو الفخذ يسمى ويس ريت ، ورئيس القوم أو الولاية ده يويت ، وكان الحاكم الذي يخضع له عدة شعوب أو ولايات يلقب بالملك الكبير . وكان لقب (ده يويت ها) يطلق في الواقع على الملوك الصغار الذين كانوا في منزلة التابعين والولاة بالنسبة للملك الكبير ، وكان يجب عليهم أن يقدموا له الهدايا ، وأن يدفعوا له الجزية ، ويعدوا له الجيوش أثناء الحرب . وكان أكثر أبطال القصص الايراني القديم من اليويت ها الذين كانوا يرثون الحكم في كل ولاية أو مقاطعة بالنظام الوراثي .

ومن الدول الآرية الايرانية التي شكلت في العصور التاريخية ، والتي سيرد ذكرها فيما بعد الدولة الأشكانية التي تشابهت تشابهاً تاماً في نظام الحكم مع

الدول أو الدويلات الآرية في عصور ما قبل التاريخ . ولذلك فاذا أردنا الحصول على معلومات مفصلة عن كيفية الحكومة في تلك العصور ، يجب أن ندقق النظر في طراز الحكومة الأشكانية . يبدأ تاريخ آريي ايران منذ القرن السابع أو أواخر القرن الثامن ق . م ، والفترة قبل ذلك تغلفها ستائر النسيان .

وعلى هذا فان ما يقرب من ثلاثة وعشرين قرنا أي منذ انفصال الآريين عن الشعوب الهند وأوربية حتى القرن الثامن ق . م ليس معلوما على وجه الدقة وماذا كان الآريون وما هو تاريخهم . ويتضح من القصص الايراني القديم أنهم كانوا يقيمون في المدن والقرى وأنهم كونوا دولا . وهنا يقف دور المعلومات التي قدمتها الروايات القديمة . ولكن الصورة الكلية التي يمكن استقراؤها منها يدل على أن الآريين قد كونوا مالا يقل عن أربع دول ، يمكن أن تسمى دولتين منهما وفقا لتلك الروايات بدولة الجمشيدية [١] ودولة الفريدونية ، أي دولة آل جمشيد ودولة آل فريدون ، والدولتين الاخريين باسم دولة آل منوچهر ودولة زاب أو آل الزاب .

وعصر جمشيد موغل في القدم ، فيعتقد بعض الباحثين أن قصة جمشيد تتعلق بعصر ما قبل انفصال الشعوب الهند وأوربية ، ولكنه على أية حال لا يقل عن الفترة التي عاش فيها آريو الهند وإيران معاً .

وكذلك ترتبط دولة آل فريدون بذلك العصر ، أما دولة آل منوچهر وآل زاب فتتعلقان بعصور ما بعد استقرار آريي ايران في الشمال الشرقي لهضبة ايران ، وكانوا دائما تحت وطأة هجوم مستمر يشنه السكان الشماليون ، الذين يظن ظنا قويا أنهم كانوا شعوب السكا [٢] .

---

(١) كلمة جمشيد مكونة من مقطعين الاول جم والثاني شيد ، وهي صفة تعني اللامع الوضاء ، وتعرف كلمة جم في القصص الهندي باسم — يمه وفي الاوستا بيما .

(٢) كل هذه المعلومات مستنبطة من القصص وليست معلومات محققة .

وقد سبق القول بأنه فى الوقت الذى قدم فيه آريو ايران إلى الهضبة الايرانية ، كان يقطن تلك المنطقة العيلاميون . ولذا يجب الاشارة إلى العيلاميين قبل الدخول فى تاريخ ايران ، لأن لهؤلاء القوم مخلفات منفصلة ، يفيد الوقوف عليها فى فهم تاريخ آريى ايران لأسباب سوف تأتى فى موضعها .

مختصر لتاريخ عيلام

مقدمة

كانت المعلومات المتوفرة لدينا عن العيلاميين إلى ما قبل أربعين عاماً تكاد تنحصر فيما ورد بالتوراة عنهم ، وقد ذكر اسم كدر لا عمر ملكاً لعيلام [1] فى إحدى الحكايات . ولم يكن مؤرخو العهد القديم واقفين على معلومات عن العيلاميين كما يتضح من كتاباتهم المتوفرة لدينا ، وظل الحال على هذا المنوال حتى أجريت الحفريات فى أطلال مدينة شوش . وكان أول من أجرى حفائره ودراساته العلمية فى شوش العالم الانجليزى لفتوس loftus ثم تتابعت الحفريات ، وبدأت هيئتان علميتان فرنسيتان ، بدأت الأولى عملها برئاسة مارسيل ديو لافوا Marcal Dieulafoy عام ١٨٨٤ م .

ونتج عن حفرياتها اكتشاف قصر دارا الأول ،والقصر الذى بناه بعد ذلك أردشير الثانى الهخامنشى على أطلال القصر الأول ، وهو الآن تل ترابى ليس إلا . ثم تابعت العمل هيئة أخرى رأسها دمرجان J.De Morgan ومع أن حفريات شوش لم تتم الآن ، وتحتاج إلى نصف قرن كما يقولون حتى تتم ، فان ما توافر لدينا من معلومات قد أوضح لنا تاريخ عيلام إلى حد ما ، وأضاف دولة إلى دول المشرق الكبرى القديمة، لا يلائم هذا المختصر الافاضة فى الحديث عنها ، لذا سأكتفى بالإشارة إلى الموضوعات الرئيسية فى هذا المجال .

حدود عيلام :

أطلق لفظ عيلام فى العهود القديمة على مملكة شملت الولايات الآتية :

(١) سفر الخليقة باب ١٤

خوزستان — لرستاى — پشت كوه — جبال بختيارى ، وكان نهر دجلة يحد تلك المملكة غربا ويحدها شرقا جزء من مقاطعة فارس ، ويحدها من الشمال الطريق الممتدة من بابل إلى همدان ، ومن الجنوب الخليج حتى مدينة بوشهر[١] . وكانت أشهر مدن تلك المملكة :

١ — شوش التى تعتبر أهم مدن عيلام ومن أقدم مدن العالم .

٢ — مادا كتو على شاطىء نهر كرخة .

٣ — خايدالو التى يظن أنها موضع مدينة خرم آباد الحالية .

٤ — الأهواز . وكان سكان عيلام يطلقون على مملكتهم اسم (آنزان سوسونكا) وكلمة عيلام تعنى المنطقة الجبلية وكان يطلق على تلك المنطقة اسم المنطقة الجبلية .

الجنس :

يعتقد ديولافوا و مرجان أن السكان الأول لتلك المنطقة كانوا من الأحباش ويعتقد باحثون آخرون أن سواحل الخليج حتى مكران وبلوچستان كانوا من الأحباش ، وعلى أية حال فانه بعد قرون عديدة كان السكان الذين يقطنون شط العرب ورأس الخليج ويعرفون بالسومريين قد غزوا تلك المنطقة واستولوا عليها . ثم وفد عليهم بعد ذلك قوم من الساميين ، واستولوا عليها ، وإن لم يطل استيلاؤهم على الجزء الجبلى من المملكة . وقد ذكر اسم كوسى أو كيس سى كثيرا من بين أسماء الشعوب الجبلية . وكان اليونانيون يطلقون عليهم اسم أكسيان ، وكانوا أقواما مارقين يرفضون الخضوع ويأبون الانقياد ، لذا لم تدم طويلا السيطرة الخارجية عليهم . ومما يجدر الإشارة إليه أنهم طالبوا الاسكندر بالجزية إبان ذهابه من شوش إلى فارس ثم حاربهم الاسكندر أثناء عودته من الهند إلى بابل ، ولكنه منحهم فى النهاية الجزية التى طلبوها .

---

(١) كانت تسمى فى العهد القديم (ريشر)

اللغة :

كانت اللغة الانزانية أقدم لغات أهالى تلك المملكة . وقد تلاشت تلك اللغة — كما يرى مرجان — فى الألف الثالث ق . م . ثم راجت بعد ذلك اللغة السومرية واللغة السامية . وفى عام (١٥٠٠) ق . م . تم إحياء اللغة الانزانية فجأة ، وبدأ انتشارها واستعمالها . وهذا يدل على أن اللغة الانزانية لم تكن قد تلاشت نهائياً ، وإنما كانت مستخدمة بين الأهالى ، ولكن النقوش كانت تكتب باللغتين السومرية والسامية ، لأن اللغة إذا ماتت لا تحيا من جديد ويعتقد بيرشيل Pere Scheil — الذى كان واحداً من البعثة العلمية الفرنسية — أن اللغة الانزانية كانت قريبة من اللغات الأورالية والالتائية [1].

الخط :

الخط العيلامى خط مسمارى ، أى أنه عبارة عن رموز وعلامات على هيئة مسمار ويكتب أفقيا أو عموديا . ومعلوم أن العيلاميين قد اقتبسوا هذا الخط من السومريين ولكن الخط العيلامى المسمارى خط مستقل ، أى أن رموز الخطين متباينة ، ولذا لا يمكن معرفة الخط العيلامى مع معرفة الخط البابلى . وتتفاوت الأرقام العيلامية مع الأرقام البابلية [2] ثم إستخدم هذا الخط بعد ذلك ، جنبا الى جنب مع الخطوط الأخرى . فمثلا أحد ملوك عيلام وكان يسمى باش شوشيناك وكان يحكم عيلام قبل استيلاء السومريين على مدينة أور ، صنع تمثالا له من الحجر وقد جلس على عرش من الحجر ، وعلى الناحية اليمنى منه كتبت كلمات بالخط العيلامى ، وعلى الناحية الشمالية خطت ألفاظ بالخط البابلى .

---

(١) الشعوب الارالية والالتائية شعبة من الجنس الاصفر كالمغول والتتار والترك والتنغوز والفينيين والساموييد ، الذين كانوا يسمون كذلك بالفين والتتار .

(٢) تبنى الاولى على علامات عشرية ، والثانية على علامات ستينية .

الدين

هذه مسألة غامضة ، ولكنه كان معروفا بصورة عامة ، أن العالم فى نظر العيلاميين مملوء بالارواح ،وكانوا يطلقون على الإله الأكبر شوشيناك ، وعبادته مقصورة على الملوك والكهنة فقط . ويليه فى مقام الاعتقاد ستة من الآلهة ، ثم جمع من الأرواح ، وكانوا يعتبرون كل واحد من الأرواح إلها محلياً .

وكانوا يصنعون للآلهة تماثيل مثلهم مثل البابليين . وحينما كانوا ينقلون التمثال من مدينة إلى أخرى يعتقدون أنهم نقلوا إله تلك المدينة ، وعلى هذا فان مذهبهم مذهب الشرك وعبادة الأوثان .

وكان الكهنة ينعمون بعظيم النفوذ وقوة السلطة ، ويمكن القول بصفة عامة أن مذهبهم كان كثير التشابه بمذهب البابليين . ويبدو أن رسومهم وعاداتهم المذهبية كانت تشبه أيضاً عادات بابل المذهبية .

مدينة شوش :

قسم مرجان Morgan أطلال مدينة شوش أربعة أقسام :

١ ــ أرك،وهى قلعة مدينة شوش وكانت موطن السكنى منذ أزمنة سحيقة حتى عصر الاسكندر .

٢ ــ قصور الملوك الاكينيين .

٣ ــ المنطقة التجارية .

٤ ــ منطقة فى الشاطىء الأيمن لنهر كرخة ، وقد اكتشف فى القسم الثانى أطلال قصردار اوارد شير الثانى والطاق المعروف بآپادن .

تقسيم تاريخ العيلاميين :

قسم مرجان تاريخ عيلام قسمين :

١ — عصور ما قبل التاريخ .

٢ — القرون التاريخية .

وينقسم القسم الأول إلى قسمين ، وكلاهما فى العصر الحجرى ، لأن الآلات والأدوات الحديدية لم تكن قد ظهرت بعد[1] ، وما وصلنا من أدوات هذا العهد كانت غالباً من أوانى الحجر والفخار ، عليها نقوش .

ويعتقد مرجان أنه بمقارنة تلك الأشياء بما عثر عليه فى مصر ، أنها ترجع إلى الألف الثامن ق . م . ويعتقد عالم آخر هو كنج King أن هذه الأوانى الفخارية أكثر شبها فى صنعها وطرزها بالأوانى والأشياء التى عثر عليها فى منطقة ما وراء بحر الخزر واستراباد ودره كز . ولهذا ولقرائن أخرى يظن الباحثون أن حضارة العيلاميين قد انتشرت فى أماكن شتى متباعدة ، وأن ثمة علاقات كانت قائمة بين سكان ماوراء بحر الخزر والعيلاميين والسومريين . ومن الجائز أن يكون هؤلاء الناس قد قدموا من الشمال . وقد أجرى العلماء حفريات تجاوزت طبقات العصر الحجرى ، ورغم هذا لم يعثروا على شىء رغم تعمقهم ستة أقدام . وسبب ذلك أن شعباً ذا حضارة أعلى تغلب على الوطنيين وخرب بيوتهم . ثم أهالوا عليها ما يقرب من ستة أقدام من التراب ، وأقاموا على أرضها أبنية جديدة . وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى يعتقد مرجان أنها ترجع إلى العصر القديم . ومن المواد التى عثر عليها أوان فخارية وهى قليلة للغاية .

وأكثر مخلفات هذا العصر من المرمر الأبيض المنقوش . وكذلك وجدت زهريات لزجة وألواح من الفخار الخالص ، وقد كتب عليها بعض الخطوط . ويعتقد مرجان أن هذه الأشياء ترجع إلى الألف الرابع ق . م .

---

(١) ادوار ماير : « تاريخ العهد القديم » ، ويذهب البعض ان هذا العصر هو عصر النحاس .

أما القرون التاريخية لعيلام فيمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة :

١ — عصر يرتبط فيه تاريخ عيلام ارتباطا كاملا بتـــاريخ السومريين والأكاديين (منذ عهود موغلة فى القدم حتى ٢٢٢٥ ق ٠ م) ٠

٢ — عصر ارتبط فيه العيلاميون بتاريخ بابل(من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ق٠م)

٣ — عصر ارتباط آشور بعيلام (٧٤٥ — ٦٤٥ ق ٠ م)

العصر الأول منذ أقدم العصور حتى عام ٢٢٢٥ ق ٠ م

نظراً لارتباط تاريخ العيلاميين فى تلك الفترة بتـــاريخ السومريين والأكاديين ارتباطا كاملا فلذا يجب إلقاء نظرة إجمالية على تاريخ هؤلاء الأقوام ٠

السومريون والأكاديون :

استقر هؤلاء القوم منذ زمن بعيد غير معروف فى إحدى الممالك التى عرفت منذ القرن التاسع ق ٠ م بمملكة كلدة ، بينما كان يعيش السومريون على رأس الخليج وعلى شاطىء شط العرب [واستقر الأكاديون فى الناحية الشمالية الشرقية ٠ ولا يمكن على وجه اليقين تحديد حدود مملكة سومر وأكد ، وما هو معروف أن مدن أور(اوروك أو ارخ Uruk, Ereach (وهى فى التوراة آرك) ونيب پور Nippur من المدن السومرية الشهيرة ، وكذلك مدن سيب پار sippar وكيش Kish وبابل من المدن المهمة الأكدية ٠

وقد قوى اتجاه لدى الباحثين أخيراً إلى أن السومريين والأكاديين كانوا شعباً واحداً ، وأن الأكاديين عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى احدى المدن السومرية التى كانت تسمى بذلك الاسم ٠ ومالا يجب أن يغيب عن نظرنا أنه أطلق اسم كلدة على بابل الآشورية (لأن الكلدانيين وكانوا ساميين قد اختاروا الإقامة فى المكان بعد ذلك بقرون) ٠

ويلاحظ هذا الاسم فى نقوشهم منذ القرن التاسع ق . م ، ونظراً لان تاريخ سومر وأكد قد استمر معاًعدة آلاف من السنين ق . م ، فلا يمكن إطلاق اسم تاريخ الكلدانيين على تاريخهم ، بل يجب أن يطلق عليه تاريخ سومر وأكد . وبين العلماء اختلاف فيمن سبق الآخر من هذين الشعبين فى استيطان هذه المملكة . والرأى الراجح بين غالبية الباحثين الآن هو أن السومريين قد استوطنوا سواحل الخليج قبل قدوم الساميين تلك الأنحاء ، وان الساميين قد أقبلوا من الناحية الغربية أو الشمالية الغربية إلى تلك المناطق[١] .

أما عن الموطن الذى أقبل منه الأكاديون والسومريون ، فنظراً للعثور على مواد خزفية وأظرف حجرية وأسلحة من الرصـــاص وبعض الاشياء الأخرى قرب منطقة عشق آباد[٢] واستراباد[٣] ودره كز ذات طابع عيلامى فى صناعتها ، ومنقوش على زهرية من الفضة صور سومرية ، لذا فان بعض الباحثين يعتقدون بوجود ارتباط بين حضارتى العيلاميين وبلاد ما وراء نهر الخزر . ومن الجائز أن يكون السومريون قد أتوا من الناحية الشمالية الى رأس الخليج وسهله بابل . على أية حال فان الحفريات التى أجرتها البعثات الامريكية فى مدينة نيپپور وهى احدى المدن السومرية ، وما تم اكتشافه بعشر أسرات من ملوك هؤلاء القوم ، فضلا عما هو معروف ، فقد تحقق أن السومريين اتضح تاريخهم قبل ثلاثة آلاف ق . م ، وأن بابل كانت مركز الحضارة فيها .

الديانة :

يقول السومريون ان لكل مدينة رب ، وكان أهالى كل مدينة يعتبرون إله مدينتهم أعلى مرتبة من آلهة سائر المدن الأخرى ، ومع هذا كله فقد كانوا جميعا يعبدون ثلاثة آلهة كبار :

---

(١) هذا هو رأى [illegible] وهو مختص

(٢) [illegible]

(٣) فى جرجان الحالية .

١ — آنو (إله السماء) .

٢ — إ آ (إله الوادى العميق) .

٣ — بل (رب النوع ، إله الارض) .

وكانوا يعتقدون بالاضافة إلى هؤلاء فى عـــدد من الارواح الشريرة والعفاريت والجن وكانوا يقدمون اليها القرابين اتقاء اشرهـا ، ويتضرعون اليها ويبتهلون ويقدمون النذور اليها . وكانوا يصنعون أوثانا للآلهة ويعبدونها ، ويعتقدون أن الآلهة صفات كصفات البشر ، كالغضب وسفك الدماء والقسوة والشهوة وغيرها ، وكانوا يقيمون لها المعـــابد من الطوب النيء ويشيدون محاريب فى رأسها .

وكان الكهنة يتمتعون بنفوذ قوى ، ويقولون ان الآلهة كالملوك يحيون وسط مظاهر العظمة والأبهة والثراء .

ولذا كانت المعابد مملوءة بما تحويه الخزائن والذخائر والأهراء والحيوانات المختلفة . وكانوا أحيانا يحصرون التجارة فى معبد واحد ، إذا ما كان الآلهة تجاراً أو ملاكاً .

وكانوا يسمون رئيس المدينة باتسى ويعتقدون أن رؤساء المدن يديرون أمورها وفقا لمشيئة الآلهة ، ولذا كان رؤساء المدن نوعا من الملوك المحليين يقبضون على أزمة الأمور الدينية والداخلية والحربية . أما عقيدة السومريين فى البعث بعد الموت ، فكانت غامضة ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الانســان لا يجد شيئا بعد الموت إلا الألم والمحن والجوع والعطش .

ونتيجة لذلك فقد كان السومريون يدعون دائما لحفظ العائلة وسلامتها . ولغة السومريين تقترب من لغات التورانيين الالتائيين أو الاورالية والآلتائية . والخط السومرى خط مسمارى ، ويعتبر بعض الباحثين السومريين مخترعى هذا الخط .

وكانوا يصنعون بيوتهم فى بادىء الأمر من الغاب ، ثم طوروا ذلك وبدأوا يستخدمون الطوب والحجارة .

رؤساء المدن — السومريون (پاتسى‌ها) :

من رؤساء المدن السومريين الذين حاربوا العيلاميين ، يجب أولا ذكر اسم إن ناتوم الأول ، الذى كان رئيسا لمدينة لاكاش ، وقد حارب العيلاميين منـذ ثلاثة آلاف سنة ق . م ، ويقول بنفسه إنه قد أنزل هزيمة نكراء بالعيلاميين ولكن الحقيقة هى أن العيلاميين كانوا يشنون حملات مستمرة على السومريين ، وبخاصة سكان المناطق الجبلية ، وكان الرئيس المشار إليه يرد حملاتهم .

وبعد ذلك شن العيلاميون حملة جديدة على مدينة لاكاش وكان حاكمها آنذاك إن ناتوم الثانى فصدهم عنها . وهذه الموقعة لا تحتل أهمية كبرى ، ولكن المراسلة التى جرت بين كاهن ربة النوع (نين مار) Ninmar وأحد اصدقائه والتى تضمنت ذكراً لتلك الواقعة ، تحتل أهمية خاصة لأنها قد كتبت باللغة السومرية ، وترجع إلى الألف الثالث ق . م .

الأكاديون والجنس السامى :

وبعد السومريين بدأ عهد الأكديين ، وتوضيح ذلك أن شخصاً ساميا عرف به (مانيشتو) قد تولى رئاسة مدينة أكد عام ٢٨٠٠ ق . م وأسس حكم أسرة كيش . ثم أسر بعد ذلك ملك عيلام وحمله إلى أكد وأخضع ملكه لسلطانه . وقد وجدت زهرية فى نيپ پور نقش عليها بعض ما عثر عليه من غنائم العيلاميين .

ومن هنا فقد أخذ نجم الأكاديين فى الصعود ، وأخذ ملكها وكان من سلالة سامية ويعرف بسرگن Sargon فى توسيع حدود مملكته ، فامتدت غربا حتى الشام الكبرى وشمالا حتى جبال زاجروس أو كرمانشاه الحالية . ومن أعمال هذا الملك أنه أمر بترجمة الكتابات المتعلقة بالمذاهب والأديان والقوانين والسحر وغيره إلى اللغة السامية ، وأمر بحفظها فى معبد إرخ .

وقد أمر (آشور بانيبال) ملك آشور فى القرن السابع ق . م بتدوين هذه الكتابات ، ولذا بقيت مضامينها محفوظة متداولة فى القرون التاليـــة . وحارب سارگن العيلاميين ، ولكن ليس معلوماً هل أصبحت عيلام فى ذلك الوقت جزءا من الأكاديين أم لا . والقدر المسلم به تاريخا هو أن الأكاديين قد أغاروا على العيلاميين ، ووطأوا عاصيانهم وأتلفوها ، ومن الجائز أن تكون عيلام فى ذلك الوقت كانت تدفع للأكاديين الجزية .

واستمرت الفتوحات الأكادية بعد سارگن ، وقـــد أوضحت اللوحات الحجرية[1] (استل Stele)التى كشفها مرجان أن نرام سين Naram Sin أحد الملوك الأكاديين قد فتح بلوك لولوبى (وهى منطقة بين كرمانشاه الحالية وبغداد) وتبين اللوحة (استل) الخاصة بنرام سين بوضوح ، أن جيش هذا الملك كان يضم عدداً من الجنود الاحباش [2] . كما تشير الكتابات الموجودة فى تلك المنطقة إلى فتوحات أخرى قام بها ملك أكادى آخر يعرف بـ (آنو بانى نى) . وليس هناك شك فى أن فتوحات الأكاديين فى المناطق المجاورة لهم هدفها الرئيسى هو الاستيلاء على دولة العيلاميين ، وأن هذه المملكة كانت تدفع الجزية للأكاديين . وبعد فترة استقر حكم أسرة سامية أخرى فى أكد ، وكانت العاصمة مدينة ارخ .

وفى عهد تلك الأسرة كون سكان المشرق دولة سامية عرفت بالگوتيين[3] ، هاجمت الاكاديين واستولت على المناطق الشمالية والجنوبية لبابل ، وخضعت عيلام لها كذلك .

---

(١) استل قطعة واحدة من الحجر نقشت عليها كتابات .

(٢) وهذا واحد من الدلائل على أن الاحباش كانوا يسكنون سواحل الخليج .

(٣) Guptiens

ازدهار السومريين :

فى عام ٢٥٠٠ق.م استعادت سومر رونقها من جديد ، وصارت مدينة لاكاش عاصمة الملك الاكبر كسودآ Gudéa . وأخضع هذا الملك أنزان ، وإتسم حكمه بالعدل والإنصاف ومساعدة الفقراء والضعفاء ، وتشييد المعابد والابنية الجديدة، وطلب مايلزمها من الشام الكبرى والجزيرة العربية وعيلام . ويلاحظ فى عام ٢٤٥٠ ق . م أن الحكم والسلطة انتقلا إلى مدينة أور، حيث استقر الحكم فيها لعدد من الحكام المحليين . ولهذا استخدمت اللغة السومرية وعم انتشارها بدلا من اللغة السامية التى كانت مستخدمة إبان حكم سارگن وغيره من الحكام . ولذا يمكن استنباط أن السومريين قد استعادوا قوتهم من جديد، وقد اقتبس دونگى Dungi ثانى حكام تلك الاسرة استخدام السهام والاقواس من الساميين . وقوى جيشه نتيجة لهذا ، فامتدت فتوحاته واستولى على عيلام ومنطقة لولوف ، ولكنه يستفاد من القرائن أن تأمين الفتوحات لم يكن أمراً يسيراً ، لأن السومريين كانوا مجبورين دائماً على تعبئة الجيش وشن الحملات لإخضاع العصاة والمتمردين ، ويستفاد من الالواح التى عثر عليها أن عيلام كانت فى ذلك الوقت جزءاً لايتجزأ من الدولة السومرية .

انقراض دولة السومريين على يد العيلاميين :

كان سلوك السومريين سبباً فى انتفاضات وثورات متعددة من قبل العيلاميين ، مما أجبر السومريين على تعبئة الجيوش وشن الحملات لإخمادها ، وكانت تلك الحملات سببا فى اضعاف السومريين وإنهاك قوتهم . وفى نهاية الامر تمكن العيلاميون من شن حملة مكثفة على سومر وقبضوا على ملكها وحملوه اسيرا إلى عيلام . ومنذ ذلك التاريخ استقل العيلاميون وفى عام (٢٢٨٠ ق.م) استولى كودورنان خوندى Kudor Nankhoundi ملك عيلام على مدينة أور وخربها وأطاح بالاسرة الحاكمة فيها ، واستولى على تمثال ربة النوع ، آلهة المدينة ، وكانت تسمى نانا Nana أونه نه وحمله إلى عيلام ، ، كجزء مما غنم، ومنذ ذلك التاريخ ، ولمدة تقرب من ستين سنة ظلت سومر جزءاً من عيلام . وحوالى عام ٢٢٣٩ ق . م تولى الحكم فى سومر أسرة سامية عرفت بإسم نى سين Nisun وبين يدي الباحثين اسماء ستة عشر ملكا من ملوك تلك الاسرة ، كما

وضح مما بين أيديهم من وثائق أن ملكا عيلاميا يعرف به ريم سين Rimsin قد قضى على تلك الأسرة عام ٢١١٥ ق . م ، وقد توحدت سومر وأكد فى عهد تلك الاسرة ، وأضحت أمة واحدة . ثم انفصم عرى هذا الاتحاد واضمحلت تلك الدولة على يد الملك العيلامى ، ولم يحصلوا على الاستقلال مرة أخرى ، وذاب السومريون والاكاديون فى الشعوب الأخرى ، وفقدوا هويتهم وقوميتهم .

يعتقد مرجان والكتاب الفرنسيون الآخرون أن غلبة العيلاميين على السومريين والساميين لها نتائج تاريخية كثيرة ، وتوضيح ذلك أن العيلاميين كانوا يتصفون بقدر من الغلظة والقسوة الزائدة فى معاملتهم للشعوب المغلوبة مما أجبرهم على ترك أوطانهم وديارهم حفاظاً على أرواحهم ، وهاجروا زرافات ووحدانا إلى مناطق شتى . ولذا يعتقد أن السكان الذين سكنوا رأس الخليج والبحرين[١] . قد اتجهوا إلى بلاد الشام وأسسوا الدولة الفينيقية ، حيث اشتهروا بعد ذلك بالتجارة وعبور البحار ، واتجهت جماعة أخرى كانت تعبد آشور (رب النوع) إلى منطقة وسط نهر دجلة والمناطق الجبلية المجاورة ، وأسسوا الدولة الآشورية ، وهاجر ابراهيم (عليه السلام) مع قومه إلى فلسطين ، وهاجم الهكسوس وهم من أصل سام ، مصر ، وكان تأسيس اسرة من الفراعنة فى تلك المملكة من نتائج انتصار العيلاميين على الشعوب السامية ، ولكن كينج يعتقد أن غلبة العيلاميين لم تدم طويلا على الممالك الغربية ، لأن العيلاميين لم يكونوا مهيئين لإدارة أية مملكة ، وكانت غلبتهم تشبه الإغارة الطارئة ولذا لم يستطيعوا الاحتفاظ بما فتحوا من ممالك .

---

(١) الحسا الحالية علي شاطيء الخليج .

ما قدمه السومريون للبشرية من إنجازات وأعمال :

قبل أن نتابع الحديث فى تاريخ عيلام ، لابد أن نبين فى عجالة سريعة ماقدمه السومريون من أشياء مبتكرة إلى حياة البشر ،لأنه لن يذكر بعد ذلك شيء عن أعمالهم عبر التاريخ . أما ما أنجزه هؤلاء فهو كالتالى :

١ – اختراع الخط المسمارى الذى لعب دوراً كبيراً ومهماً فى رقى العالم القديم .

٢ – وضع قوانين ، أصبحت أساساً لقانون حمورابى .

٣ – وضع أسس لعلوم الصناعة التى بدأت منهم وانتقلت بعد ذلك من أمة إلى أخرى ، ثم تطورت حتى وصلت اليه الآن .

وكلما تقدمت الابحاث وكثرت الحفريات وأجريت البحوث على يد علماء الآثار ، اتضح أمر هام وزاد وضوحه وهو أن اليونانيين القدماء قد اقتبسوا من السومريين مبادىء علم الهيئة والطب والصناعة . كما يجب ألا تغفل هذه النقطة أيضاً ، وهى أن التحقيقات والابحاث الجارية حتى الآن ، والتى تتعلق بتاريخ تلك الأمة القديم لم تتم بعد . ذلك لأن تاريخها بصورة اجمالية قد اتضح حتى القرن الرابع أو الثالث ق. م. وكلما ازدادت الحفريات وتقدمت الابحاث فى مدينة أور ، زاد الاعتقاد بوجود حضارات أخرى سابقة لتلك الحضارة ، وزاد الاعتقاد بإنتشار حضارة السومريين فى ممالك بعيدة مثل بلوچستان .

أوضاع عيلام :

قبل أن نعرج بالحديث عن الفترة الثانية من تاريخ عيلام ، لابد من إلقاء نظرة على أمورها وأوضاعها الإجتماعية ، لنرى على أية أوضاع وأحوال قامت دولة انزان سوسونكا . وأوضاع ذلك العهد الذى استمر حوالى عام ٢٢٢٥ق. م ليست معلومة على وجه الدقة . والشيء الواضح هو أن العيلاميين

كانوا أقل حضارة من جيرانهم الغربيين (السومريين والساميين) . وكانت تلك المملكة تعيش فى معزل عن العمران والتجارة التى سادت الممالك المجاورة لها آنذاك ، نتيجة لطبيعة منطقتهم الجبلية فى معظمها وانعدام الطرق اللازمة لرواج التجارة أو تبادلها . ويمكن من دراسة نظم المملكة استنتاج أن كل قوم من الأقوام أو طائفة من الطوائف كان يعيش عيشة منفصلة عن الآخر سياسيا واجتماعيا ، وبخاصة سكان الجبال الذين كانوا يحافظون دائماً على استقلالهم ، باستثناء الأوقات التى كان يهدد العــــدو الخارجى فيها استقلال عيلام .

المرحلة الثانية من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق . م .

فى تلك المرحلة كانت الدولة البابلية التى أسسها رجال من الجنس السامى - أقوى وأكبر دولة تجاور عيلام . ونظراً لارتباط تاريخ العلاميين بتلك الدولة ارتباطا تاما لذا يجب الإشارة إلى تلك الدولة .

إزدياد قوة البابليين :

يعتقد المؤرخون أن الساميين قد خرجوا فى الغالب من الجزيرة العربية ، واتجهوا إلى الممالك التى تقع على شواطىء الأنهار الكبيرة أو البحار لما تمتاز به من جودة المناخ ووفرة المياه وخصوبة التربة التى لاتتوافر فى صحراء الجزيرة العربية . ونظرا لما يتميز به الساميون المتوثبين من قوة وطاقة كبيرة ، وقدرة على تحمل الشدائد التى كابدوها والتى يتسم بها سكان الصحارى ، فقد سيطروا سيطرة تامة على مملكة السومريين والأكاديين ، وعلى المناطق المجاورة لهما كذلك . وكما ذكر آنفا ، فقد كونوا أسرات حاكمة هناك ، وتكونت أسر أخرى فى بابل ، ووسعوا هذه المدينة التى يرجع تاريخها إلى أزمنة السومريين الغابرة ، وكونوا فيها دولة أثرت حضارتها ونفوذها فى العالم القديم فى الأزمنة والعصور اللاحقة .

الأسرة الأولى :

كان حكام تلك الأسرة خمسة عشر[1] ، وحورابى سادس حكامها أكبرهم وأشهرهم ، وقد حكم من ٢١٢٣ — ٢٠٨٠ ق . م ، وقد عثر علماء الآثار على قوانينه فى حفريات مدينة شوش ، وتوجد حالياً فى متحف اللوفر فى باريس . وهى أقدم مدونة عثر عليها حتى الآن[2] .

وأقدم ما فى القوانين السومرية ، مادونه حورابى على حجر قطعة واحدة ، وتتعلق تلك القوانين بأمور الزراعة والرى والملاحة وشراء العبيد والإماء ، والعقوبات والزواج وقانون الأسرة والمواريث وغيرها . ولفت نظر العلماء اليها ما احتوته من قوانين أخلاقية . ويعتبر المحققون وجود مثل هذه القوانين دليلا على ما وصل إليه البابليون والسومريون من رقى حضارى . كما يلاحظ تأثير كبير لتلك القوانين فى بعض شعوب آسيا الغربية مثل بنى اسرائيل ، أى أنهم اقتبسوا موادا منها أو أحدثوا تغييرات فى قوانينهم نتيجة لذلك . ومن هذه اللوائح (القوانين) مالا يعد قديما فحسب حتى اليوم .

ولحورابى فضلا عن تلك القوانين أعمال أخرى كذلك . ومن ذلك مثلا أنه طرد ريم سين ملك عيلام من مدينة لارسا (٢٠٩٣ ق . م) ومن هنا يتضح أن بابل قد شرعت فى تجميع المدن وتوسيع رقعة مملكتها ، والاوضاع الداخلية للدولة العيلامية فى تلك الفترة ليست معروفة . والقدر الواضح هو أن سمسوا — يلونا بن حورابى هزم ملك عيلام المسمى كو دورمابوك ، وإن كان العيلاميون قد استعادوا استقلالهم مرة أخرى ، وكانت الأسرة الانزانية تتولى مقاليد الحكم فيها ، وكان رئيس تلك الأسرة يعرف بـ خون بان نومنيا الذى أحكم بناء الدولة العيلامية . وتعرضت الأسرة البابلية الاولى لحملات واعتداءات من

---

(١) هذا ما هو ثابت ومحقق حتى الان ، وان وجدت بعض الفهارس التى تشير الى اكثر من ذلك .

(٢) المقصود بكلمة مدونة ، مجموعة القوانين التى رتبت ترتيبا معينا .

أقوام تقطن المنطقة الشمالية لها يعرفون بالحيثيين وأجهزوا عليها[1] . ولا داعى للوقوف على تاريخ الأسرة الثانية لتلك الدولة العيلامية ، لأنه لم يحدث فيها ما يستحق الذكر . ولم تستمر سيطرة الحيثيين على بابل لأن شعبا آخر عرف بالكاسيين ، وكانوا من سكان الجبال قد أغار على بابل ، وطرد الحيثيين ، وأسس حكما له هناك .

الاسرة الثالثة أو الكاسيون :

الكاسيون شعب كان يعيش فى جبال زاجروس القريبة من كرمانشاه الحالية ، ويعتقد بعض المحققين أنهم كانوا قوماً من الشعوب الآرية ، ذلك لأن إلههم الأكبر كان إله الشمس ، وكانوا يسمونه سورباش ، وهى كلمة آرية[2] وسيطر هذا الشعب على بابل وأسسوا أسرة حاكمة بها ، حكمت ما يقرب من ستة قرون (١٧٦٠ — ١١٨٥ ق . م) .

وفى عهد الكاسيين استخدمت الجياد لشد العربات ، وتاريخ عيلام فى تلك الفترة ليس واضحاً كذلك ، ولكن يلاحظ أن عيلام كانت دولة مستقلة ، بل ودولة قوية قادرة ذات نفوذ كبير ، وأن حروبا استمرت مشتعلة بينها وبين الدولة البابلية .

وأشهر الملوك العيلاميين ، والذى أغار على بابل وسيطر عليها هو شوتروك ناخون تا Schutruk NaKhunta عام ١١٩٠ ق . م وقد حمل كل ما يتعلق بتاريخ بابل من أشياء نفيسة إلى مدينة شوش وكان من بينها نقش نرام سين

---

(١) لم يكن بين يدى الباحثين معرفة بهذا الشعب قبل اربعين عاما ، وان وردت الاشارة اليهم فى التوراة وفى الياذة هوميروس ، ولكن الحفريات التى أجريت فى عاصمتهم (كاراكامش ـ قرقميش) الواقعة على نهر الفرات ثم فى بتريوم ، والحفائر التى أجريت فى مصر وفى أماكن أخرى قد ازالت النقاب عن تاريخ هؤلاء الاقوام ، واتضح منها أن دولة الحيثيين (هيت ها) كانت موجودة عام ١٧٠٠ ق.م ، ثم اشتد ساعدها بعد ذلك حتى أصبحت من عداد الدول الكبرى وانها لبثت الف سنة ثم انقرضت على يد أشور . وجنس هؤلاء القوم ليس معروفا شأن الكاسيين . ويعتقد البعض أن لغتهم قريبة من اللغات الاورالية والالتائية ولم يمكن قراءة خطهم حتى الان . والاتفاقية الدفاعية الهجومية التى جرت بين رمسيس الثانى فرعون مصر وملك الحيثيين من أهم الوثائق التاريخية .

(٢) يعتقد ادوار مير Edward Meyer انهم ليسوا من الاريين ، ولكنهم اقتبسوا كثيرا عن الاريين بالجوار .

الذى ورد ذكره آنفا ،وكذلك تمثال إله البابليين (رب النوع) الأعظم الذى كان يسمى بل مردوك . وبقى هذا التمثال ثلاثين عاماً فى مدينة شوش ، ثم أعيد إلى بابل مرة أخرى .

وقد أجهزت حروب العيلاميين وغاراتهم المستمرة على الأسرة الكاسية وقضت عليها . وتولى حكم عيلام بعـــد هذا الملك ملك يدعى شيل خاكين (شوش ناك) . وكان داهية وسياسياً بارعاً . أقام الكثير من العمائر وأهم أعماله التى هى مصدر تقدير علماء الآثار القديمة ، أنه كان يكتب على كل بناء يقوم به متى بنى ، وما به من النقوش مكتوبة باللغة السامية ، ويضيف إليها ترجمتها إلى اللغة الانزانية .

وهكذا كان سلوك هذا الحاكم واشرافه على حفظ الآثار عونا كبيرا فى قراءة اللغات العيلامية القديمة عبر العصور المختلفة ، لأن الفترة الممتدة بين كتابات هذا الملك والكتابات القديمة لاتقل عن ألفى عام . والآثار التى بقيت عن هذا الملك تدل على أن الأدب والصناعات العيلامية فى عهده قد بلغت أوج رقيها .

الأسرة الرابعة أو الپاشون :

تولى الحكم فى بابل عام (١١٨٤ ق . م) أسرة جديدة عرفت بهذا الاسم اشتقاقا من اسم إحدى مناطق بابل ، وحاربت العيلاميين حربا أودت بالبابليين ونتيجة لذلك استردوا تمثال مردوك الذي كان العيلاميون قد حملوه إلى شوش ونبختنصر الأول Nabukhdnasar أكبر ملوك تلك الأسرة شهرة ، وهو الذى وسع حدود بابل حتى البحر المتوسط (بحر المغرب) . وكانت عيلام فى ذلك الوقت مستقلة غالباً ، ولن نتعرض للأسرة الخامسة التى تناوب الحكم فيها واحد وعشرون حاكما .

الأسرة السادسة أو البازيون :

حكمت هذه الأسرة فى الأماكن البحرية من عام (١٠٥٢ — ١٠٣٢ ق . م) وفى ذلك الوقت سيطرت عيلام مرة أخرى على بابل ، وجلس أحد الملوك العيلاميين على عرش بابل ، وإن لم يدم حكمه أكثر من ست سنوات. وتعرضت بابل أثناء حكم تلك الأسرة لهجمات من الشمال الشرقى شنها عليهم سكان الجزيرة العربية المتوثبين المعروفين بالكلدانيين ، وإلى ضغط من الشرق من قبل العيلاميين مما أضعفت البابليين . فطلبوا العون من الآشوريين فاستغل العيلاميون هذا الجو واستولوا على بابل . وتبوأ أحد الملوك العلاميين عرش بابل واختار لنفسه اسما بابليا .

وفى ذلك الوقت أيضا ، ظهر قوم جدد عرفوا بالكلدانيين ، قدموا من الناحية الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية ، وهاجموا بابل ، فزاد الطامعون طامعاً آخر غير الاشوريين والعيلاميين . وكانت هذه الفترة الممتدة من ٩٧٠ — ٧٣٢ ق . م مملوءة بالمنازعات والثورات والحروب والاضطرابات .

وكان الكلدانيون يمدون العيلاميين بالعون حتى يتمكنوا من احتلال بابل. وفى النهاية انتهت الحروب فى عهد الملك آشور نبو نصر ٧٤٧ — ٧٣٢ ق.م بانتصاره ، وأضحت بابل جزءاً من آشور الجديدة .

المرحلة الثالثة من ٧٤٥ حتى ٦٤٥ ق . م

فى تلك المرحلة كان العيلاميون خاضعين لآشور ، ولكى نفهم الاحداث التى سنذكرها لابد من إلقاء نظرة على تاريخ الآشوريين . فهم شعبة من الجنس السامى ، كانوا يعيشون فى بابل مع شعوب سامية أخرى .

ثم هاجر الآشوريون فى العصور التالية ، واتجهوا إلى القسم الأوسط من نهر دجلة والمناطق الجبلية المجاورة له . وهناك أسسوا مملكة صغيرة عرفت بملكة آشور ، وقد اشتق اسم هؤلاء القوم من إسم الإله الذى كانوا يعبدونه وكان يسمى آشور . وكانت عاصمتهم فى أول الامر مدينة آشور ، ثم أصبحت عاصمتهم بعد ذلك وخلال فترات متتالية مدينة كالاه Kalah (كالح فى التوراة) ثم أصبحت فى آخر الامر نينوى ، وكان يطلق على حكام آشور لقب پاتس مثلما كان يطلق على حكام المدن السومرية والاكادية . ومعلوم أن الآشوريين كانوا فى بداية حالهم خاضعين للبابليين ، وليس يعرف على وجه التحقيق متى استقل الآشوريون .

ولكن تاريخ استقلالهم يتراوح بين القرن الثامن عشر والخامس عشر ق.م . وكان الآشوريون رجال زرع ، وحينما قدموا تلك المنطقة الجديدة رأوا ان الأراضى الصالحة للزراعة قليلة نسبيا ، وأن تربتها ليست خصبة بعكس ما كانت عليه التربة عند البابليين . لذا صمموا على أن يعيشوا من كد ونصب الآخرين ، وهذا ماحدا بهم إلى شن الغارات والهجمات فى ربيع كل عام على الممالك المجاورة ، قاصدين من ذلك إرغام البلاد على دفع الضرائب لهم . أو يغيرون على الممالك والمدن ويقتلون من أهلها مايشاؤن ويأسرون فريقا ، فيكلفونهم ما لا يطيقون ، ويعيشون هم فى رغد من العيش ورفاهية تامة .

ومن الطبيعى أن لا تتشابه تنظيمات تلك الدولة مع تنظيمات البابليين . وكما رأينا فى سومر وبابل فان المدن كان لها حكام يعرفون بالپاتسيين . ووصلت

منزلة رجال الدين ونفوذهم إلى درجة عالية من الرقى ، لذا يمكن القول بأن هذه الدولة كانت فى الواقع أشبه بملوك الطوائف وذات طابع دينى ، بينما قامت الدولة الآشورية على طبقة الزراع . ولأن الزراع كانوا يكونون الجيش الآشورى فقد كانت الحرب والإغارة حرفتهم . وبناء على هذا فليس هناك مايدعو إلى العجب إذا أصبحت الدولة الآشورية دولة حربية قوية ،ومن السمات التى تميزت بها الدولة الآشورية الوحشية والقسوة البالغة مع المغلوبين ،والأعجب أنهم اعتقدوا أن هذه القسوة ترضى الآلهة ، مثال ذلك أن أحد ملوكهم كان يسمل عيون اسراه بيده .

واستمرت تلك الدولة مايقرب من الف عام ، ووسعت حدودها من كل ناحية ، فقضت على دولة الحيثيين فى الناحيـــة الغربية والجنوبية الغربية .

وأخضعوا الفينيقيين وفلسطين وهاجموا مصر من الناحية الشرقية والجنوب الشرقى حتى جبل دماوند ، وتقدموا فى صحراء إيران الكبرى وأخضعوا الميديين والپارسيين . وأحدثوا بعيلام من التخريب والتدمير ما أعجزها عن أن تقوم لها قائمة لعدة آلاف من السنين ، ثم انقرضت الدولة الآشورية بعد ذلك على يد الميديين ، وكانت اللغة الآشورية هى نفس اللغة البابلية ، وكان الخط الآشورى هو نفس الخط المسمارى البابلى ، وخلف ملوك هذه الدولة كثيراً من النقوش والكتابات الكثيرة لأنهم كانوا مهتمين بتسجيل أحداثهم . وصنع الآشوريون ألواحهم من الفخار الذى كانوا يصهرونه فى النار بعد الكتابة عليه ، ثم يحفظونها . وبتلك الطريقة أوجدوا النقوش والمكتبات .

وتم اكتشاف هذه اللوحات نتيجة للحفريات بعد أن واراها التراب ، بسبب تدمير نينوى ، فأضحت الآن شعاعاً جديدا يضىء ماغمض من التاريخ القديم . ويوجد الآن فى متحف اللوفر بباريس بضعة آلاف من تلك الألواح التى كشفت النقاب عن تاريخ الآشوريين فأضحى واضحاً تماما .

وخلف الآشوريون كذلك كثيراً من الآثار الصناعية ، وكان الملوك الآشوريون يعتبرون أن عليهم واجبين ، الأول الحرب والثانى بناء المدن الجديدة التى يتم بناؤها على كاهل الأسرى . ونتيجة لهـــذا أحرزت فنون العمارة والنحت ، والنقش على الحجر ونقش الصور البارزة على الحجر[1] تقدما جديراً بالتقدير والإعجاب. ومن بعض أعمال الآشوريين مايظهر جيداً الملوك أو مجالسهم بالحجم الطبيعى (بخاصة حركات الحيوانات مثل الجياد والغزلان وغيرهما) مما أثار دهشة أساتذة أوروبا الحاليين، وكان الآشوريون مهرة كذلك فى صناعات أخرى كصناعة المصوغات الذهبية والخواتيم ، وصناعة الاجر وتلوينه وغيرها، واقتبس الفينيقيون كثيراً من نماذجهم ونشروها فى العالم القديم وقلدت أوربا بعد ذلك هذه النماذج . وظهرت الصناعة فى تلك البلاد . وينقسم تاريخ آشور إلى ثلاثة عهود، لايرتبط الأولان منها بتاريخ العيلاميين، فلنتحدث الآن عن العهد الثالث الذى يمتد من ٧٤٥ — ٦٠٦ ق . م .

العهد الثالث : آشور الحديثة: كان سارگن Sarken[2] الثانى أشهر ملوك هذه الفترة من ٧٢٢ — ٧٠٥ ق . م وقد اسس أسرة الحكم الجديدة ، ومنذ ذلك الحين بدأت تبعية آشور للعيلاميين . وخلاصة هذه الحروب التى نشبت بين هاتين الدولتين القويتين كما يلى :

حروب آشور وعيلام :

لم تكن عيلام مجاورة لآشور حتى ذلك العهد ، لان سكان المناطق الجبلية كانوا يفصلون بين هاتين الدولتين . ولكن منذ زمن تيگلات پيليسر الرابع Tiglathpilier حارب الآشوريون سكان الجبال ، وأخضعوا جزءاً منهم خضوعا تاماً ، وتركوا آخرين ينعمون بشىء من الاستقلال . واتحدت

---

(١) يطلق على هذا النوع الحجرى بارليف

(٢) يسمي بالاشورية شروكين .

عيلام خوفا مما يخبئه لها المستقبل مع البابليين الذين كانوا يعانون من وطأة سيطرة الآشوريين ، ليحافظا على بلادهم من الغزو الآشوري . ولكن سارگن حين علم بخبر هذا الاتحاد لم يمكنهم من ذلك ، ولم يعطهم فرصـــة لتحقيق مايرغبون ، وهاجم عيلام قبل وصول الامدادات إليهم . وفي ذلك الحين كان الآشوريون يفوقون العيلاميين وذلك لأن الآشوريين كانوا أولا أكثر رقيا وحضارة من العيلاميين .

وثانيا كان نظام الفرسان متفوقا على مثيله العيلامي من حيث العدة والتشكيل والقيادة . ثالثا كانت أسلحة آشور متفوقة بمراحل على أسلحة عيلام . ورغم ذلك فقد كان العيلاميون رجال حرب أشداء وقاوموا الضغط الآشوري ولذا لم يتمكن الآشوريون من التقدم ، فتقهقروا وهذا يعني الهزيمة . وتعرف هذه الحرب باسم حرب دوري لو (بين ٧٢٢ - ٧٠٥ ق . م) نسبة إلى المكان الذي حدثت فيه .

تولى عرش الآشوريين بعد سارگن الثاني سيناخريب Sinnacherib . وفي تلك الاثناء حاصروا كالودوس ملك عيلام وقتلوه . واستفادة من هذه الواقعة ، دخل ملك آشور سهل وادي شوش الفسيح عن طريق جنوب عيلام واستولى على أربع وثلاثين قلعة وبرجا وخربها وأسر أهلها وعاد بهم إلى آشور .

وفي تلك الأثناء اختار العيلاميون كودورنا خونتي Kudur Nakhundi ملكا عليهم . ولكنه تحصن بالمنطقة الجبلية ، ولم يتخذ من الخطوات ما يحول دون تقدم الآشوريين الذين رأوا هذا الوضع فهاجموا ما راكتو في اقليم الجبال ولكن سرعان ما تقهقروا إلى آشور . لعدم صلاحية الأودية الجبلية للمرور لكثرة ما بها من أمطار وثلوج .

وقبض العيلاميون على كودورناخونتي لما أبداه من عدم اكتراث ، وقتلوه عام ٦٩٢ ق . م واختاروا بدلا منه اوم مان ميناتو Um Man Minanu فأعاد هذا الملك تنظيم الجيش العيلامي ، وشد من أزره وأضحى قويا لدرجة

أن البابليين سارعوا بالاتحاد مع العيلاميين للوقوف أمام الآشوريين ، وأرسلوا للعيلاميين كثيرا مما تحويه خزائن آلهة البابليين (أرباب الانواع) لتجهيز الجيش العيلامى ، ولذا كانت الحرب التى اشتبت بعد ذلك دموية بصورة حادة ،

وقد أبدى الطرفان بسالة فى القتال ، ورغم مقتل السردار العيلامى فقد قاوم العيلاميون مقاومة شديدة وانتهت الحرب دون نتيجة وعاد الفريقان إلى موقعيهما .

تولى (آسود حيدون) عرش آشور بعد سينا خريب . وحينما رأى خالداش الثانى ملك عيلام ان ملك آشور مشغول فى أماكن أخرى ، هاجم مملكة بابل وشن كثيرا من الغارات وتقدم حتى مدينة سيب پار ورجع إلى مدينة شوش محملا بالغنائم الكثيرة ٦٧٤ ق . م حيث توفى بعد عدة أيام ، وتولى أخوه أورتاكو Urtaku فاستقرت الروابط بين آشور وعيلام ، وأسفر عن ذلك أن آشور ساعدت عيلام حين مسها القحط واستردت عيلام تمثال الاله سيب پار الذى كان جزءاً من الغنائم .

وفى عهد حيدون وصلت آشور الى أعلى درجة من القوة والمنعة ، فلم تبق أية دولة لم تتبع الآشوريين فى آسيا غير عيلام .

آشور بانيپال وحروبه :

تولى آشور بانيپال عرش آشور سنة ٦٦٩ ق . م ، وقد ركز كل قواته واهتمامه لاخماد ثورة المصريين وافاد العيلاميون من هذا الموقف فأغاروا على مملكة بابل وحملوا منها الغنائم .

ولكن سرعان ما توفى اورتاكو ، وتولى أخوه تى اومان Teumman وكان التغيير فى السلطة سببا فى مصائب لا حصر لها ذلك لأن الملك الجديد أراد قتل ابناء أخيه جميعا ، فنتج عن ذلك فرار ستين أميرا من عيلام ، ولجأوا إلى بلاط آشور حيث قابلهم ملك آشور بالاحضان ، حتى يستفيد من الحروب بين أفراد الأسرة المالكة فى اضعاف عيلام ثم يقضى عليهم جميعا .

وفى تلك الأثناء ، طلب تى أومان من ملك الآشوريين إعادة الفارين إلى عيلام فأبى ونشبت الحرب . ولأن جيش آشور وصل سريعا إلى حدود عيلام ولم تكن قوى عيلام قد اكتملت بعد ، فقد تقهقر الملك العيلامى حتى مدينة شوش ليكمل استعداداته على مهل ، وحتى يحصل على مزيد من الوقت وتحين الفرصة المناسبة ،وأرسل أحد قادته إلى القائد الآشورى لاجراء مفاوضات صلح بينهما ، ولكن السردار الآشورى أدرك ما يقصده السردار العيلامى فقتله حتى تبدأ الحرب .

فتحارب الطرفان حربا لا هوادة فيها فأنزلت آشور هزيمة بميسرة عيلام عند نهر كارون وأغرقوها مما دفع الملك العيلامى الذى كان يحارب بنفسه إلى شن حملات متتابعة على الجيش الآشورى حتى اعترته سآمة .

وحينما أراد الخروج من ميـــدان القتال أسر وقطع الآشوريون رأسه ، وحملوها إلى نينوى وتعرف هذه الحرب بـ تولليز Tulliz وكانت عام (٦٥٩ ق . م) .

وحين وصلت أنباء هزيمة الجيش العيلامى شوش أسر مؤيدو الأمراء الفارين معارضيهم ، وقيدوهم بالسلاسل ، وأظهروا سرورهم بتلك الهزيمة . وبعد ذلك أختار الملك الآشورى الابن الأكبر لاورتاكو المسمى (خوم بان إيكاش) ملكا لعيلام ، وأخذ الاشوريون الجزية من العيلاميين ورجعوا إلى نينوى .

وكانت هزيمة عيلام سبب احتفالات كثيرة فى آشور ، لأن عيلام كانت الدولة الوحيدة التى تنافس آشور فى ذلك الوقت ، والعدو اللدود المتوارث لها.

وبعد هذه الحرب هاجم (آشور بانيبال) أخاه الذى كان يحكم فى بابل ، وبقى الملك العيلامى فى بداية الأمر محايدا ، ولكن حين أراد الملك الآشورى من العيلاميين استعادة تمثال الاله نه نه ربة النوع للإله ارخ ،وجد الملك العيلامى نفسه فى وضع لا يحسد عليه . ذلك أن هذا التمثال ظل فى شوش قرونا عديدة،

وحيث أن العيلاميين قد سوء كثيرا لذا كانت اعادته أمراً صعبا عند الملك العيلامي ومغايراً لما يجب فعله . وفى تلك الأثناء أرسلت بابل إلى ملك عيلام أموالا من خزائن آلهة البابليين ، فأجبرت عيلام على الاتحاد معها نظراً لظروفها القاسية ،واجهت آشور الفتن والحروب الداخلية فى الدولة العيلامية ، ونتج عنها قيام تام مارى تو Tam—Maritu باعتقال أخيه ملك عيلام ثم قتله ، وتولى العرش مكانه ، ولكنه بعد فترة شرب من نفس الكأس الذى أشربه أخاه . فقد ثار عليه أحد تابعيه ويعرف بـ ايند بغاش Jnda—Bugasch مما أضطره إلى الفرار إلى الخليج بعد أن ذاق مرارة الهزيمة ، وقبض عليه فى نهاية الأمر . وحمل أسيرا إلى نينوى حيث عامله آشور بانيبال معاملة حسنة لأنه كان يود إعادته إلى عيلام تنفيذا لما يدور فى خياله .

وبعد أن فرغ الملك من أمر بابل صمم على وضع حد لأمر عيلام ، حتى يريح فكره من أمر هذا العدو اللدود . ولكن ايند بغاش الذى لم يتخذ ما يجب عليه من عون تجاه مدينة بابل ، سارع بإرسال السفراء إلى ملك آشور بعد سقوط بابل فلم يحسن استقبالهم ، وطالب بعودة الكادانيين الذين كانوا قد هربوا إلى عيلام بعد ما قدموه من عون ابان ثورة البابليين .

وفى تلك الأثناء قتل الأشراف ايند بغاش وأجلسوا مكانه خوم بان كالداش Khumban—Kaldasch فاستفاد الملك الآشورى من تلك الظروف وأجلس تام مارى تو على عرش عيلام . ولكنه حين تولى السلطة ، بدأ يدبر الثورة عند الآشوريين ويحرض عليهم .

ولكن أمره هرى قبل تنفيذه ، وعلى أثر ذلك تم اعتقاله وايداعه السجن وأغار الآشوريون على تلك المملكة وعادوا إلى نينوى محملين بالكثير من الغنائم .

سقوط عيلام : وفى عام ٦٤٥ ق . م كان الملك الآشورى الذى لم يكن

راضيا عن نتائج حروبه وغزواته يتذرع بحجة لحرب عيلام ، وتحقيقا لهذا الهدف أرسل (تام مارى تو) إلى عيلام ، وطلب من (خوم بان كالداش) إعادة الكلدانيين المشار اليهم وإعادة تمثال الإلهة نه نه ، وكان قبول الملك العيلامى لهذا المطلب يساوى موته تماماً . ولذا عقد العزم على المقاومة . فهاجم الاشوريون شوش حيث استولوا ماوسعهم الاستيلاء على كل مافى خزائن الملوك العيلاميين التى غنموها خلال الحروب السابقة من ذهب وفضة مما قدم البابليون إلى العيلاميين أثناء اتحادهما. ونقل الآشوريون إلى نينوى بالاضافة إلى ذلك تماثيل المعابد العيلامية ومابها من نفائس وماوجدوه من ثروات داخل المنازل يضاف إلى هذا أن الاشوريين لم يكتفوا بالقتل والتخريب ، بل استخرجوا عظام الموتى من الملوك وكبار العيلاميين من قبورهم ،وأرسلوها إلى نينوى .

وكان سلوك الآشوريين فى عيلام من القسوة بحيث وصف أحد ابناء بنى إسرائيل هذه المملكة وما أصابها من التقتيل والتخريب بأنها أشبه بمقبرة[1] . واستولى الملك الاشورى على تمثال الالهة نه نه إلهة مدينة إرخ لمدة خمس وثلاثين وستمائة وألف سنة ، واعاده إلى مدينة إرخ . وبعد أن قتل الآشوريون من العيلاميين من قتلوا ، واغاروا على ما أغاروا وأخذوا من ثرواتهم ما أخذوا أسروا عدداً كبيراً من أهالى مدينة شوش وغيرها من المدن .

وتمكنوا بعد فترة من القبض على (خوم بان كالداش) الذى كان قد نجح فى أن يفلت وهو آخر ملوك عيلام ،وأوثقه آشور بانيبال هو و(تام مارى تو) ملك عيلام السابق بعربته. وجر الاثنان العربة الملكية حتى معبد (آشور) و (ايش تار) إلهى آشور . وهذه ترجمة لنقش آشور بانيبال عن فتوحاته فى عيلام :

« ضممت مدينة شوش وما داكتو ومدناً أخرى إلى آشور ، واكتسحت

---

(١) يقول حزقيال : (هذه هى عيلام التى قتل جميع سكانها على اطراف قبرها واريقت دماؤهم) .

الدولة العيلامية بأسرها فى شهر ويوم ، وحرمت تلك المملكة من عبور الحشم والأغنام وأيضا من نغمات الموسيقى ، وأذنت للوحوش والأفاعى وحيوانات الصحراء والغزلان أن يسكنوها » .

وقد إشتهر آشور بانيبال فى التاريخ بأنه رتب مكتبة عثر عليها وحصل الباحثون من الآثار المذكورة على معلومات قيمة تتعلق بتاريخ آشور وما جاورها من ممالك . كما أن هذا الملك فضلا عن جمعه الألواح الآشورية ، نقل اللوحات البابلية وحفظها . وتصل الألواح المذكورة إلى عدة آلاف ، وهى الآن موجودة فى المتحف البريطانى بلندن محل دراسة وتحقيق وبحث علمى .

الخاتمة :

وكما اتضح من تاريخ عيلام ، فان العيلاميين قد أحدثوا نوعاً من الحضارة والتقدم الصناعى ، وتعهدوه بالتحسين . وأوجدوا لأنفسهم خطا ، وان لم يستطيعوا ايجاد تنظيم سياسى لأنفسهم فى أى وقت يخرجهم من سمة ملوك الطوائف ، وبخاصة سكان المنطقة الجبلية الذين كانوا دائما يعيشون نصف مستقلين أو مستقلين استقلالا تاماً . ومع هذا فقد حافظ العيلاميون على قوميتهم عدة آلاف من السنين ضد هجمات رجال أقوياء كالسومريين والاكاديين والدول القوية الأخرى كالبابلية والسومرية بل أنزلوا بهم أحيانا هزائم قاسية ومع أن عيلام جثت على ركبتيها نتيجة لما أصابها من صراعات داخلية فقد ظلت صامدة .

وعلى كل حال فقد محيت الدولة العيلامية من الوجود عام ٦٤٥ ق . م ، وطوتها يد النسيان بمروز الايام ، وبلغ ما أصابها من نسيان أن مؤرخى الشعوب القديمة كاليونانيين وغيرهم ، لم يعلموا شيئا عن تاريخها وإلا ما قال استرابون العالم الجغرافى القديم أن كورش الكبير جعل عاصمته شوش لأن أهلها كانوا خاضعين دائما إلى دول أخرى ، وانهم لم يحرزوا شيئا يذكر .

ونلاحظ فى مالمير[١] بختيار فى (شكفت سليمان) كثيرا من الآثار التى خلفها العيلاميون . ومما يدعو للاسف أن هذه الآثار قد خربت باستثناء مالم تصل اليها يد التخريب والتدمير . وقد عثر الباحثون هناك على نقوش حجرية بارزة كتبت بالخط المسمارى الشوشى والانزانى ، ويعتقد الباحثون أنها ترجع إلى القرنين الثانى عشر ق . م ، وقد وجد فى هذا المكان أعمدة بابلية عن القرن الخامس ق . م . وأختام ومسكوكات أشكانية وساسانية واشياء أخرى كثيرة .

---

(١) مالمير او مال امير تبعد عن شوشتر بمسافة ١١٥ كم من الشرق أو ستة عشر فرسخا .

تاريخ آريى إيران

مقدمة : حين قدم الآريون إلى ايران انقسموا إلى طوائف وأقوام عدة، واحتل كل قوم أماكن من الهضبة الإيرانية ، وعاشوا عيشة ملوك الطوائف وأهم هذه الاقوام طبقا للترتيب التاريخى ثلاثة أقوام :

الميديون — البارسيون — البارثيون . وقد شكل هؤلاء عبر التاريخ القديم دولا كبرى ، وأنجزوا أعمالا مهمة ، وكانت هناك أقوام أخرى غير هذه الاقوام كالباختريين فى باختر ، والكرمانيين فى كرمان ، والركانيين فى جرجان ، والهرخواتيين فى رخج (جنوب أفغانستان الحالية) وغيرهم مما سيرد ذكر كل منهم فى موقعه المناسب . ومن بين آريى إيران الذين عاشوا فى أطراف الهضبة الإيرانيـــة ، وبجوارها يجب الاشارة إلى قومين بصفة خاصة :

١ — الآرانيين ، الذين استوطنوا الولايات الواقعة بين أرس وكورا وبحر الخزر .

٢ — الآلانيين أو الآسيين الذين عاشوا خلف جبال القفقاز من الناحية الشمالية [1] .

ويمكن تقسيم تاريخ آريى إيران إلى أربعة أقسام :

الأول العصر القديم ، الذى يبدأ من أواخر القرن الثامن ق . م وينتهى فى منتصف القرن السابع الميلادى .

والثانى ويعرف بالعهد المتوسط ، ويمتد من منتصف القرن الأول الهجرى حتى بداية الحكم الصفوى . ويمكن تقسيم هذا العهد قسمين، الأول حتى ظهور المغول ، والثانى من هجوم المغول على ايران حتى قيام الدولة الصفوية . والعصر

(١) عاشت بعض الاقوام السكائية حول الهضبة الايرانية أو فى مناطق منها مثل قوم داه حوالى منطقة جرجان . ولذا عرفت تلك المنطقة باسم دهستان . وبعض هذه الاقوام كان من سكان الخيام فى منطقة فارس مثل الداهيين والدروبيكيين وغيرهما .

الثالث يمكن تسميته بالجديد إلى حد ما ، ويمتد من فترة الحكم الصفوى حتى بداية الانقلاب الدستورى فى إيران ، والرابع ويمتد من الانقلاب الدستورى حتى اليوم .

ويمكن تقسيم تاريخ ايران القديم إلى مراحل تاريخية كذلك .

الاول عصر الميديين .

والثانى فترة الحكم الاول للفرس .

والثالث فترة الحكم المقدونى والسلوكى .

والرابع فترة حكم البرت .

والخامس الفترة الثانية لحكم الفرس ، ويمكن أن نوضح تاريخ هذه المراحل الطويلة التى تمتد أربعة عشر قرنا طبقا لنوعين من المصادر .

الاول نستطيع أن نتبين أحداثه ووقائعه طبقا لما كتبه المؤرخون الأجانب بطريق مباشر أوغير مباشر ،والنقوش التى خلفها الملوك الاكيميون والساسانيون والكتب الدينية وغير الدينية التى خلفها آريوايران ، والمسكوكات وما اسفرت عنه الحفريات التى أجريت فى المناطق التاريخية فى الدول الاسيوية والافريقية القديمة .

أما المصدر الثانى فيتمثل فى القصص التى تناولتها وحفظتها الصدور جيلا بعد جيل ، والتى جمعت فى العصر الساسانى ثم دونت وأضحت مصدراً للتأليف فى القرون الإسلامية . وأشهر تلك الاعمال ما أبدعه أبو القاسم الفردوسى الطوسى فى قمة أعماله وهى الشاهنامه . ومن الواضح أن المصدر الأول تعلو كفته وتتفوق على المصدر الثانى من حيث الأصالة والصدق التاريخى . أما المصدر الثانى وهو القصص فقد تناولتها الاجيال جيلا بعد جيل شفاهة ،

وأضفت عليها كثيرا من الزيادات والإضافات . ففقد الصدق وضاعت الحقائق التاريخية فيها . وذلك أن أحداثا كثيرة لفترات معينة أضيفت ونسبت إلى فترة أخرى ، ونقلت اسماء اشخاص من فترة لأخرى دون ادنى التفات ، وكثير من الوقائع الهامة والملوك العظام كانت فى هذا القصص نسياً منسيا .

ومن هنا يتضح أننا لكى نتحرى الدقه والصدق فى التأريخ لايران القديمة لا بد لنا من الإعتماد على المصدر الاول ثم ننظر بعد ذلك فى القصص القديم علنا بمقارنتها مع التاريخ ، نستطيع أن نصل إلى تصور كلى له .

أما فيما يتعلق بالمصدر الاول ، فيجب القول بأنه قبل أن يتمكن المستشرقون من قراءة النقوش الإيرانية والاشورية والبابلية والمصرية وغيرها ، وقبل إجراء الحفائر فى الاماكن التاريخية ، كان ما كتبه المؤرخون اليونان والرومان والأرمن والعرب المصدر الوحيد للتأريخ لايران فى عهودها القديمة . ولكن منذ حدوث هذا التقدم المذكور ، اتضحت كثير من الحقائق ، وصححت بعض الاحداث والاسماء الخاصة بالملوك وكبار رجالات ايران التى أخطأ اليونان فى كتابتها وفقا للغاتهم ، فنعرفها الان بأسمائها الصحيحة .

وقد راعينا فى هذا الكتاب هذا النهج الذى يقوم على ذكر أسماء الملوك والرجال والاماكن طبقاً لما أوردته النقوش والالواح القديمة التى عثر عليها فإذا لم يتوفر ذلك كتبناها كما كتبها المؤرخون القدامى . ويجب أن نقر بأننا لم نقف على تاريخ ايران القديم تمام الوقوف لان المؤرخين اليونان والرومان وغيرهم ذكروا الوقائع التى ترتبط بدولهم مع ايران أو التى حدثت على حدود إيران الغربية . وكم من الحوادث حدثت داخل ايران أو على حدودها الشمالية أو الشرقية وطوتها يد النسيان . ورغم هذا فإن الابحاث والحفريات المتتابعة

تجعلنا نأمل بأن تاريخ ايران القديم سيصبح أكثر وضوحاً مما هو عليه الآن، وبخاصة بعد الإنتهاء من الحفائر العلمية التي تجرى في الاماكن التاريخية بايران[1].

ما خلفه اليونان القدماء عن تاريخ ايران القديم :

خلف كثير من المؤلفين اليونان وغيرهم كتبا تتعلق بتاريخ إيران القديم ، وسيأتي ذكر كل واحد منهم في موضع ، ولكن لان هذا الكتاب يضم بين دفتيه أسماء كثير من المؤرخين اليونان ، نرى لزاماً علينا التعريف بهم مقدماً ولو بصورة مختصرة ، وأشهر هؤلاء هم :

١ — هيرودوت المؤرخ اليوناني الملقب بأبي التاريخ ، وهو من أهالي هاليكارناس المستعمرة اليونانية بآسيا الصغرى والتي كانت تابعة لايران ، عاش من عام ٤٨٤ ق . م إلى ٤٢٥ ق . م . وقد جاب هذا المؤرخ ممالك الشرق في سياحات متعددة ، وكتب عن تاريخها . أما ما كتبه عن تاريخ ايران فاننا إذا تجاوزنا عما فيه من تصحيف في كتابة الاسماء ، وما سجله من جانب اسطوري ، وإذا صرفنا النظر عن أن هيرودوت قد دون كل ماترامى إلى سمعه ، وإذا أخذنا في الاعتبار أنه في نهاية الأمر رجل يوناني ، وأنه كان غير راض عن سيطرة الإيرانيين على موطنه ، نرى أن كتاباته على الرغم من كل ماسبق ليست بعيدة تماماً عن الصواب . لأن نقوش دارا وسائر النقوش والتحقيقات التي أجريت تؤيد أقواله في كثير من الاحيان[2].

---

(١) لا مغالاة في القول بان الحفائر والتحقيقات الجديدة في آشور وبابل ومصر وغيرها قد قلبت تاريخ الشرق القديم رأسا على عقب مما كان عليه منذ مائة سنة وذلك بقدر ما أمدتنا هذه الحفائر من الاسانيد ، وهذه لما توضع مفهرسة في كتاب كبير واحد ، التتزايد موادها مما تحتاج دراسته الى سنوات طوال . ولكن هذا الكشف لم يتسن بعد لتاريخ ايران القديم ، وقليل منه يمس تاريخ ايران ، ذلك أن الحفائر في الامكنة التاريخية الايرانية لم يجر كاملا باستثناء موضوعين قط ، ومن هنا نقول ان كتابات المؤرخين القدماء تعد حتى الان مصادر هامة لتاريخ ايران القديم .

(٢) ذكر المؤلف نفسه انه يكتب كل ما يسمع ، ولكنه ليس مضطرا لتصديق كل ما يكتب .

٢ — كته رياس Ktesias مؤرخ يونانى ، كان طبيباً لأردشير الثانى ذا حافظة قوية . كتب تاريخ ايران والهند ، ولكن كتاباته عن تاريخ ايران ليست جديرة بالاهتمام سوى تأريخه للفترة التى عاصرها .

٣ — كزنفون Xenophon المؤرخ اليونانى الذى عاش من ٤٣٠ إلى ٣٥٢ ق.م وكان من تلاميذ الفيلسوف سقراط ، وخلف كثيرا من المؤلفات من بينها كتاب ألفه عن حرب كورش الصغير بعد تقهقر عشرة آلاف جندى يونانى بعد قتله فى كوناكسا ، وكتاب ألفه فى تربية الاطفال والشباب ويعرف بـ كوروپدى أوسيروپدى أى (تربية كورش) لانه طبقا لخياله قد انتخب كورش الكبير .

٤ — بلوتارك Plutarque المؤرخ اليونانى الذى عاش من ٥٠ إلى ١٢٥ م ، وكتب كتابا عن مشاهير الرجال عند اليونان والرومان ، ويتعلق جزء من هذا الكتاب بتاريخ ايران .

٥ — استرابون Strabon العالم الجغرافى اليونانى الشهير ، الذى ولد فى احدى ولايات آسيا الصغرى المعروفه بكاپادوكيه وتوفى فى أوائل القرن الاول الميلادى . وقد كتب هذا العالم كتابا فى جغرافية العالم آنذاك ، ويعد أحد الكتب النفيسة ، ذات الفائدة التاريخية الجمة ,

الباب الأول

دورة الميديين[1]

مقدمه : الميديون أقوام آرية الجنس ، أسسوا مملكة الميديين فى بداية القرن السابع ق . م ، وليس معلوماً يقينا متى قدم هؤلاء إلى إيران ، واستوطنوا آذربايجان وكردستان الحالية ؟ يغلب على الظن أنهم قدموا ايران فى القرن العاشر ق . م . ويعتقد برس[2] المؤرخ الكلدانى أن الميديين فى الأزمنة الغابرة قد سيطروا على بابل واستمر حكمهم بها ٢٢٤ سنة . ولكن الباحثين يعتقدون أن شعبا قد غادر الهضبة الإيرانية واستولى على بابل ، وأن برس سمى هذا الشعب فى القرون التالية بإسم ماد نسبة إلى موطنهم . وقد أطلق سلم نصر الثالث الذى توجه فى عام ٨٣٧ ق . م إلى منطقة كردستان لشن حرب عليها ، اسمين على نوعين من الأقوام : الأول (پارسوا) والثانى (آمادای) . وكما يقول هذا الملك فإن القوم الأول استوطن منطقة الجبال الممتدة بين نهر ذهاب ودياله ، واستوطن الشعب الآخر الأودية والسهول المحيطة بتلك المنطقة .

وشعب الآمادايين هو الشعب الميدى ، لأن الآشوريين فى الأزمنة اللاحقة كانوا يطلقون عليه هذا الإسم [أى الميديين] . وظل الميديون تابعين الآشوريين زمنا طويلا ، وقد تكررت غزوات الآشوريين وحملاتهم على منطقه كردستان والمناطق المجاورة لها . كما أشار إلى ذلك (شمشى أداد) الرابع (٨٢٤ —

---

(١) اطلق دارا الاول على هذه المملكة ماد وأصبحت فى العصر الساسانى ماى، وفى القرون الاسلامية ماه ، فكان يقال ماه بصره ، ماه نهاوند وغيره ، وتجمع ماهات، وتعرف فى المصادر العربية باسم مملكة الميديين .

(٢) مؤرخ عاش فى القرن الثالث ق.م ، وكتب تاريخ كلدة وآشور ، ولكن كتاباته فقدت ، ونقل مؤرخون آخرون عنها فى كتاباتهم .

٨١٢ ق . م) حين ذكر إسم الميديين بين الدول الخاضعة للآشوريين التى تؤدى لهم الجزية . وفى عام ٧٤٤ ق . م حارب (تيكلات بيليسر) الثالث الميديين وأخضع جميع طوائفهم وأسر ستين ألفا وعاد إلى عاصمته (كالاه) محملا بالعديد من الغنائم من الخراف والجمال وغيرها . وأغار أحد قادته على المناطق المجاورة حتى جبل دماوند واعتقد أن هذا الجبل آخر الدنيا .

وفى عام ٧٢٢ ق . م حارب سارگن الثانى الفلسطينيين وأسر شعب بنى إسرائيل ، وأرسل عدداً من الأسرى إلى المدن الميدية . وبعد فترة حارب هذا الملك أيضاً شعب (مان ناى) الذى سكن أذربايجان والشاطىء الجنوبى من بحيرة أورميه ، وأسر رئيس هذا الشعب الذى كان يسمى (ديا أكو) وبعث به إلى الشام عام ٧١٥ ق.م . ويعتقد الاشوريون أن هذا الشعب كانت له صلات قربى مع الميديين .

وإبان حكم الملك (آسور حيدين) عبر الجيش الآشورى دماوند حتى وصل إلى حافة الصحراء الكبرى وغنم مغانم كثيرة ، وأسر ملكين يعرفان ـ (سى ديرپارنا) و (إپارنا) ، وتوجه الملوك الآخرون إلى نينوى حاملين الهدايا إلى الملك الآشورى طالبين منه الحماية . وكان من بين الهدايا كثير من اللازورد . وكان اللازورد الإيرانى ينعم بشهرة فائقة ، وقد حمل الآشوريون من منطقة دماوند كثيرا منه . ويذكر هيرودوت أن الميديين كانوا يسمون قديما بإسم الآريان أى الآريانيين ، ثم أطلقوا على أنفسهم بعد ذلك إسم الميديين . وقد كتب هذا المؤرخ أن هذا الشعب انقسم إلى ست طوائف[1] .

وكان الميديون يملكون الكثير من العبيد والأنعام ، وكانوا يعملون بالرعى ويتحركون فى عربات . وكان الأب الرئيس المطلق للعائلة التى تتكون من

---

(١) اسماء هذه الطوائف : البوزيون ـ البارتاكن ـ الاستروخات ـ الارى زنت ـ البودين ـ المغان .

عدد من الزوجات ، وكانوا يعرفون الذهب والفضة ، و يعرفون أيضاً نوعاً من الصناعة البدائية شديدة الخشونة . وبعد أن إستقروا فى موطنهم (آذربايجان وكردستان وغيرهما) مارسوا الزراعة واستوطنوا المدن . وعلى الرغم من هذا فقد كانوا يعيشون متباعدين ، وإنما يتحدون فى أوقات الخطر والمحن . ويذكر هيرودوت أن الميديين ظلوا تابعين لآشور خمسمائة عام ، ولكن طبقاً للنقوش الآشوريه فإن هذه التبعية لا تتجاوز قرنين من الزمان فيما يبدو . وفيما يتعلق بتاريخ الميديين فبين كتابات هيرودوت وكتزياس تباين، لأن ما كتبه كتزياس غير جدير بالتصديق، لذا تابعنا ما كتبه هيرودوت. ويمكن أن نخلص من كتابة كتزياس أنه ذكر أسماء الأمراء الميديين أيام أن كانوا ملوك طوائف ، وأنه نتيجه لذلك أضافهم إلى أسماء الملوك[1] .

---

(١) يذكر كتزياس أسماء الحكام وسنوات حكمهم على النحو التالى :
أرباكيس (٢٨ سنة) ، مانوداكس (٥٠) سوسارمس (٢٨) ارتى كاس (٥٠) اربى يانيس (٢٢) ارتايس (٤٠) ارتى نيس (٢٢) اس تى براس (٤٠) اسبنداس (٢٥) اس تى كاس (٣٥) .

الفصل الأول

الملوك الميديون

ديا أكو وتأسيس دولة الميديين :

كما يتضح مما كتبه هيرودوت فإن شخصا يعرف بإسم ديوكس بن فرا أرتس وكان دهقانا — كان محل تقدير واحترام ومشورة العامة لما تميز به من العدل والإنصاف ، أى أن الناس كانوا يلجأون اليه لفض ماشجر بينهم من منازعات وخصومات ، ثم تخلى عن كل ذلك متعللا بأنه لا يستطيع الفصل فى الأمور الشخصية أو التدخل فيها ، عندئذ زادت السرقات والجرائم فاجتمع الناس وعينوه ملكا عليهم ، فعين له مستحفظين واختار مكانا يعرف بإكباتان عاصمة له (وردت فى النقوش الآشوريه أمدانا وكتبت فى النقوش الهخامنشية هنگ متان أى مكان الإجتماع ويعرف الآن بهمدان) وكانت هذه المدينة موجودة قبل ديوكس أيضاً ودمرها السلاطين الآشوريون فى القرن الثانى عشر ق.م[1] ، ولكن هذا الملك أعاد اليها رونقها وجعل منها مدينة جديدة وأحاطها بسبعة أسوار يعلو كل جدار منها الآخر ، ويشرف ويسمو الجدار الداخلى الأخير منها على باقيها . وشيدوا قصر الملك فى القلعة السابعة وزينت وطليت ابراجها باللون الذهبى وخططت ابراج سائر الجدران بالوان مختلفة، وكانت هذه الألوان فى بابل تمثل الكواكب السيارة السبعة[2] وكانت تقليداً فى هذه المدينة .

---

(١) وعلى هذا فمدينة همدان مدينة ذات تاريخ يمتد ثلاثة الاف سنة ، ومن الممكن انها كانت من بين المدن العامرة التى لا نظير لها انذاك .

(٢) الكواكب السيارة طبقاً لعقيدة القدماء هى : القمر — عطارد — الزهرة — الشمس — المريخ — المشترى وزحل وهى بالفارسية : ماه — تير — ناهيد — مهر — بهرام — هرمز — كيوان .

وتقليدا لما كان عليه الحال فى بلاط الآشوريين فقد سن ديوكس قوانين ومراسم الإستقبال ومن ذلك مثلا : لم تكن مقابلة الملك وجها لوجه جائزة ، بل كانت الطلبات تقدم إلى شخص معين .

وقد حكم هذا الملك من ٧٠٨ أو ٧٠١ إلى ٦٥٥ ق . م . وقد بذل قصارى جهده فى تلك الفترة الطويلة فى تجميع وتوحيد طوائف الميديين، وكان رجلا سعيد الحظ ومن ذلك أن سلطان الآشوريين (سينا خريب) قد شغل ببابل وعيلام، ولأن مملكة الميديين كانت تؤدى ما عليها من جزية للآشوريين بصورة منتظمة، فلم يكن لدى الآشوريين أى مبرر للتدخل فى شئون الميديين ومملكتهم .

فرورتيش (٦٥٥ — ٦٣٣ ق . م) أو فرآ أرتس كما يقول اليونانيون، تولى العرش بعد أبيه ،واقتفى أثر والده فى الحفاظ على العلاقات الودية مع الآشوريين ولكنه من الناحية الشرقية أخضع أقواما آخرين كانوا من الجنس الآرى وكانت لهم صلات قربى مع الميديين . كما أخضع فارس فى ذلك الوقت لمملكته ، ولكن الميديين بعد أن أحرزوا ما أحرزوا من انتصارات فى المشرق أرادوا الخلاص من قيد الآشوريين والامتناع عن دفع الجزية ،ولكن جيشهم غير المدرب لم يستطع مواجهة جيش الآشوريين المثالى الذى اكتسب خبرة فى حروبه مع العيلاميين فلقى الهزيمة وقتل الملك أيضاً عام ٦٣٣ ق.م .

هووخ شتر (يسميه اليونانيون كيا كسار) :

استفاد هذا الملك من هزيمة فرورتيش وأدرك أن الجيش غير النظامى الذى تدفع به الطوائف والشعوب الخاضعة له لا يمكن له أن يواجه أو يقاتل جيش الآشوريين المثالى ، ولذا وجه إعتماده إلى تكوين جيش دائم وقسمه إلى الرجالة والأساورة .

وكان الرجالة مسلحين بالسهام والأقواس والسيوف ، ويذكر المؤرخون أن الأساورة الميديين كانوا أرقى من أساورة آشور ، لأن أساورة

الميديين يتميزوا بالمهارة الفائقـــة فى رمى السهام أثناء حركة الجياد فى كرها وفرها .

كما كانت الجياد الميدية ذات شهرة طبقت آفاق العالم القديم لما امتازت به من الطاقة والتحمل والسرعة وجمال المنظر والرشاقه .

وبعد الفراغ من إعداد مثل هذا الجيش حارب (هو وخ شتر) الآشوريين وهزمهم بعد مقاومة شديدة من جانبهم، ولم يمض وقت طويل حتى حاصر مدينة نينوى وأخذت تلك المدينة فى الإستسلام بعد فترة نتيجة لما أصابها من جوع . ولكن ابان ذلك ترامت إلى مسمع هو وخ شتر أنباء اغارة السكا [1] (السيت) على الناحية الشمالية لمملكة الميديين بعد عبورهم جبال القفقاز فأوقف حصار المدينة (نينوى) وعاد إلى مملكة الميديين للدفاع عنها والحيلوله بين السكاوبين الإستيلاء عليها، وحاربهم حربا ضروسا فى شمال بحيرة أورميه . ولكنه هزم واضطر إلى الأذعان لشروطهم ، بعد ذلك تعرضت مملكة الميديين والممالك المجاورة لها لهجمات السكا واغاراتهم التى امتدت ـــ كما ذكر المؤرخون ـــ إلى بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) ، وبقى السكا فى أرض ماد ثمانية وعشرين عاما ثم أقام هو وخ شتر وليمة دعالها ملكهم ورؤساءهم واسكرهم فيها ثم قتلهم عن بكرة ابيهم وطرد بعد ذلك السكا عن ايران فى سنة ٦١٥ ق . م .

فى تلك الأثناء اعلن (نبوبولاس سار) الحاكم الآشورى لمدينة بابل نفسه سلطانا على تلك المدينة . واتحد مع هووخ شتر وحاصرا مدينة نينوى . وحين رأى ملك اشور ساراكن أنه لا جدوى من المقاومة ، اشعل نار

---

(١) السيت بالفرنسية سكيت وكان الايرانيون القدامى يسمونهم : الكا أو السكا واسماهم اليونانيون سكلت Scolote كذلك .

صالية حرق فيها نفسه وأسرته وتم الإستيلاء على هذه المدينة الشهيرة فى تاريخ العالم القديم وكانت من كبريات المدن .

وخربت نينوى حتى لم يبق منها سوى خرائب واطلال ، وكان ذلك عام (٦٠٦ ق ٠ م) وبعد ذلك تقاسم المتحدان الممالك الاشورية على النحو التالى : أصبحت ممتلكات الاشوريين فى آسيا الصغرى من نصيب الميديين ، وأصبحت الشام وفلسطين جزءا من بابل ، وبعد ذلك طرد بخت النصر المصريين الذين كانوا قد احتلوا المملكتين (الشام وفلسطين) مستفيدين من هزيمة آشور .

ولم تنفصم عرى الإتحاد بين الميديين والبابليين بعد سقوط نينوى بل إزدادت أواصر الإتحاد بينهما بتزويج الملك الميدى ابنته لولى عهد بابل بخت النصر . وانقراض الآشوريين بهذه السرعة بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا اليه فى عهد (آسور بانيبال) أمر يثير الحيرة . حقا إنه بعد اربعين سنه من قضائهم على الدولة العيلامية وإزالتها من صفحة الوجود قد تم محوهم وطوتهم يد النسيان كذلك لدرجة أنه بعد مرور قرنين من الزمان حين كانت الجيوش اليونانية بقيادة كزنفون تعبر اطلال مدينتى كالاه ونينوى كان المرشدون يطلقون على موقع هاتين العاصمتين ذاتا الشهرة للدولة الآشورية القوية إسم لاريساوميسبيلا ولم يكن يجول بخاطرهم أن مصائر الملل والشعوب والحل والعقد كانت تقرر فى وقت من الأوقات فى تلك الاماكن .

والسبب فى هذا النسيان معروف ؛ ذلك أنه على الرغم مما ارتكبه المصريون والبابليون إبان فتوحاتهم من سفك للدماء والقسوة ، إلا أن البابليين قد خلفوا لمن اتوا بعدهم من الأمم والشعوب قوانين وعـــلوم وصناعات ، وترك المصريون ابنية لا تزال شامخة حتى اليوم وتبعث على الحيرة ، أما آشور مع أنها كانت دولة ذات صناعات إلا أنها لم تعط للشعوب التى خضعت لها شيئاً سوى الخراب والدمار والأسر ، ولذا فقد تلقت تلك الشعوب والاقوام خبر

إنهيارها بفرح بالغ وسرعان ما تناست تاريخها القديم المملوء بالمحن والآلام على يديها .

وتمكن الميديون من الإستيلاء على بلاد ارمينيا وكابادوكيه الواقعة فى الناحية الشرقية من آسيا الصغرى بسهوله نظرا لما أصابها من وهن وضعف من جراء غارات السكا.

وبعد ذلك اصطدم الميديون إبان تقدمهم بدولة الليديين وكانت دولة قوية آنذاك ، ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الدولتان فى حرب معاً .

ليديا :

مملكة تقع فى الطرف الغربى من آسيا الصغرى التى كان حدها الشمالى آنذاك البحر الأسود وبحر مرمرة . وحدها الجنوبى بحر المغرب وحدها من ناحية المغرب بحر الجزاير ومن الشرق نهر هاليس (قزل ايرماق الحالية) .

وكان الباحثون يعتقدون فيما مضى أن الليديين من الجنس السامى ، ولكن إتضح الآن أنهم لم يكونوا ساميين ولا آريين وأن جنسهم الذى ينتسبون اليه غير معروف إلى أن توضح البعثة العلمية الامريكية التى تجرى ابحاثها وحفرياتها فى سارد هذه المسأله .

وعلى أية حال فمن المحقق أن أقواما كانت تعرف بالفريكيين كانوا يعيشون فى القرنين العاشر والتاسع ق . م وأنهم كانوا على صلة قرابة من ناحية الجنس مع اليونانيين ، وأنهم قد هاجموا هذه المملكة من ناحية تراقية Thrace وسيطروا عليها وأقاموا بها حكم عدد من الملوك عرفوا بالهراكليين (هرقلين) Heraclides وامتزج الفريكيون مع السكان الاصليين ومنذ هذا الوقت قوى ساعد الليديين واسسوا أسرة حاكمة بعد الهراكليين عرفت بإسم (مرمناد) وكان مؤسس تلك الأسرة يسمى ژيگث Giges الذى شد عود تلك الدولة الليدية وطرد الكيمريين Gimmerines[1] الذين هاجموا مملكة الليديين من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية بعد معارك طويلة عام ٦٦٧ ق.م. وبلغت دولة الليديين أعلى درجة من الرقى فى عهد آليات Aliyattes. (٦١٢ — ٥٦٣ ق.م) ذلك أن هذا الملك وضع حدا لهجمات السكا وهزم اليونانيين الذين كانوا قد

احتلو شاطىء البحر والانهار وسيطروا على أمور التجارة وضم إلى مملكة الليديين امدينتين كبيرتين هما أزمير وكاوفن .

وقد أضحت هذه المملكة واحدة من الممالك الآهلة بالسكان الغنية بالثروات لما تميزت به من موقع جغرافى ، بين ممالك آشور وبابل وفينيقية من ناحية ، والممالك القريبة من ناحية أخرى ولقربها من البحار كذلك .

ومع أن الليدين لم يكونوا رجال حرب وغزو إلا أنهم كانوا يملكون أساورة نظاميين عظام . وقد أضحوا قمة أساورة ذلك العصر نظراً لان رجال الحرب اليونانيين والجنود المرتزقة — وكانوا فى غالب الأمر من اليونانيين كذلك — كانوا يتولون الإشراف على تكوين جيش الفرسان الليدى ويشرفون على تدريباته .

ونوضح ذلك أن الدولة الليدية حين وجد (هووخ شتر) المبرر لشن الحرب عليها ووجد ذلك حين قتل عدد من الافراد السكائيين — وكانوا فى خدمة دولة الميديين — عدة أفراد من الميديين ، هربوا إلى آليات [ملك الليديين] الذى رفض اعادتهم إلى ملك الميديين ، ووقعت الحرب بين الطرفين ، وكان الجيش الميدى أكثر عدة من الجيش الليدى ، ولكن الجنود المرتزقة اليونانيين كانوا مدربين على درجة عالية فضلا عما سبقت الإشارة اليه من إمتلاك الليديين لفرقة من الأساورة قوية نتج عن ذلك أن هذه الحرب امتدت دون احراز تقدم من قبل الميديين ست سنوات .

وفى السنة السابعة حدث كسوف كلى للشمس ، حدد المؤرخون تاريخه فى ٢٨ من مايو سنة ٥٨٥ق . م قد تنبأ به طالس الفيلسوف اليونانى وقد احدث هذا الكسوف تأثيراً من الدهشة بين الجنود فى الطرفين واعتبروا ذلك دليلا على غضب الإله ، وبعد ذلك تدخل بخت النصر ملك بابل للفصل بين الطرفين وأصبحت رووهاليس الحد الفصل بين الدولتين . وتزوج وايخ تو ويكرين ملك الميديين ابنة ملك ليديا [المسماة Aryenis] عام ٥٨٥ ق . م . وتوفى (هووخ شتر) بعد عام واحد من ذلك (٥٨٤ ق . م) . وكان ملكا عاقلاقوى الإرادة وسياسيا بارعا ، لم يتطرق اليأس اليه مما لحقه من هزائم فى بداية الأمر

---

(١) يعتبرهم بعض الباحثين من الجنس الارى .

من قبل شعوب السكا ، وبذل قصارى جهده للتغلب على ما صادفه من عقبات حتى جعل من الدولة الميدية أكبر دول ذلك الزمان . وكانت حدائقها المعلقة واحدة من عجائب العصر القديم السبع . وينسبوها خطأ إلى سميراميس ملكة آشور . وكان بخت النصر قد إختار ابنة ملك الميديين زوجة له .

وقد شيد بخت النصر سدا بين دجله والفرات للحفاظ على بابل من الناحية الشمالية ، وسمى هذا السد بإسم حائط الميديين ، وكان قد أقام سدا آخر للحفاظ على بابل من الناحية الجنوبية . ومن هنا يتضح أن بابل كانت تنظر إلى دولة ماد أو دولة الميديين المتحدة معها نظرة خوف وضجر .

إيختو ويكو (وقد أسماه اليونانيون أستيا ك) [١] .

حكم هذا الملك بعد والده مدة طويلة وإختار نظام البلاط الآشورى أساساً لنظام بلاطه . وقد زاد من وسائل وأسباب العظمة والأبهة وكانت كلها تقليدا للآشوريين، ولكن الشعب لم يكن راضيا عنه . لدرجة أنه حين خرج عليه كوروش الهخامنشى تركه الميديون وإنضموا إلى الفرس ، وخضعت غالبية تلك المملكة إلى فارس ٥٥٠ ق . م . وسيأتى ذكر هذه الواقعة فى موقعها ، وفى النهاية لابد من القول بأن مملكة الميديين فى البداية كما يتضح من تاريخها كانت تتكون من آذربايجان وكردستان والعراق العجمى [٢] ولكنها بعد اتساعها إمتدت من نهر هاليس حتى باختر ومن بحر الخزر حتى فارس وخوزستان . وبعد ذلك قال الجغرافيون القدامى بمملكتين : ماد الكبرى التى كانت تعرف بالعراق العجمى [٣] ، وماد الصغرى التى كانت تطلق على آذربايجان فى العصر القديم .

---

(١) كتب نيونيد ملك بابل اسمه هكذا فى احدى الواحه .

(٢) يعتبر بعض الباحثين امتداد مملكة الميـديين من رودهاليس حتى نهـر جيحون .

(٣) كان العراق العجمى يشتمل على الولايات الاتية : كروس — همدان — كرمانشاه — قزوين — العراق — اصفهان — نهاوند — الرى حتى ميناء بحر الخـزر الذى كان يفصل ماد عن البارت . وكان على هذا الممر ، فى العصور القديمة ، بوابة حصينة .

الفصل الثاني

حضارة الميديين

ليس لدينا معلومات وافية عن حضارة الميديين ، ولعل من أسباب ذلك أن النقوش التي دونت إبان عصور الميديين لم يكشف النقاب عنها بعد مما ييسر معرفة لغتها وخطها ومعتقداتها وصناعاتها وأشياء أخرى تتيح لنا كثيرا من المعرفة ، كما انه لم يبق من الآثار شيء من الأبنية والعمارات وان اكتشفت فقط بعض دخمات في بعض الاماكن من إيران ، يعتقد المختصون أنها تتعلق بلغة الميديين وترتبط بها . ولا نعلم شيئا عن نظم تلك الدولة سوى أن هووخ - شتر قد كون جيشا منظما ، وأن بعض الملوك الميديين قلدوا كثيرا من النظم المتبعة في بلاط الآشوريين ، وزادوا عليها . ولكن الاحتمال القوى يتجه إلى الإعتقاد بأن الميديين كانوا على درجة كبيرة من الرقي والحضارة ، لأن الفرس إقتبسوا الكثير من الميديين حتى ثياب الجنود .

ولم يعثر على أية وثيقة عن لغة الميديين . يقول نولدكه : « اذا توفرت لدينا نقوش فإني أظن انها ستكون مماثلة لنقوش الملوك الهخامنشيين من ناحية اللغة والخط » .

ويعتقد دارمستتر أن الأوستا (كتاب زرادشت المقدس) قد كتب باللغة الميدية . وعلى أية حال فليس هناك شك في أن لغة الميديين كانت لغة واحدة تقريبا مع اللغة الفارسية القديمة ، وكان بينهما تفاوت بسيط ، وذلك أن الفرس والميديين إبان عهد استرابون كانوا يفهمون فهما جيدا لغة أي منهما .

ويعتقد بعض الباحثين أن اللغة الكردية الحالية مشتقة من اللغة الميدية .

أما عن ديانة الميديين فلم تتوافر لنا معلومات عنها كذلك ، ويتضح مما ذكره هرودوت أن المغان كانت طائفة من طوائف الميديين الستة ، ولكن أي مذهب كانوا به يدينون فلا يمكن ايراد قول جازم بشأنه .

ويعتقد بعض الباحثين أنه من الجائز ان تكون عبادة هرمود كانت شائعة بين الميديين ولكن المغان حرفوها بخرافاتهم وسحرهم .

وزرادشت الذى كان من الميديين أراد اصلاحهم واصلاح عقيدتهم ولكن المغان لم يقبلوا ذلك ، فهاجر موطنه واتجه إلى الغرب حيث نشر مذهبه فيه وفى سيستان .

وهكذا يتراءى لنا تماما أن الملوك الميديين كانوا قد اعتنقوا مذهب المغان مذهبا رسميا لهم وأرسوا قواعده، ثم انه بعد انقراض دولة الميديين وما أعقب ذلك من تغييرات حافظ المغان على مكانتهم، وبناء على هذا فإن الاحتمال القوى هو أن عظمة قوة الميديين قد أثرت تأثيرا كبيرا ومهما فى عقيدة المغان وتطورها. ومهما يكن فقد كان هناك تشابه بين الميديين والفرس فى كثير من الأشياء، ولم يكن هناك اختلاف جذرى بينهما .

وهكذا فقد اعتبر المؤرخون اليونانيون انقراض دولة الميديين وظهور دولة الفرس من الأمور الداخلية الايران ، وأطلقوا على الحروب الايرانية مع اليونانيين اسم الحروب الميدية ، واستعملوا كلمة ماد بدلا من كلمة فارس لمدة قرن من الزمان بعد إنقراض دولة الميديين .

وكان فن المعمار الميدى أقدم من نظيره الهخمامنشى وأحدث ممن سبقه من فن معمارى محلى (أى فترة ماقبل قدوم الميديين إلى ايران) ويظن أن الميديين قلدوا فى فنهم المعمارى فن وان[1] .

وينسب إلى الميديين آثار على النحو التالى :

١ — تمثال أسد نحت من الحجر وهو على مقربة من همدان[1] .

٢ — وعلى مقربة من سرپل بين قصر شيرين وكرمانشاهان دخمة[2]

---

(١) وان ، عاصمة دولة الارارات التى عرفت فيما بعد بارمينيا .

(١) ظل هذا التمثال سليما حتى عام ٩٣١ م ثم عبثت به يد الزمان فسقط وتلف ويعتقد نولدكه أنه يرجع الى الميديين .

(٢) يطلق الاوربيون على الحجارة البارزة اسم (بارل يف) ، والدخمة مصطبة عالية كانت توضع عليها الجثث لتنهشها جوارح الطير .

نحتت فى قطعة حجرية كبيرة ، وتعرف بد كان داود ، وعلى هذا الحجر نقشوا صورة بارزة لرجل يقف فى خشوع وفى يده مجموعة من جذوع شجرة قد ربطت ببعضها من النخيل [برسم] ، وثياب هذا الرجل ميدية .

٣ — دخمة صحن قرب كرما نشاه ، حفرت أعلاها صورة لاهوارا مزدا .

٤ — وتوجد دخمة فى ديران لرستان قرب سرپل تعرف بحجرة فرهاد وقد بقيت غير مكتملة .

٥ — يوجد على مقربة من كرمانشاه فى قرية ئواسحق فى دخمة حجرية صغيرة عليها نقش بارز يصور شخصا يتعبد[٣] .

وانقراض الدولة الميدية من الأمور التى تبعث على الحيرة ، وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات اللازمة لدينا لانقراضها بتلك السرعة لكن يمكن استنباط شىء مما يتوافر لنا من الصورة العامة؛ وهو أن الميديين كانوا دولة قوية وصلوا إلى قدر كبير من الثراء ، وأن عظماء تلك الدولة قد رفلوا فى حلل من الأبهة والنعم ، فهان أمرهم ووهنت عزائمهم ، كما كانوا يسرفون فى الانفاق على مظاهر البلاط مما أوجب فرض ضرائب جديدة ، فعم الظلم وثار السخط بين الناس . مما جعل الميديين لا يستطيعون مواجهة الفرس المتوثبين الذين كانوا يعيشون حياة بسيطة ويتحلون بأخـــلاق طيبة ، وبخاصة وأن الفترة المديدة لحكم (ايخ او ويكو) تمتعت بسلام وأمان ، بينما كان الجيش الميدى قد ضعف ووهنت قوته نتيجة للحروب التى خاضها مع الآشوريين والسكا .

ويجب أن نشير فى ختام هذا الباب إلى نقطة مهمة وهى أن ازدهار دولة الميديين على الرغم من قصر عمرها يعد أمرا هاما فى تاريخ العالم القديم ، فهذه أول مرة فى التاريخ يغلب فيها الميديون الآريون الشعوب السامية فى آسيا الغربية ويهيئون لشعب آريانى آخر التمكن من الحكم فى ذلك الزمان ، وسنبين ذلك بوضوح فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

---

(٣) هذا النقش من اكتشاف هرتسفيلد .

الباب الثانى

(الفترة الاولى لحكم الفرس)

مقدمة :

ينتسب الفرس إلى الشعوب الآرية التى لا نعلم متى وفدوا إلى ايران — ولكن يتضح مما ذكر فى كتابات الملوك الآشوريين أن الفرس ظلوا تحت حكم الآشوريين زمنا طويلا مثلهم مثل الميديين، فيفتخر أحد الملوك الآشوريين الذين حكموا فى القرن التاسع قبل الميلاد أنه أخضع سبعة وعشرين شخصا من ملوك الفرس . ومعلوم كذلك أنه إبان حكم الآشورى (سرگن سلم نصر) الذى حكم فى ٧٣١ — ٧١٣ ق . م وإبان حكم الملك (آشور حيدين) كان الملوك الفرس خاضعين للآشوريين . ثم تحررت فارس بعد ذلك من سيطرة الآشوريين وخضعت للميديين أى أن الأمراء الهخمانشيين الذين كانوا يحكمون تلك المنطقة كانوا خاضعين للميديين .

يقول هيرودوت : ينقسم الفرس إلى ستة طوائف من سكان المدن والقرى وأربعة أقسام وطوائف من سكان الخيام [1].

وكانت أسرة الهخمانشيين من أكثر الأسر الفارسية عراقة أى من طائفة البارسا كاديين . ويذكر هذا المؤرخ أن كورش الكبير حين خرج على حكم الميديين عرف باسم «پادشاه فارس» أى حاكم فارس . ولكن نبونيد ملك بابل

---

(٢) كانت الطوائف الست الأولى هى الباسارگاديه — المرف — الماسبيان — البانتاله — دروز — الجرمن — والطوائف الأربعة الأخرى هى : السا كارات — المرد — الدروبيك — الداران ، وبعض هذه الطوائف الأخيرة من البدو .

يذكره باسم ملك انزان (عيلام) ، ويضاف إلى ذلك أن داريوش الأول يقول في نقش بيستون أنا تاسع ملوك الارومة الهخمانشية ذات القرنين (الشعبتين) وحكم قبلي ثمانية ملوك .

وإذا كانت الأسرة الهخمانشيه تنقسم إلى شعبتين كما سنبين فيما بعد ، فإنه يتأكد أنه تاسع ملوك تلك الأسرة فعلا .

وعلى هذا فإنه طبقا لما كتب هيرودوت ، وما توافر لدينا من وثائق[1] فان شجرة نسب كورش الكبير ، وترتيب حكم الملوك الهخمانشيين حتى عصر داريوش يكون كالآتى :

---

(١) المقصود بالوثائق :

(ا) الاعلان الصادر من كروش الى بابل المعروف بنقش او عمود كورووش .

(ب) النقوش والكتابات الهخمانشية .

هخامنش

حوالي ٧٢٠ ق.م

١ — چيش پش
٢ — كمبوجيه
٣ — كوروش
٤ — چيش پش

الفرع الفارسي		الفرع الانزاني	
آريار من		كوروش	٥
آرشام (آرسام)		كمبوجيه	٦
ويشتاسپ		كوروش الكبير	٧
٩ داريوش الأول		كمبوجيه	٨

(الاسماء التي رقمت هي أسماء الملوك الذين حكموا).

وطبقا لهذا الجدول فإن داريوش الأول هو تاسع ملوك تلك الأسرة وتؤيد نقوش اردشير الثاني والثالث ذلك، لأنهم لم يعتبروا ويشتاسب وارسام ممن تولوا الحكم. اما ما حدث من أحداث نتج عنها استيلاء الفرس على عيلام واستقر أحد فرعي الأسرة الهخمانشية هناك، فليس معلوما، ومن الممكن أن يكون قريبا من الحقيقة، أن آشور بانيبال تمكن من القضاء على العيلاميين عام ٦٤٥ ق.م، وكان الفرس آنذاك غير راضين عن حكم

الميديين فى فارس ، واغتناما لتلك الفرصة ، وما احاط بها من أمور نتيجة لإصطدام الآشوريين بالميديين من ناحية وواصطدامهم بالسكا من ناحية أخرى وما أحدثته الحروب الآشورية العنيفة فى المملكة العيلامية من خمود وعجز ، فقد احتل الفرس المملكة العيلاميه واسسوا حكما جديدا فى انزان . وطبقا لهذا الرأى فقد كان چيش پش ثانى ملوك انزان وفارس .

الفصل الأول

الملوك الهخمانشيون

الاول : كوروش الكبير

خروج برايخ توويكو .

يذكر البابليون هذه الواقعة باختصار شديد . ويذكرها المؤرخون اليونانيون بتفصيل أكثر ، ولكن يلاحظ بين كتاباتهم كثير من الاختلاف .

وعلى كل فإن هيرودوت يقول : رأى الملك الميدى رؤيا فى المنام ، فحواها أن شجرة عنب نبتت من بطن ابنته ماندانا ، وأن هذه الشجرة قد اظلت آسيا كلها فجمع الملك المغان وطلب منهم تفسير تلك الرؤيا . فقالوا إن اخت الملك ستلد ابنا يسيطر على آسيا كلها . فكر الملك فى تعبيرهم لتلك الرؤيا ، ورأى ان افضل شيء يراه أن يزوج ابنته لشخص لاتتحكم فى رأسه شهوة الحكم ، ولذا اختار كبوجيه ملك فارس (ويجب القول انزان) وكان خاضعا آنذاك للميديين . وحين انجبت ابنته ولدا اسلمه الى وزير من أقاربه يدعى هارپاك ، وأمره بقتله ، اوكل الوزير بدوره تنفيذ ذلك إلى حارسه . ولكن تصادف وقتئذ ان انجبت زوجة هذا الحارس . ويدعى سپاكو[1] — ابنا ميتا فنمت زوجها من قتل كوروش وتبنته ، وكبر هذا الابن فى الخفاء . حتى بلغ الثانية عشرة من عمره وأخذ ينخرط فى اللعب مع ابناء الوزير ، وذات يوم احتد (كوروش) مع ابناء الوزير أثناء اللعب ، وقدم الأبناء شكواهم إلى الملك

---

(١) سپاكو يعنى الكلبة ، وهذا هو الاسم الوحيد العامى الذى وصل الينا من اللغة الميدية .

فطلب الملك كوروش : وأصابته الحيرة والدهشة لما رأى من جرأته وذكائه واتضح له بعد البحث والتحقيق أنه حفيده ، فتظاهر بسروره وفرحه بما عرف ولكنه ارسل كوروش بعد ذلك مع والدته إلى فارس ، وعاقب الوزير على تقصيره فى تنفيذ ما صدر اليه من أمر ، وكان عقابه صارما فقد أصدر امره بقتل ابن الوزير ، وتم ذلك واطعموا اباه من لحم ابنه فى احدى الولائم ، وقدموا اليه يد ابنه واحدى رجليه فى طبق .

تعلم كوروش فى ولايته الفروسية والرماية، حتى بلغ اشده . فوحد طوائف فارس ، وثار على الملك الميدى ، وتطور الأمر إلى حدوث حرب بين الطرفين ، هزم كوروش فى الوهلة الأولى من الحرب ، ولكنه لم ييأس وازداد جهده حتى أسر الملك الميدى على يد الوزير الذى كان قد عاقبه . ذلك أن الملك الميدى كان قد أرسل جيشا لقتاله بقيادة وزيره الذى انزل به صارم العقاب . فاغتنم الوزير الفرصة وأعلن انضمامه إلى جانب كوروش انتقاما من الملك الميدى على ما فعله مع ابنه .

وبعد ذلك الحدث قوى امر كوروش ، وانضمت تحت لوائه عدد من الطوائف التى كانت تحت سيطرة الميديين . ونتيجة لهذا لم يعد أمام الملك الميدى ايخ توويكو من خيار سوى الخروج بنفسه على رأس جيش قاصدا فارس حيث اشتبك الجيشان على مقربة من پاسارگاد[1] ودارت بينهما حرب طاحنة انتهت بانتصار كوروش وأسر الملك الميدى .

وعلى الرغم من امتزاج تلك الحكاية بالطابع الاسطورى ، إلا أنها توضح بجلاء استياء الفرس ، بل والميديين من حكم الملك الميدى وأنهم عونا للفرس وكوروش لإسقاط مملكة الميديين ، وأن كوروش قد وحد طوائف الفرس .

---

(١) كانت عاصمة لدولة فارس قبل داريوش الكبير . ويسمى هذا المكان الان مشهد مرغاب .

وقد كتب نبونيد ملك بابل هذه الحادثة : « جمع (اى الملك الميدى) جيشاً وتوجه لمحاربة كوروش ، ولكن جيشه تمرد عليه ، وقبض على ايخ توويكو وسلمه إلى كوروش ، وسيطر كوروش بعد ذلك على همدان ، فاستولى على كنوز من الذهب والفضة والأموال الطائلة ، وحمل تلك الغنائم كلها إلى أنشان » .

وحدث الاستيلاء على همدان عام ٥٥٠ ق م (١) .

الاستيلاء على ليديا

خضعت مملكة الميديين الكبرى لحكم كوروش بعد الاستيلاء على همدان وكان ظهور الدولة الفارسية وازدياد قوتها ونفوذها سببا فى إزعاج ثلاث من الدول الكبرى حينذاك وهى : مملكة الليديين ، ومملكة البابليين ومملكة المصريين فجرت بينها محادثات لتحقيق الاتحاد بينهم لمواجهة كوروش، وقد وقفنا من قبل على أحوال الليديين ؛ وكان ابن آليات كرزوس Cresus قد بذل قصارى جهده لتعمير مملكته بعامة وعاصمته التى كانت تسمى سارد بصفة خاصة ، وبلغ ازدهارها وبهاؤها درجة كبيرة ، حتى أن اليونانيين كانوا يسمون اشياءهم النفيسة باسم سارد طلائى اى سارد الذهبية .

وكان ما يمتلكه كرزوس من نفائس وخزائن وثروات كبيرة جداً لدرجة انها عشيت بالدهشة إبصار الحكماء اليونانيين ومشاهيرهم — من أمثال سولون Solon وبياس Bias [وهما من الفلاسفة اليونانيين السبعة المشهورين ، والقانون الذى سنه سولون مشهور فى اثينا] وغيرهما وكانوا يدعون لزيارة سارد ، ونظرا لان أهالى ليديا لم يكونوا من المحاربين الاشداء فقد فكر كرزوس فى الاستيلاء على كثير من المدن والمستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى فبدأ بالاتحاد مع مدينة ميلت (ملاطه) ثم اتحد مع مدن أخرى حتى يتمكن من الاستعانة بقواتها إذا لزم الامر . هذا هو الحال الذى كانت عليه

---

(١) اى فى السنة التاسعة من حكم كوروش لانزان .

الأوضاع فى مملكة الليديين حين فوجئت بخبر سقوط دولة الميديين الكبرى ونمو قوة فارس وانتشارها فى آسيا الغربية الذى ازعج دول ذلك العصر . لذا امعن الملك الليدى فى هذا الحدث وأخذ يفكر مليا فى أمرين : هل يكتفى بالحرب الدفاعية ؟ أم يشن حملة هجومية على إيران ؟ واستقر تفكيره فى نهاية الأمر على أن يرسل شخصا إلى معبد دلف — وكان موضع احترام اليونانيين وتقديسهم — سائلا أحد المنجمين آنذاك — وكانوا يعرفونه باسم پى تى Pythie — « ماذا يمكن أن يسفر عنه الأمر اذا قمت بشن حملة على ايران ؟ »

فأجاب اجابة غامضة ذات وجهين وقال پى تى : « اذا عبر الملك من نهر رود هاليس فستنتهى دولة كبرى وتتلاشى ».

ظن الملك الليدى ان المنجم يقصد دولة الفرس الكبرى ، وأخذ يعد العدة . ودخل فى محادثات مع الاسپارتيين (إحدى الدول اليونانية) وضمها إلى جانبه، واتحدت بابل ومصر كذلك مع الدولة الليدية : وبعد ذلك توجه كوروش قاصدا إيران .

واحتل مكانا مرتفعا يعرف باسم : پ ت ريوم — العاصمة القديمة للحيثين. وجرت حرب ضروس بين الجيشين الليدى والفارسى فى خريف هذا العام انتهت دون نتيجة لصلابة مقاومة الليديين . وحين اقبل الشتاء ظن الملك الليدى ان الفرس لن يجرؤوا — لما رأوا من مقاومة شديدة من جانب الجيش الليدى — على مهاجمة أرض ليديا أثناء الشتاء وبخاصة وأنه يلقى تأييدا من بابل فسرح جيشه عاقدا العزم على وضع نهاية الأمر فارس فى السنة التالية حين يصل الجيش الموحد لبابل ومصر .

ولكن كوروش بادر على الفور لاجراء محادثات مع الدولة البابلية وعقد معاهدة صلح مع نبونيد ، ثم توجه قاصدا سارد . اضطر كرزوس فى تلك الأثناء إلى جمع جيش على وجه السرعة وتحارب مع جيش كوروش على مقربة من العاصمة ، وأرسل فى بداية الأمر خيالته النظامية ذات الكفاءة القتالية

العاليه لحرب كوروش ولكن الجمال التى دفع بها كوروش امام صفوفه سببت ذعرا للخيول لتنتهى الحرب بانتصار الفرس والاستيلاء على سارد ووضع نهاية الدولة الليدية (٥٤٩ ق . م) .

ويذكر هيرودوت أن كوروش كان يود ـ فى بداية الأمر ـ أن يحرق الملك الليدى ، ولكنه افاق وعدل عن هذا الرأى وزاد من اكرامه وتعزيزه ، وكان الباعث له عن عدوله عن رأيه انهم حين اضرموا النار وزودوها بالحطب ، صاح كرزوس قائلا (آخ سولون سولون) فسأله كوروش عن معنى قوله فاوضح له حكاية مجىء سولون واضع القانون اليونانى بسارد وقال أنه اطلع على ما لدى من نفائس وخزائن ، وبعد ذلك سألته : من هو السعيد فى رأيك ؟ وكنت على يقين تام أنه سيذكر اسمى ، ولكنه أجاب : لا يوصف بالسعادة من هو على قيد الحياة . والآن ادركت صحة ماقاله هذا الرجل . وكان ماقاله كرزوس سببا فى يقظة كوروش من غفوته ، فأمر بإخماد النار ولكن الفرصة كانت قد افلتت من يديه ، وعندئذ توسل كرزوس بأبلن أحد آلهة اليونانيين فنزلت أمطار أخمدت النار . ويشك بعض الباحثين المحدثين فى صحة تلك الرواية لاسباب منها :

أولا — أن حرق الأشخاص كان منافيا لمعتقدات الفرس لأنهم كانوا يقدسون النار ويعتبرون تلويثها ذنبا كبيرا .

ثانيا — أن كوروش كان فى جميع الظروف والأحوال رءوفا رحيما مع الملوك المهزومين ، فقد أكرم الملكين الميدى والأرمنى .

أما من يؤيدون صحة هذه الرواية فليس لديهم من دليل سوى أن المؤرخين اليونانيين الذين جاءوا بعد هيرودوت بعدة قرون قد ذكروها ، ولكن هذا الدليل ليس كافيـــا فنحن نعلم أن المؤرخين اليونانيين تعودوا — فى غالب

الأحيان — أن ينقلوا الأخبار والروايات التى وردت فى كتب السابقين دون الإشارة إلى الكتب التى نقلوا عنها .

الاستيلاء على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى .

اليونانيون القدامى من الشعوب الهند وأوروبية ، وقد نزحوا من الناحية الشمالية إلى المنطقة الواقعة جنوب شبه جزيرة البلقان والتى تسمى يونان فى وقت غير معلوم ، وانتصروا على المقيمين بها أو البلاسكيين ، وكان البلاسكيون قد وفدوا إلى المنطقة فى وقت غير معروف أيضـــا قادمين من ناحية بحر الغرب وأقاموا هناك حضارة رفيعة . وحوالى القرن العاشر ق . م أقبل قوم يعرف بـ الدوريين[1] وكانوا من الأقوام اليونانية وهاجموا شبـــه جزيرة البلوبونيز Peloponese مما إضطر كثيرا من اليونانيين إلى الهجرة خارج الجزيرة . وعلى هذا وجدت المستعمرات واليونانية فى آسيا الصغرى ، واعتزلت المدن اليونانية الليديين بعدعدد من المعارك والاصطدامات، لأن الليديين كانوا متأثرين بالحضارة اليونانية وصناعتها ودياناتها .

وحين إستولى الفرس على ليديا ، أصاب اليونانيين الفزع الشديد لأنه قد أصبح لزاما عليهم أن يتعاونوا مع دولة أقوى من الدولة الليدية ، وتتفوق على الدول اليونانية فى النظم والحضارة تفوقا تاما .

وكان كوروش قبل الإستيلاء على سارد قد كاتب اليونانيين بالاتحاد معه ولكنهم أبوا ، وعادوا فأرسلوا رسلا إلى كوروش طالبين منه ان يجدد الإتفاقية التى قدمها ، فلم يرد كوروش عليهم وذكر هذا المثل : إقترب عازف ناى من شاطىء البحر ، وقال فى نفسه ،لو عزفت على الناى لاشك أن الأسماك سترقص طربا وجلس يعزف بغير جدوى فلم ير السمك يرقص ، عندئذ حمل شبكته وألقى بها فى الماء . فكانت الأسماك تقفز إلى الشبكة ثم تقسم قال :

---

(1) Doriens .

« ترقص الأسماك الآن فاقدة وعيها ، وكان عليها أن ترقص حين كنت أعزف »
اراد كوروش من ذكر هذا المثل أن يوضح أن الوقت قد فات . أما فيما يتعلق بالمستعمرات فقد فعل الآتى : وافق على عزل مدينة ملاطيه الكبرى وكانت قد اعطيت للملك الليدى ، وبعد انتزاع تلك المدينة تمت سيطرته على جميع المدن اليونانية بآسيا الصغرى والجزر اليونانية كذلك مثل لسبوس Lesbos وخيوس Chios وبعض الجزر الاخرى لجأ بعض سكان المستعمرات اليونان إلى دولة اسبرطه متوسلين فارسلت تلك الدولة بدورها سفيرا إلى كوروش مهددا بأنه لن يتحمل سوء معاملة اليونانيين . فقال كوروش: إنى لا اخشى مطلقا من أناس يتجمعون فى ميدان ويقسمون ويكذب كل منهم على الآخر ، وسأظل ما بقيت حيا أعمل على أن اجعلكم تشنون من ذلكم بدلا من التحدث عن اليونانيين .

ويجب أن يكون معلوما ان كوروش بعد الإستيلاء على سارد قد عاد بعد وقت قصير الى إيران وترك أمر الإستيلاء على اجزاء آسيا الصغرى الأخرى مثل — فريجيه Phrygie وقليقيه Cilyc'ie — وليقيه Lycie والمستعمرات اليونانية الى قواده . وهكذا تمت سيطرته على آسيا الصغرى كلها عام ٥٤٥ ق.م واصبحت خاضعة للفرس ، واختار كوروش لكل مدينة حاكما مستقلا بها ، حتى لا يتحد الحكام معا ولا يقوى امرهم . وهاجر اهالى بعض المدن اليونانية الذين ابوا التسليم مثل مدينة فوسه .

الإستيلاء على الممالك الشرقية

لم تترك العمليات الحربية المتلاحقة والسريعة التى قام بها كوروش فرصة لبابل ومصر لاستكمال إستعداداتهما وأضحى كلاهما متوقعا حملة كوروش عليه ، إلا ان كوروش لم يتوجه مباشرة إلى بابل واتجه إلى الممالك الواقعة شرق فارس وماد ، ولا نعلم كيفية الحروب التى خاضها معها ، وكل ماهو معروف أنه استمر فى عملياته الحربية وغزواته فى شمال ايران وشرقها طوال ثمان سنوات وتقدم من الناحية الشمالية حتى وصل إلى حدود نهر سيحون .

حيث بنى مدينة بإسمه على شاطىء هذا النهر (فكانت هذه المدينة تسمى ابان عصر الاسكندر دور ترين شهر كوروش) ويعتقد انها مكان مدينة اوراتپه الحالية .

ثم تقدم بعد ذلك فى الناحية الشرقية حتى وصل إلى نهر السند ، وبعد أن ثبت دعائم حكمه فى الشرق والغرب ، توجه إلى بابل ،ويعتقد بعض الباحثين ان غزوات كوروش إلى الشرق والشمال الشرقى قد تمت بعد الاستيلاء على بابل .

الاستيلاء على بابل

يبدو الاستيلاء على بابل أمرا فى غاية الصعوبة ، لأن استحكام برج بابل[١] وأسوار المدينة ومنعتها كان أمرا مشهورا طبق الآفاق[٢] ، وعلى الرغم من هذا كله فقد توجه كوروش للإستيلاء عليها ،وعبر الجيش الإيرانى نهر دجله فى ربيع عام ٥٣٩ ق . م . وكانت بابل آنذاك قد تعاقب على حكمها بعد وفاة بخت النصر ٥٦١ ق . م ثلاث ملوك خلال ستة أعوام . وفى عام ٥٥٥ ق . م تمكن رجال الدين فيها من تولية عرشها لأحد التجار وكان يسمى نبونيد . ولم يكن هذا الشخص بقادر على أن يحفظ للدولة البابلية مكانتها المهمه التى احتلتها وتليق بها ، فقد ذكر أنه كان ذا ميل مفرط لمعرفة الآثار القديمة ، واجريت حفريات — تلبية لأمره — فى خرائب المعابد القديمة لبابل ، واستخرجت تبعا لذلك الواح .

وفيما يتعلق بأمر استيلاء كوروش على بابل وصلت إلى ايدينا روايتان . الأولى عن هيرودوت وشعب بنى إسرائيل الذى أسر فى بابل ، وتعتمد الرواية الثانية على ما لدينا من مصادر أساسها ما اسفرت عنه الحفريات فى بابل ومادار حولها من بحوث . وكان الإستيلاء على بابل طبقا لما ذكرته الرواية الأولى ما يلى :

---

(١) بابل از — باب ال ، اى باب الله .

(٢) كتب المؤرخون ان ارتفاع سور المدينة بلغ ثمانين ذراعا وان قطره كان خمسة وعشرين ذراعا وكان على هذا السور خمسين ومائة برجا ، وعليـــه بوابات برونز .

هزم الملك البابلى فى حرب جرت بينه وبين الفرس على مقربة من مدينة بابل ، فلجأ مع عدد كبير من جنوده إلى تلك المدينة ، وعندئذ ترك قيادة جيشه لإبنه المسمى بلشر[1] .

وكان الاستيلاء على المدينة بشن حملة عليهـــا امرا مستحيلا كما كانت محاصرتها للإستيلاء عليها يستغرق وقتا طويلا ، لأن البابليين كانوا يزرعون المناطق الشاسعة المحيطة بالمدينة وبداخلها ، ولذا امر كوروش بتحويل مجرى نهر الفرات ، وبعد أن قل الماء فى المجرى القديم عبره الجيش الإيرانى حتى بلغ مدينة بابل (٥٣٨ ق . م) ولكنه لم يعمل السلب والقتل بالمدينه ، وعامل كوروش الأهالى بغاية الرحمة ، وطبقا لما ذكرته المصادر البابلية فإن نبونيد كان قد حمل الى بابل تمثال الإله (اور) فتألم من هذا أتبـــاع إلهة البابليين (بل مردوك ، فتصالحوا مع كوروش ودفعوا له الجزية : وحين نقصت المياه فى نهرى دياله والفرات عبر كوروش بجريهما ودخل الى المنطقة الواقعه بين مدينة بابل وسد بخت النصر ، ثم تقدم بعد ذلك إلى الناحية الشمالية ، حيث فصل بين الجيش البابلى وبين المدينة ثم اوقع الهزيمة به وبعد ذلك تقدم (كنوبروو) قائد الجيش الفارسى ودخل المدينة من الناحية الجنوبية فاستسلم الملك البابلى ، وتوج الملك كوروش فى معبد بابل الكبير طبقا للمراسم الدينيه البابليه

واظهر مزيدا من الاحترام والتقدير لمذهب المواطنين ومعتقداتهم ، ويذكر أحد المعاصرين لتلك الاحداث أن كوروش أدخل السكينة والطمأنينة فى قلوب الأهالى ، وبعد الاستيلاء على بابل خضعت كل الممالك التابعة لها لكوروش ويجب أن نذكر من بينها فلسطين وفينيقية وكانت المدينتان الفينيقيتان المعروفتان بصور وصيدا من أشهر مدن العالم آنذاك ، واظهر كوروش مزيدا من العطف تجاه بنى إسرائيل الذين اسروا ابان حكم بخت النصر ، وحباهم بنوع خاص من

---

(١) ورد اسمه فى التوراه بلشصر .

العطف والشفقه : فرد اليهم اطباق الذهب والفضة التى كانت بخت النصر قد احضرها من بيت المقدس وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين ، وأخذ يعمر المعابد القديمة ببيت المقدس والتى كان الآشوريون قد خربوها ، وبنى لهم معبداً جديداً ، وتنفيذاً لسماحه لبنى إسرائيل بالعودة إلى فلسطين رجع اثنان وأربعون ألفاً من بنى إسرائيل ومعهم سبعة آلاف نفر من الغلمان (والجوارى) وعملوا على تجديد بيت المقدس[1]، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين من بقوا فى فلسطين ومن عادوا من بابل . ولذا اوقف كوروش بناء المعبد الجديد وهذا واضح من أقوال انبياء بنى إسرائيل الذين ابدوا احتراما فوق العادة تجاه كوروش[2].
واذاع كوروش فى بابل بيانا لاستمالة قلوب البابليين عثر عليه فى حفريات بابل ويعرف الآن بعمود كوروش[3] او اسطوانه كوروش — وقد اسمى كوروش نفسه فى هذا البيان بخادم مرداخ (مردوك إله البابليين الكبير ، ويقول إنه بعد إحضار تمثال الالهه (اور) الى بابل ، اختاره

١ — « هكذا قال كورش ملك فارس : جميع ممالك الارض دفعها الى الرب اله السماء وهو اوصانى ان ابنى له بيتا فى اورشليم التى فى يهوذا . من منكم من كل شعبه ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب اله اسرائيل هو الاله . الذى فى اورشليم » .

(كتاب عزرا ، الاصحاح الاول ٢ — ٤)

٢ — « هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن . انا الرب صانع كل شىء ناشر السموات وحدى باسط الارض .. القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنين وخربها اقيم .. القائل عن كورش راعى فكل مسرتى يتمم » .

(كتاب اشعيا الاصحاح ٤٤ ، (٢٤ — ٢٨)) .

« هكذا يقول الرب لمسيحة لكورش الذى امسكت بيمينه لادوس امامه امما واحقاد ملوك أحل لافتح امامه المصراعين والابواب لا تغلق . انا أسير قدامك والهضاب امهد اكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد اقصف ، واعطيك كنائز الظلمة وكنوز المخابىء لكى تعرف أنى انا الرب الذى يدعوك باسمك اله اسرائيل » .

(اشعيا الاصحاح ٤٥ [١ — ٣])

(٣) هذا العمود مصنوع من الطين المحمى وقد كتب عليه خمسة وأربعون سطرا وللاسف محى قسم من سطور هذا العمود التى كتبت باللغة البابلية .

مردوك وامسك بيدكوروش ملك انشان[1] — وان الإله قد إختاره لحكم العالم كله — وطلبه بالاسم وبعد ذلك يقول الملك : حين بلغت تين تير[2] يحيط فى السكون والهدوء ،دخلت الى القصر الملكى تحيط بى صيحات الفرح والسرور من المواطنين ، جلست على عرش الحكم ، ثم قفل كوروش راجعا إلى إيران بعد الإستيلاء على بابل والشام وفلسطين والمدن الفينيقية وغيرها وإتجه الى غزو بلاد المشرق ، ولكن لم يتوافر لنا معلومات عن أعماله آنذاك. وتوفى كوروش عام ٥٢٩ ق . م

وهناك روايات مختلفة عن وفاته . يقول هيرودوت : إنه قتل أثناء حربه مع الماساجت[3] الذين كانوا يقطنون بين بحر الخزر وبحيرة آرال ، وتوضيح ذلك أن كوروش طلب الزواج من ملكة الماساجت فأجابته رافضة ساخرة ووقعت الحرب بينهما واسر ابن الملكة فى تلك الحرب وقتله كوروش ثم جرح كوروش فى الحرب التى نشبت بعد ذلك ومات ، فأمرت الملكة بقطع رأس كوروش والقائها فى طست من الدماء ووجهت إلى تلك الرأس خطابا قالت فيه :انك لم ترتو من الدماء فلتمتص الدماء الآن علك ترتوى. ويذكر برس أن كوروش قتل أثناء حربه مع عشيرة الدها (أحدى عشائر السكا) على مقربة من جرجان ، ويذكر كتزياس أنه قتل بعد أن جرح أثناء حربه مع السكا ودفن فى پاسارگاد[4] .

خصال كوروش :

يعتقد المؤرخون أن كوروش كان ملكا يتصف بالعقل والحزم والعزم والرأفة ، وأنه كان يمضى إلى آخر المطاف فى اى عمل يبدأه ، ولا يترك أى عمل دون إتمام ، وكان يلجأ إلى العقل أكثر من لجوئه إلى القوة ، وكان يعامل

---

(١) انشان كما يتضح من تاريخ عيلام هى انزان ، ويتضح من هذا المنشور ان كوروش كان ملكا لانزان .

(٢) اى بابل

(٣) Massagetes قوم من السكا .

(٤) مشهد مرغاب الحالية .

الشعوب المغلوبة معاملة حسنة تتصف بالرأفة والشفقة بخلاف ما كان عليه الحال عند الملوك الاشوريين والبابليين ، وكان يعامل الملوك المهزومين معاملة طيبة جدا لدرجة أنهم كانوا يصبحون أصدقاء حميمين له وكانوا يقدمون له العون إذا حزبه أمر ، ولم يكن يتدخل فى ديانات الشعوب ومعتقداتها ، بل كان يظهر احتراما كبيرا لمراسمهم الدينية ، ويتضح ذلك من إعادته لجميع الآلهة الى أتباعها بعد فتح بابل وكانت قد تعرضت للغارات .

ولم يعمل السلب والنهب أو القتل فيما خضع لحكمه من مدن وممالك ، على العكس من الملوك الآشوريين الذين كانوا يملأون نقوشهم وكتاباتهم بأن فلانا قد سوى تلك المملكة بالأرض وانه تركها خرابا يبابا فلم يعد يسمع فيها نباح كلب أو صياح ديك (ونلاحظ مثل ذلك عند العيلاميين) . وحين رأى الناس سلوك كوروش وقارنوا ذلك بما كان سائدا ومتبعا آنذاك كانوا يعتبرونه مخلوقا فوق العادة وأنه مبعوث من قبل الله .

وقد أرسى هذا الملك الاسس الاخلاقية فى العالم القديم ، وأدخل أسلوبا جديدا مع معاملة الممالك التابعة والشعوب المغلوبة ، وربما يكون هذا هو السبب فى إعتبار عهده حدا فاصلا لقسمين من أقسام التاريخ القديم الاربعة [1] . ويجب أن نقول كذلك أن كوروش واحد من بين شخصين أو ثلاثة ظلت أسماؤهم حية نابضة فى أذهان شعوب عصرنا ، ولعل سبب ذلك أن انبياء بنى إسرائيل قد أثنوا عليه كثيرا .

---

(١) يقسم بعض الباحثين التاريخ القديم أربعة اقسام :

(أ) منذ الازمنة القديمة حتى تاسيس الدولة الهخمانشية أى حتى كوروش .

(ب) من كوروش حتى الاسكندر .

(جـ) من الاسكندر حتى ميلاد المسيح .

(د) منذ هذا التاريخ حتى سقوط الدولة الرومانية الغربية .

وأن اتباع المذاهب الذين يعتبرون التوراة كتابا مقدسا يستمعون إلى اسم هذا الملك منذ طفولتهم ويألفونه[1] .

الثانى : كمبوجيه

انجب كوروش من كاسان دان ابنين كان الأول يسمى كمبوجيه وكان يحكم بابل ، وكان يعهد إليه بأمر الحكم فى ايران نائبا عن والده أثناء غيابه وذكر هيرودوت أن الإبن الثانى كان يسمى سمر ديز ، وذكره داريوش الكبير فى نقش بيستون باسم برديا[2] ، وتولى برديا حكم خوارزم وباختر وپارت وكرمان .

وقد قتله كمبوجيه خفية بعد توليه لتعلق الناس به . وداعبت خيال كمبوجيه بعد وفاة والده الاستمرار فى الفتح والتوسع الذى درج الفرس عليه ، ولكنه فوجىء بعد وفاة والده بثورة بعض الولايات عليه وخروجها عن ربقة الطاعة له ، فأخذ فى إخضاعها وقمع الثورات بها واستمر ذلك ثلاثة أعوام . وتوجه قاصدا مصر عام ٥٢٦ ق . م .

وأخذ احمس فرعون مصر فى إعداد ما يلزم لمحاربته والتصدى له فابرم إتحادا

---

(١) ويتجه التفسير الحديث للقران الكريم ، الاية ٨٣ وما بعدها من سورة الكهف : « ويسالونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكنا له فى الارض واتيناه من كل شىء سببا . فاتبع سببا . حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا .. »

الى أن المقصود بذى القرنين هو الملك كوروش .

وممن قالوا بهذا التفسير ابو الكلام ازاد الذى نشر رايه باللغة العربية الشيخ محمد حسن الباقورى فى كتاب « يسالونك عن ذى القرنين » .

وذهب الى ذلك فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسيره للقرآن الكريم .

(المراجع)

(٢) اسمر ديز هو الاسم اليونانى ل برديا ، ويسميه بعض اليونان مردياس ومردوس .

مع الجزائر اليونانية فى بحر المغرب (البحر الابيض المتوسط) ومع حاكم (جبار)[1] جزيرة ساموس Samos ، لإمداده بقواتهم البحرية ، نظرا لأن اليونانيين فى آسيا الصغرى وكذلك الفينيقين ، كانوا خاضعين لايران وكانت قواتهم البحرية تعد جزءاً من البحرية الإيرانيه . وتصور فرعون مصر أن كمبوجيه سيهاجم مصر من ناحية البحر ، ولذا كان يطلب الإمداد البحرى من اليونانيين .

ولكنه سرعان ما أدرك ببالغ الأسى ان كمبوجيه سيهاجم مصر عن طريق خليج السويس — وتفصيل ذلك أن كمبوجيه تمكن من توقيع إتفاقية مع مشايخ البدو من الأعراب نصت على أن يقدم آلاف من الأعراب القرب المملوءة بالماء ويضعونها فى المنازل (المحطات) ، وبذلك يعبر الجيش الإيرانى الصحراء الممتدة من فلسطين إلى مصر . وقد ساعد حسن الحظ كمبوجيه فقد توفى آنذاك أحمس فرعون مصر وكان قويا ذا عزيمة ، وتولى العرش خلفا له بسمانيك الثالث ، ولم يكن ينعم بما كان ينعم به سلفــــه من قوة ونفوذ ، ودارت المعركة الأولى بين المصريين والفرس فى بلوز Peluse وهزم الجيش المصرى ، ليواصل الجيش الإيرانى زحفه إلى ممفيس عاصمة مصر دون عناء ويسيطر عليها عام ٥٢٥ ق . م .

ويقول هيرودوت ان معاملة كمبوجيه مع فرعون مصر إتسمت فى البداية بالخشونة ، ولكنه بعد تجربته احسن معاملته ، وقد اتضح بعد ذلك ان كمبوجيه قد امر بقتله بعد اشتراكه فى الثورة على إيران (بينما يذكر كتزياس أنه نفى إلى شوش) .

وكان سلوك كمبوجيه ومعاملته للمصريين مثل سلوك كوروش فى المناطق المفتوحة بمعنى أنه لبس ثياب ملوك المصريين ، واحترم طقوسهم وأجرى مراسم البلاط الفرعونى ، حتى اعتبره المصريون واحدا من كبار فراعنتهم ،

---

(١) كان الامراء وكبار المسئولين المعارضين لنظام الحكم يسمون عند اليونان باسم جبــــار .

ثم إتجه بعد ذلك للإستيلاء على الممالك المجاورة فاستسلمت ليبيا وسيرين التى كانت مستعمرة يونانية (وهى الآن جزء من طرابلس الغرب) ثم خضعت برقة بعد ذلك .

ارسل ملك سيرين آرك زيلاس Arkesilas خمسمائة مينا اى ٩٢٦٠ تومانا او ٤٦٣٠٠ فرنكا ذهبيا الى كبوجيه الذى قبلها دون تقدير ، وقسمها على جنوده .

وكان كبوجيه يرغب فى شن حملة على قرطاجنه (كارتاج — تونس الحاليه) تلك المملكة المشهورة المملوءة بالثروة ، والتى تضم تحت سيطرتها كثيرا من الممتلكات فى بحر المغرب (البحر الابيض المتسط) ولكن الفينيقيين — نظرا لان غالبية اهالى قرطاجنة كانوا من المهاجرين الفينيقين — رفضوا إمداد كبوجيه بالسفن لذا فكر كبوجيه فى الاستيلاء على قرطاجنه عابرا الصحراء الليبية ، فأرسل — لتحقيق هذا الهدف — خمسين الفاً من الجنود إلى آمون — المعبد المقدس عند المصريين — ولم يعلم عنهم أى شىء بعد ذلك (فقد دفنوا تحت الرمال المتحركة عام ٥٢٤ ق . م) .

وبعد ذلك تقدم كبوجيه قاصدا مملكة ناپاتا (السودان الحالية تقريبا) واثيوبيا وفى تلك الحملة عبر الجيش الفارسى جزءاً من نهر النيل ، ولكنه بعد أن دخل الى الصحراء الجرداء التى لازاد فيها ولا ماء ، أصابته عسرة فى المؤن فاضطر كبوجيه تحت وطأة ما اصيب به من خسائر فادحة الى العودة إلى مصر ، وعلى الرغم من فشله فى حملاته الى ارسلها لاخضاع ناپاتا والحبشه وما اصاب جيشه من دمار فى سفرته إلى آمون ، إلا ان تلك المناطق والممالك أضحت جزءا من ايران فى عهد داريوش كما سيتضح فيما بعد . يقول هرودوت ان كبوجيه كان مريضا بداء الصرع .

فحين فشل فى حملاته إلى البلاد والممالك التى سبق ذكرها عاوده المرض واشتـد به فأدركه الجنون ، فارتكب الكثير من سفك الدماء والتدمير

والحاقات راح ضحيتها اخته رك سانا (روشنك) إذ قتلها ، ودفن اثنى عشر فردا من كبار رجالات فارس احياء ، وأصاب عجل آپيس المقدس عند المصريين فأرداه قتيلا . مما سبب استياء عاما وشديدا عند المصريين تجاه الايرانيين . واحرق مومياء أحمس فرعون مصر السابق . ولكن توافرت للباحثين منذ سنوات عدة وثيقة هامه لواحد من كبار رجالات البلاط الفرعونى فى ذلك الوقت ، يوضح فيها أن كمبوجيه كان يحافظ على جميع السنن المصرية ويؤدى سائر الطقوس الدينية المصرية . حتى انه كان يسجد فى معبد سائيس احتراما وتقديسا لـ نيت أم الآلهة المصريين[1] .

وطبقا لهذا يمكن القول بأن سلوك كمبوجيه (خلال الثمانية شهور الأولى) كان موافقا لسلوك كوروش الكبير عند استيلائه على بابل .

واذا كانت اقوال هيرودوت صادقة فإن أحواله وسلوكه قد تغير نتيجة لإصابته بالصرع .

وعلى كل فإن من المسلم به تاريخيا أن اصابته عجل أپيس ليست سوى خبر كاذب ، فقد ثبت بالوثائق ان العجل كان قد نفق فى بداية غزو كمبوجيه الحبشة ، كما توضح النقوش الحجرية التى ترجع إلى عصر كمبوجيه انه كان يركع امام العجل المقدس للمصريين .

وعين كمبوجيه حاكما من قبله على مصر سنة ٥٢٣ ق . م ورجع إلى إيران ، واثناء عودته وبينما كان بالشام سمع أن احد المغان الميديين أطلق على نفسة اسم برديا ـ ابن كوروش وشقيق كمبوجيه ـ وجلس على العرش . واجتمع الناس حوله ، عندئذ استاء كمبوجيه استياء كبيرا فكان يعلم يقينا أنه قتل برديا ، ولكنه لم يكن بمقدوره أن يعلن ذلك ، عندئذ بلغ به الشيط منتهاه فطعن نفسه

---

(١) وثيقة اوجاگرسنت المودعة بالفاتيكان

طعنة قاتلة فى مدينة إكباتانا بالشام توفى على إثرهما ، وباح بسره الدفين قبل وفاته للخاصة من مرافقيه الفرس فى رحلته من مصر (٥٢٢ ق ٠ م) ٠

واقعة برديا المكذوب :

أوضح داريوس الكبير فى نقش بيستون هذه الواقعة بثلاث لغات هى الفارسية القديمة والعيلامية والآشورية . وهذه ترجمة لتلك الواقعة كما سطرت بالفارسية القديمة فى هذا النقش :

« يقول الملك داريوش ، هذا ما فعلته بعد أن أصبحت ملكا ، كان كمبوجيه ابن كورش من عائلتنا وتوج ملكا قبل ذلك ، وكان لكمبوجيه اخ شقيق يدعى بردى ثم إن كمبوجيه قتل برديا ، ومع أن كمبوجيه قتل برديا إلا أن الناس لم يعرفوا أنه قتل ، وبعد ذلك توجه كمبوجيه إلى مصر ، وبعد ذهابه الى مصر ، استاء الناس وتضايقوا ، وانتشرت اخبار كاذبة بين الناس فى فارس وماد وسائر الممالك .

« يقول الملك داريوش بعد ذلك خرج أحد المغان ويدعى كئومات من پى سى ى او وده) وانطلق من جبل يدعى آركادرس فى الرابع عشر من شهر ويخن (الشهر الأخير من الشتاء) وخدع الناس جميعا قائلا إننى برديا بن كوروش شقيق كمبوجيه ، عندئذ ثار الناس جميعا على كمبوجيه ، وانضم الناس اليه من فارس وماد وسائر الولايات مؤيدين له فاستولى على العرش فى التاسع من شهر گرمه پد (الشهر الأول من فصل الربيع) . وبعد ذلك توفى كمبوجيه منتحرا يقول داريوش الملك إن اريكه السلطنة التى انتزعها كئوماتاى المغ من كمبوجيه كانت فى اسرتنا من قديم وقد انتزع كئوماتاى المغ فارس وماد وممالك أخرى من كمبوجيه واستولى عليها وأضحى ملكا عليها .

« يقول الملك داريوش ، إنه لم يظهر اى شخص من فارس أو ماد او من عائلتنا ليسترد الحكم من كئوماتاى المغ ، وكان الناس يخشونه لانه قتل عددا كبيرا ممن كانوا يعرفون برديا ، وكان يقتلهم خوفا مما كان يدور بخياله « إن

أحدا لا يعرفنى ولا يعرف انى لست ابن كوروش ولن يجترىء أحد على أن يقول شيئا عن كثوماتاى المغ . حتى أتيت وطلبت العون والتوفيق من اهورامودا ، وفى اليوم العاشر من شهر (باغ ياديش) (الشهر الأول من الخريف) قتلت ومعى عدد قليل من الناس كثوماتاى المغ ومن معه من أعوان قتلته فى قلعة فى ماد تسمى (سى ك ى هو اتيش) فى منطقة نى ساى (قرب همدان) واستردت الملك منه ، وأصبحت ملكا بفضل آهور مزد . . . »[1] .

« يقول الملك داريوش ، لقد أعدت الحكم إلى أسرتنا بعد أن سلب ونزع منها وأعدت الأمر الى نصابه ، وبعد ذلك شرعت فى ترميم المعابد التى كان كثوماتاى المغ قد خربها وذلك من أجل الناس ، واعدت لسائر الطوائف كل ماسلبه كثوماتاى المغ من أسواق وحشم ومساكن ، واعدت أمور فارس وماد والممالك الأخرى إلى ما كانت عليه ، وفعلت هذا كله بفضل آهور مزد ، وتحملت ماتحملت من آلام حتى اوصلت عائلتى إلى ما كانت تنعم به من علو المقام قبل ذلك » .

يذكر هيرودوت أن كثوماتاى المغ ، بعد ان تولى العرش ، قد احسن معاملة رعايا جميع الممالك التى خضعت له وأعفاهم من الضرائب ثلاث سنوات وبعد أن خاف ان يتعرف عليه أحد من الناس ، انقطع عن أهله وأقاربه ، ولم يسمح لأحد بزيارته ، وكان سلوكه هذا سببا فى سوء ظن الفرس به . وعرف رؤساء الطبقة الأولى منهم وهم اعضاء العائلات السبع من احدى نساء كثومات — ابنة هوتانه ـ أن هذا الشخص ليس برديا وانهم كانوا قد قطعوا اذنه قبل ذلك . عندئذ اقسموا جميعا ومعهم داريوش ـ الذى كان قد وصل من الشام لتوه ، وكان يظهر مزيدا من الطاعة والاحترام لكثومات ـ اقسموا على دخول قصر برديا ولم يستطع من بالباب من الحراس والاعوان التصدى لهم وبعثوا بداريوش نفسه مع أحد مرافقيه إلى الداخل ، وقتل داريوش كثوماتا

---

(١) مكان النقط عبارات متكررة .

(٥٢١ ق . م) ، وقتل فى ذلك اليوم عدد كبير من المغان . وكانو يتخذون هذا اليوم عيدا لسنوات عديدة[1] .

يقول هيرودوت إن رؤساء الأسرات السبع ومعهم داريوش اجتمعوا بعد ذلك للتشاور فى طراز الحكم . فكان منهم من يؤيد الاخذ بأسلوب الحكومة القومية ومنهم من رأى الأخذ بأسلوب حكم الاقلية من الشعب (اوليجارشية) .

ولكن داريوش رأى أن أمور فارس وما وصلت اليه من سعة تستدعى حكما لايفشى فيه ما تعزم عليه ويقدر على التنفيذ السريع ، و نال رأيه فى النهاية تأييد الأغلبية من المجتمعين ، وبعد ذلك تباحثوا فيمن يتولى امور الملك ، وتنازل هوتانه عن الدخول فى هذا الاختيار لأنه كان يذهب إلى الحكم القوى . وجرت المباحثات بين الستة الباقين واتفقوا على ما يلى : — « أن يخرجوا جميعا عند الفجر من المدينة ، وحين يصلوا الى منطقة معينه ، فن صهل جواده يكون الملك . قاد أمير اصطبلات داريوش جواده إلى تلك المنطقة المعهودة ، وأراه فرسة . وهكذا حين وصل الجواد إلى ذلك المكان تذكر الفرسة فصهل ، وعندئذ أصبح داريوش هو الملك ويبدو أن ماقاله هيرودوت هو حديث خرافة : فإذا كنا نعلم انداريوش يرجع اسبه الى خشبارشا بن داريوش ، وقد ذكر هيرودوت ذلك فإنه يكون اقرب الناس لاعتلاء العرش ، كما أنه كان على رأس المجموعة التى أقدمت على قتل برديا الكذاب ، ويكون من الامور المستبعده أن يثور خلاف على تقدمه على من كانوا معه ، ويصبح إذاما أن لا يترك الانتخاب فى مثل هذا الأمر المهم إلى صهيل حصان .

---

(١) يسمى اليونانيون هذا اليوم ماكوفونى أى قتل المغ .

الثالث - داريوش الأول، الكبير

يعتقد المؤرخون أن أحدا من ملوك العالم لم يواجه فى بداية حكمه بمثل ماووجه به داريوش من مشكلات عديدة وضربات طاحنة ، وعلى الرغم من هذا كله فقد تمكن داريوش بما اتصف به من إرادة حديدية وقوة النفس من التغلب على كل الموانع والمشكلات ، والواقع أنه أسس امبراطورية إيران من جديد فمنذ أواخر حكم كمبوجيه نتيجة لغيابه عن إيران فترة طويلة ، وخروج برديا الكذاب وما ارتكبه مع ضعف ووهن مع الممالك التابعة له فقد أصبحت جميع ولايات ايران تموج بالثورة والغليان ، وكانت الخطوات التى اتبعها داريوش فى هذا الشأن طبقا لما ورد فى نقش بيستون على هذا النحو :

بدأت الثورة فى عيلام فقد أعلن التمرد على داريوش أحد أعقاب حاكم عيلام السابق وكان يسمى آترين ،فأرسل داريوش جيشا إلى شوش حيث قبض على المتمرد وقتله ؛ وفى بابل خرج شخص — اسمى نفسه بخت النصر الثالث بن نبونيد ملك بابل السابق . ورفع راية العصيان ، فتوجه داريوش على رأس جيش إلى بابل ولم يكن عبور دجله أمراً ميسوراً نظرا لقوة البحرية البابلية ، فسلك داريوش سبيل الحيلة وغافل خصمه وعبر دجله ، وانزل بالبابليين هزيمة نكراء فى معركتين . فلجأ البابليون إلى مدينة بابل وتحصنوا بها ، فحاصرها داريوش ولكن ترامت اخبار الثورات والإضطرابات التى شملت كل مكان إلى مسمعه وقتذاك ، فقد ثار واحد من أهل فارس يدعى مرتى ى[1] .

وقاد حملة هاجم بها مدينة شوش ولكن اهلها قبضوا عليه وقتلوه ؛ وتمرد جيش ماد — وكان مكلفا بحماية تلك المملكة — باغواء شخص اسمى نفسه فرورتيش وكان من اعقاب هووخ شتر ، واختاره المديون ملكا عليهم ، ففى

---

(١) ورد اسمه فى النقش (نى دين توبل)

أول الأمر أمر داريوش أحد قادته باخماد ثورة الميديين ، وجرت معارك كثيرة بين الجيشين لم تسفر عن نتائج حاسمه ، فأمر داريوش بايقاف القتال لحين وصوله ، وأرسل داريوش الى ارمينيا أحد قادته من الارمن كذلك لاحلال الهدوء بها ، فخاض ذلك القائد ثلاثة حروب لم تسفر عن نتيجة أيضا مما اضطره إلى ارسال قائد ايرانى الى ارمينيا من جديد . فخاض حربين لم يسفرا عن نتيجة كذلك ، مما حدا به الى اصدار امره اليه بايقاف القتال لحين وصوله، فقد كان الملك يعلم جيدا أن السيطرة على بابل مفتاح لسائر الفتوحات الاخرى ، ذلك أن الجيش المكلف بمحاصرتها حين يفرغ من ذلك فسيشترك فى الفتوحات الأخرى . ولذا ركز كل اهتمامه للفراغ من أمر بابل[٢] فاستولى عليها (٥٢١ ق . م) .

وهاجم داريوش ماد بعد ذلك ، وهزم جيشها الميدى وأمر بالقبض على فرورتيش الذى كان قد فر ، وتم اعدامه شنقا فى همدان .

وظهر فى ساكارتى كذلك شخص يدعى چيتر تخمه ، وادعى أنه من نسب هووخ شتر فقبض عليه داريوش بواسطة واحد من قواده وقتله . وفوض أمر اخماد الثورة فى پارت (خراسان) وگرگان الى ويشتاسب والد داريوش حاكم تلك المناطق ؛ الذى وفق فى انجاز ما اوكل اليه .

---

(٢) يروى هيرودوت « ان حصار بابل استمر عشرين شـــهرا وان زوبير — الايرانى الذى كان ولاؤه وحبه لداريوش مضرب الامثال ، قطـــع اذنيه وذهب الى البابليين (المحاصرين) واظهر لهم ما اصابه قاصدا بذلك اظهار انه يريد الانتقـــام من داريوش ، وبسرعة نال ثقة البابليين واسندوا اليه رياسة فرقة من جيشهم ، وبليل فسح لجيش ايران الطريق الى بابل » . وتبدو هذه الرواية غير صحيحة ذلك ان ما اسفرت عنه حفائر بابل يبين ان الحصار لم يستمر اكثر من اربعة أيام وان اخضاعها كان عام ٥٢١ ق.م . بينما رواية المؤرخين السابقين يجعلون هذا الحادث عام ٥١٩ ق.م استنادا الى رواية هيرودوت .

وأخضع مركو (مرو الحالية) التى كان أحد الاشخاص يدعى فرد قد استولى عليها ، وعاون داريوش فى ذلك حاكم باختر . وفى تلك الاثناء خرج فى فارس شخص يدعى وهى يزدات ، واسمى نفسه برديا بن كوروش .

ولكن داريوش تمكن من القبض عليه سريعا ، واعدمه ومن كانوا معه شنقا . كما تمكن بمعاونة حاكم رخج (الجنوب والغرب من افغانستان الحالية) . من انزال الهزيمة بالجيش الذى ارسله برديا الثانى الكذاب إلى تلك المناطق ، وفى تلك الاثناء أيضا ثار أهالى بابل بتحريض من شخص ارمنى أسمى نفسه بخت النصر ،ولكن نار الفتنة اخمدت حين تصدى لها أحد قادة داريوش الميديين وقتل المتمردين .

وأخضع السكا كذلك . وبعد ذلك بدأت الاضطرابات تتفاقم فى ليديا . وقد اورد هيرودوت تفصيل ذلك بقوله : كان أرى تس حاكم تلك المملكة يرغب فى الاستقلال ولكن داريوش عاجله قبل تحقيق أمله وقتله بيد واحد من اتباعه .

وبعد ذلك توجه داريوش إلى مصر عام ٥١٧ ق . م حين بدأت الثورات والاضطربات يزداد أوارها نتيجة لسلوك والبها ولذا قتل ذلك الوالى بعد وصوله إلى مصر ، وكان ذلك الوالى يسمى آريا ندش .

واستمال قلوب رجال الدين وكانوا ذوى النفوذ الكبير فيها إلى جانبه ، فاغدق عليهم الهبات ليحقق ما يريد .

وشارك المصريين فى مراسيم التعازى فى وفاة عجل أبيس متلافيـــا ما كان كمبوجيه يرتكبه من أعمال وسلوك دون تفكير او رويه ، وابدى حزنه ووعد

بدفع مبلغ مائة تالان[1] - أن يعثر على الثور المقدس الذى يتوافر فيه شروط المصريين ، حتى ظفر فى رحلته هذه بحبتهم وتقديرهم : فقد كان يتوجه إلى معابدهم ، ويظهر مزيدا من الإحترام لآلهتهم وشيد للمصريين معبدا فى آمون ، وأعاد الكاهن الكبير سائيس وكان قد نفى الى شوش وزاد من اكرامه ، وأمر بترميم ما خربه جيش كمبوجيه ، ثم أصلح الطرق التجارية فى مصر بعدما أصابها من تخريب ، وعادت سيرتها الاولى ، وأوصل بحر المغرب (البحر الابيض المتوسط) بالبحر الاحمر لتعود التجارة مباشرة بين مصر وبلاد الهند ، ونتيجة لذلك عم الشعور بالرضا عن داريوش جميع المصريين ، واعتبروه واحدا من كبار منفذى القانون ، ويجب القول بأن داريوش لم يحدث أى تغيير فى أوضاع مصر الداخلية ، فقد أبقى على الأراضى كما كانت فى يد نجباء المصريين ورجال الدين منهم ، ولكنه ترك حامية فى ممفيس وفى مكانين آخرين للمحافظة على الأمن .

وكانت مصر فى عهد داريوش تعيش فى رفاهية ، إلا إن الفلاحين ثاروا فى أواخر حكم داريوش (٤٨٦ ق. م) نتيجة للتقدير الجزافى للخراج . استغرقت عمليات داريوش الحربية لإخضاع الممالك الثائرة عشرين سفرة ، وأعدم داريوش وقادته تسعة أشخاص ممن أدعوا أنهم ملوك .

---

(١) ما يقرب من مائة وعشرين الف تومان بالعملة الحالية فى ايران (١٢٠٠٠ جنيه مصرى) .

نظم داريوش

لم يكن داريوش معبدا لتأسيس الدولة الهخمانشية فحسب ، بل كان واضعا ومؤسسا لنظم إدارية سهلت إدارة مملكة إيران الواسعة ، وأمنت نشر الرفاهية بين ابنائها . وكانت تلك النظم الإدارية على النحو التالى : —

أولا : —

قسم داريوش ممالك ايران إلى عدة اقسام ، وعين على كل قسم منها واليا كان يطلق عليه بلغة آنذاك [خششرپوان] اى حارس او حامى المملكة (كانت المدينة تعنى قديما المملكة) وكان اليونانيون يسمونه ساتراپ . ويذكر اليونانيون ان اقسام ممالك إيران كانت ستة وعشرين قسما ولكن عـــدد الولايات التى ذكرها داريوش فى نقش رستم بلغت بالاضافة إلى فارس ثلاثين ولاية . وعين فى كل ولايه اثنين من الموظفين من الإدارة المركزية كمساعدة الوالى فى إدارة ولايته وحتى لا تتركز السلطة فى يد فرد واحد) .

تولى واحد من هذين الموظفين قيادة الجيش المحلى الذى يحرس الولاية[1] ، ويتولى الثانى إدارة أمور الولاية كرئيس للديوان ، وكان الهدف من تأسيس هذا المنصب أن يقف الملك على أحوال الولاية وهل تنفذ الأوامر الصادرة اليه من قبل الحكومة المركزية . وعلى هذا فقد كان رئيس الديوان على اتصال مباشر بالسلطة المركزية ، وفى المهمات كانت الأوامر المركزية تصدر اليه مباشرة . وكان يدير امور القلاع من يسمون (آرگ پت) (ارجبذ) . وأوجد نظاما لحفظ الأمن العام حتى يعم جميع الولايات ، وكان للسلطة المركزية مخبرون فى هذا النظام فى كل مكان بالولاية ، وبالاضافة الى ذلك كانت السلطة المركزية

---

(١) كان لليونانيين يسمون من يتولى هذا المنصب كارانس وتعنى كلمة كارا فى الفارسية القديمة سواد الناس والجيش .

ترسل موظفين من قبلها لتفحص الأوضاع المالية للولايات مرة كل عام ، وكان يرسل برفقة هؤلاء المفتشين — الذين كانوا يلقبون بعيون الدولة وآذانها — جنودا لتنفيذ أوامرهم .

ثانيا : —

لكى تصل أوامر العاصمة وأحكامها إلى الولايات بسرعة فائقة ، وحتى لا يحدث ما يعوق حركة الجيوش اثناء الغزوات ، مد داريوش الطرق فى إيران والممالك الخاضعة لها ، وكان اشهرها الطريق الممتد من سارد حتى شوش . تمتد من هناك حتى يصل إلى العاصمة وقد قدروا طوله بـ ٢٤٠٠ كم اى ما يقرب من أربعمائة فرسخ .

ومن الطرق التى كانت مشهورة آنذاك الطريق الممتدة من ممفيس عاصمة مصر آنذاك إلى مدينة كوروش الواقعة على نهر سيحون ، وجهزت منازل وفنادق جيدة على طول هذه الطرق ، كما انشأوا مراكز البريد وزودوها بقدر كاف من الخيول السريعة ، وكانت تلك الطرق تخترق الجبال فى بعض الاماكن فعينوا من الحاميات ما يكفى لحمايتها .

وكان حملة بريد الدولة يوصلون الرسائل الصادرة من العاصمة إلى أقرب مركز بريد لها فيتسلمها حملة بريد غيرهم حاضرون ويوصلونها إلى مركز البريد التالى . وهكذا كان حملة البريد فى حركة دائمة ليل نهار وكانت أوامر الدولة تصل بسرعة إلى الأماكن الموجهة إليها .

ثالثا : —

الوصول بالمقدرة العسكرية الى الحد المطلوب ، ووصولها بسرعة إلى أهدافها نظم داريوش الجيش وكان المؤرخون اليونانيون يطلقون عليـــه اسم (جا ويدانش) (= الخالد) لأنه لم تعوزه العدة ، كما كان يملأ الفراغ على الفور

وكان عدد أفراد هذا الجيش المعدة والمنتقاة والذين يتحركون فور صدور الأمر بالتحرك يصل إلى عشرة آلاف فرد . كانوا يتولون حفظ الأمن ، كما كانت هناك قوة أخرى من الأساورة والمشاة تبلغ أربعة آلاف جندى تتولى حراسة العاصمة والقصر الملكى .

رابعا : —

لم يكن هناك نظام معين لجباية الأموال قبل تولى داريوش الحكم ، فقد كان الولاة يجبون كل مايريدون ، فنظم داريوش هذا الأمر المهم، ولم تكن مصادر الجباية معلومة ، ولكن هيرودوت يذكر أن داريوش فرض على كل ولاية من ولايات ايران العشرين مبلغا محددا يجبى كل سنة ، ويقول هيرودوت أن حصيلة الأموال التى كانت ترد إلى الخزانة ، كانت تعادل ١٤٥٦٠ تالان (او ن[1]) . ويذكر هيرودوت أن الأموال كانت تشتمل نقدا وعينا[2] .

ويذكر پلوتارك أن داريوش بعد أن حدد الجباية النقدية والعينية للممالك أخذ يعيد النظر ليتبين إذا كانت تثقل كاهل الناس أم لا ، وبعد أن تبين أنهم يستطيعون دفع مافرض عليهم خفض المطلوب إلى النصف ، وقال إن الولاة سيجبون

---

(١) يعادل التالان (أوبه) الفضى ٥٦٥٧ فرنكا فضة وهو بالنقد الايرانى اليوم يعادل ١٢٠٠ تومان .

(٢) وكان ما يجبى من الهند يمثل اكبر قدر وهو ٣٦٠ تالانا ذهبا وهو يعادل ٤٦٨٠ تالانا فضة . وبعد الهند تاتى بابل واشور ويحصل منهما ١٠٠٠ تالان فضة . ثم مصر وتؤدى ٧٠٠ تالان وسائر الولايات فتؤدى ما بين ٥٠٠ و ١٧٠٠ تالانا .

أما الاموال العينية فكانت من الخيول والبغال والمهور والاغنام والنلة وعاج الفيل ، وكانت عائدات مصايد الاسماك فى بحيرة موريس بفيوم مصر خاصة بالدولة، وكان على بابل أن تقدم خمسمائة خصى ، ويقدم أهالى كلشيد مائة جارية كل خمس سنوات ويقدم الأعراب الف تالان عندا .

ضرائب إضافية من الناس للوفاء بمصاريفهم لهذا يجب تخفيف ما يجبى منهم حتى لا يقع عليهم عبء متطلبات الولاة .

خامسا : —

من الأعمال التى قام بها داريوش توصيل البحر الابيض (بحر المغرب) بالبحر الاحمر وسبب ذلك أنه حين كان ببلاد الهند ، لاحظ أن تجارة مصر والشام وغيرها تمر فى طريقها لبلاد الهند ، عبر طريق موحش برى ، لذا أمر بربط بحر المغرب بالبحر الاحمر بواسطة إحدى شعب نهر النيل ، وقد تم هذا العمل فى عصر نخاو فرعون مصر عام ٦٠٩ ق . م ، إلا ان تلك القناة كانت قد سدت فى عصر داريوش ، فأمر بتطهيرها .

سادسا : —

سك داريوش عملة ذهبية لتسهيل الامور التجارية والمعاملات ، وراجت تلك العملة فى جميع ممالك ايران ، وكانوا يسمون تلك العمله (دريك[1]) ويتضح من تلك السكة ان عيارها الذهبى كان عاليا جدا ، ذلك ان داريوش كان ذا ولع شديد بأن تكون عملته من الذهب الخالص . وقد ضربت السكة لأول مرة فى ليديه فى منتصف القرن السابع ق . م ، ولكن عملة داريوش كانت أول سكة ضربت فى ايران .

---

(١) دريك أى الذهبى .

الاستيلاء على البنجاب والسند

بعد أن فرغ داريوش من تثبيت الأمن فى الممالك التابعة لإيران ، ضم عدة ولايات اليها إحداها البنجاب والأخرى السند وهما من الولايات الهندية ، وقد جلب لايران من بلاد الهند كثيرا من الذهب ، وكانت حرب داريوش فى بلاد الهند من الاحداث المهمة آنذاك،حتى صارت تلك الحرب واحدة من مبدأين إتخذتا بداية لتاريخ الهند :

الأول : موعظة بوذا (مؤسس الديانة البوذية) . والثانى غزو داريوش .

وحين كان داريوش فى بلاد الهند بنى الكثير من السفن وارسل اسكيلاس Skylas أمير البحر اليونانى إلى بحر عمان والخليج ،لاجراء ابحاث حول سواحل هذه البحار . وكان هذا من الأمور المهمة انذاك[1] ، وقرب ذلك الزمان خضعت جزيرة سامس وبعض الجزر اليونانية الأخرى لداريوش .

غزو أوروبا ـــ الاستيلاء على تراكيه ومقدونيا .

توجه داريوش بعد ذلك إلى السكا ، وكانوا اقواما من الشعوب الآريانية غالبا ، استوطنوا جنوب روسيا الحالية، وكما سبق الاشارة اليه فانهم قدا غاروا على آوربا بمحاذاة وارمينيا وآسيا الصغرى فى عهد هووخ شتر،ويبدو أن السبب الذى حدا بداريوش لمهاجمتهم أنه كان يرغب فى شن حرب على يونان أوروبا، لذا فكر فى تأمين ظهره اثناء مهاجمته لليونان ولكن هذا التصور لا يمكن أن يكون صحيحا،فقد تحقق له تأمين ظهره بالاستيلاء على تراكيا ومقدونيا ، ولذا يجب القول بأن تلك الغزوة كانت نتيجة للحملات والإغارات المستمرة التى

---

(٢) يشك بعض الباحثين فى صدق ذلك ، ولكن تاكد الان ان امير البحر اليونانى قد الف كتابا حول ابحاثه ودراساته ، وان هـــذا الكتاب كان موجـــودا فى عصر الاسكندر .

كان السكا يشنونها على ايران[١] . وعلى أية حال فقد بدأ داريوش حملته على مملكة السكا فى سنة ٥١٥ ق . م . فعبر مضيق البوسفور ، حيث أمر داريوش يونانى آسيا الصغرى التابعين لايران بإنشاء جسر من السفن خول اليهم أمر حمايته ، وبعد ذلك عبر الجيش الايرانى تراكيا حتى بلغ مصب نهر الدانوب .

وهناك أمر رؤساء المستعمرات اليونانية (الجبابرة) ببناء جسر من السفن عبر عليه الجيش الايرانى حتى بلغ مملكة السكا أو منطقة السهوب (steppe) إضرم السكا النار فى المؤن وخزائن الغلال وطموا الآبار غاضبين ثم تقهقروا الى داخل مملكتهم ، فهددت مشكلات تلك المملكه وما أصابها من قحط الجيش الايرانى . ولكن قيادة الجيش الايرانى كانت قد أعدت المؤن الكافية للجيش فتمكن داريوش خلال شهرين من التقدم من نهر الدانوب حتى تانائيس (الدن اليوم) وقلب مملكة السكا (روسيا الحالية) ويقول هيرودوت:ارسل داريوش رسولا إلى ملكهم لابلاغه بهذه الرسالة :

« لماذا تفر من أمامى ، حارب إن إستطعت وإلا أطعنى » . فأجاب حاكم السكا اجابة ماكرة محيرة فقد ارسل اليه : طائرا ، وفأرا ، وضفدعة ، وخمسة رماح . فسر أحد ندماء داريوش ويدعى كبرياس هذه الرسالة بقوله : إن حاكم السكا يود أن يقول : اذا كنتم لا تستطيعون أن تحلقوا فى السماء تحليق الطيور ، أو الاختباء فى الأرض كالفيران أو النزول فى الماء كالضفدع . فلا خلاص لكم من سهامنا هذه .ومع قبول هذا التفسير فلم يتضح لماذا ارسل حاكم السكا خمسة من السهام .ويتضح الجانب الاسطورى مما ذكره هيرودوت، فقد دخل السكا ـ مع الجبابرة أو الحكام اليونانيين المكلفين بحراسة جسر الدانوب ـ فى محادثات لتخريب تلك الجسور حتى لا يتمكن داريوش من العودة ، ولكن الجبابرة الذين نالوا ما هم فيه من مكانة بحماية ايران لهم، امتنعو عن تنفيذ

---

(١) يعتقد نولدكه ان السبب فى ذلك يرجع الى رغبة داريوش فى التوسع .

ذلك ، ورجع داريوش إلى سارد من الطريق الذى سلكه فى ذهابه إلى أوروبا إلا انه ترك ثمانين ألف جندى تحت قيادة بغابيش (مكابيز عند اليونان) فى أوروبا للاستيلاء على المدن اليونانية فى تركيا ومملكة مقدونيا ، وقد اتم هذا القائد ما وكل اليه من مهمة ، وتقدم حتى بلغ سواحل بحر الادرياتيك وهكذا خضع ملك مقدونيا آمين تاس لإيران .

الحرب مع اليونان

يتضح من القرائن أن داريوش لم يكن يقصد الهجوم على أثينا او اسپارته بل ان الغالبية من رجال البلاط الايرانيين كانوا يرون عدم جدوى الحرب مع اليونانيين ، ولكن اليونانيين الاوروبيين هم الذين أجبروا داريوش على ارسال الجيش إلى اليونان، وتفصيل ذلك على النحو التالى : كان ثلث الأراضى التى يسكنها اليونانيون ـ أى المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى وتراكيا ومقدونيا ـ تابعة لإيران آنذاك، وكان الثلثان الآخران يتكونان من عدة دويلات كان بعضها لا يتعدى حكم مدينة من المدن وبعضها الآخر اكبر من ذلك ، وكانت اثينا واسپارته اشهر تلك الدول وكانت الأولى تحكمها حكومة وطنية .

بينما كانت تحكم الثانية حكومة او لجارشية ،اى أقلية . وكان كلاهما يخشى ايران جارتهم القوية ويتوجس منها خيفة ، إلا انه على الرغم من هذا فقد كانا يلجآن اليها إذا ما حزبهما أمر ، وخلاصة القول فإنه منذ ذلك التاريخ ومن نهاية الحكم الهخامنشى كان اليونانيون يفرون من بلادهم لاجئين إلى ولاة آسيا الصغرى، ولجوء العديد من اليونان إلى بلاط إيران معروف، وكان هؤلاء يحرضون ايران دائما على الاستيلاء على اليونان أو التدخل فى شئونها ولم تتدخل ايران فى أمور المستعمرات اليونانية ، بل تركت أمور ادارتها لجبابرة اليونان، فإذا ما فقدت ايران الثقة فى أحد هؤلاء الجبابرة ، عينت جبارا يونانيا آخر .

وفى سنة ٥١٠ ق . م ثار أهالى اثينا على هيپ پياس Hippias وكان من عائلة پى زيسترات وجبار اثينا فعزله اهلها وانشأوا حكومة وطنية بها ، فلجأ إلى ارتافرن والى ليديا ثم إن الاثينيين ، لمعارضة اشراف إسپرطه لحكومتهم الوطنية مما أدى إلى حرب بينهما انتهت بوقوع أثينا تحت ضغط دوله اسپرطه ، رأوا أن مصلحتهم فى التقرب لايران ، فارسلوا سفيرا إلى والى ليديا

طالبين المساعدة من إيران ، فرد الوالى نساعدكم بشرط خضوعكم لايران ودفع الجزية لها ،فقبل السفير هذا الشرط ، إلا أن الأثينيين رجعوا عما وافق عليه السفير (٥٠٨ ق ٠ م) .

وبعد عامين عاود الاثينيون إرسال السفير إلى الوالى المذكور طالبين تخليه عن حماية هيپ پياس فأجابهم بضرورة قبول اثينا له ، فرفضت اثينا هذا الطلب وفى هذا الحيص بيص بدأت الثورات والاضطرابات فى المدن اليونانية بآسيا الصغرى ، وكان محركها آريستاگر Aristagor جبار مدينة ميلت ، وكان يحكمها من قبل إيران ، وكان السبب فى ذلك أن حماة هيس تيه Histiaeus حاكم ميلت السابق كان قد قدم خدمات كثيرة لداريوش اثناء غزوه لمملكة اسكا ، ولذا كافأه داريوش على ذلك بمنحه مقاليد الحكم فى مدينة ميرسين إحدى مدن تراكيه .

ثم تم استدعاؤه لايران بعد أن تأكد ما يقوم به من بناء للاستحكامات هناك ، حيث عومل بغير احترام ، فحرض هذا الشخص صهره آريستاگر على الثورة ، وحتى لا يفتضح أمره حلق رأس أحد الغلمان وكتب ما يريده على فروة رأسه ، وبعد أن نبت شعر الغلام أرسله إلى ميلت آمرا اياه بإبلاغ صهره بحلق رأسه وقراءة ما سطر على جلد رأسه ، وبعد ذلك بدأت الثورة ، واضطر الجيش الايرانى نظرا لقلة عدده إلى التقهقر أمام الثورة ولجأ إلى مدينة سارد وحين علم آريستاگر ان جيش إيران سيصل من جهات متعددة ، ذهب إلى اليونان طالبا العون ، ولم تكن اسپارته مستعدة للعون بينما أمده الأثينيون بعشرين سفينة ، وبعد ذلك امتدت الثورة إلى سائر المدن اليونانية فى آسيا الصغرى وجزيرة قبرص وغيرها ، واستولى اليونانيون على سارد ، وأحرقوا المدينة ذاتها وغاباتها المقدسة ولكنهم لم يوفقوا بالاستيلاء على قلعتها لما كانت عليه من استحكامات قوية ، وبعد ذلك توافد وصول الجيش الايرانى إلى مكان الثورة من كل ناحية ، وأحكمت السفن الفينيقية القادمة من البحر الدائرة على المتمردين لتنشب الحرب فى نهاية الأمر قرب ميلت ويضمحل اليونانيون أو يتوارون ، ويعود الأثينيون إلى مملكتهم .

واستولى الايرانيون على مدينة ميلت حيث انزلوا صارم العقاب بالمتمردين (٤٩٦ ق ٠ م) . واضح أن داريوش قد تأثر كثيرا بتدخل يوناني أوروبا فى أمور إيران الداخلية، ولذا سرعان ما قامت الحرب الأولى بين إيران واليونان وقبل وقوع الحرب أمر داريوش — ارضاء ليوناني آسيا الصغرى — بمسح الاراضى وتعديل الضرائب عليها وأرسل صهره (مردونيه) لإخماد الثورة فى آسيا الصغرى وتراكيه وغيرهما وخوله حق الإصلاح .

وكان هذا الرجل يتمتع بالنجابة الفطرية وذا عقل وتدبير ، فكان أول عمل اتمه تكوين حكومة وطنية فى سائر المستعمرات اليونانية بآسيا الصغرى حتى يسود الرضا بينهم عن إيران[1] ، وبعد ذلك شن حملة على أوروبا وتقدم حتى بلغ جبل آتس فى تراكيا ، واعاد مقدونيا إلى حظيرة ايران مرة أخرى ٤٩٢ ق ٠ م ، ولكن تحطمت وغرقت ثلاثمائة سفينة نتيجة لهياج البحر الذى حدث آنذاك .

وكان الخوف من الايرانيين شديدا فى قلوب اليونانيين ، إلا أنهم لم يتخذوا أية استعدادات لمواجهة ذلك ، وكانت تلك الناحية المعنوية لليونانيين معروفة فى البلاط الايرانى ، فقد قام كثير من أشراف اليونانيين الفارين من الأحداث فى اليونان بالإحتماء بهذا البلاط وكانوا يخبرون داريوش بأحوال اليونان .

وكان جميع من بالبلاط الإيرانى يعتقدون أن داريوش يستطيع اخضاع هذه المملكة دون حرب ، وبناء على ذلك أرسل داريوش رسلا إلى اليونان طالبين ضرورة تقديم الماء والتراب أى الطاعة والخضوع ، فقبلت اكثرية المدن اليونانية ذلك ، ولكن الرسل الموفدين إلى اثينا واسپارته قتلوا على خلاف العرف السائد بين الدول آنذاك ، لتبدأ الحرب من جديد (٤٩٠ ق ٠ م) .

---

(١) ايد هيرودوت هذا القول .

ويقول هيرودوت أن الجيش الايرانى آنذاك كان تحت إمرة أحد القادة الميديين اسمه ديتيس Datis فرأى أن الصواب يكمن فى مهاجمة اثينا مباشرة عن طريق البحر وجزر سيكلاد فاستولى الجيش الايرانى فى بداية الأمر على مدينة إرت رى Eretree ورحل سكانها إلى آسيا ، وبعد ذلك وصلت ستمائة سفينة ايرانية إلى شبه جزيرة آتيك Attique التى تقع فيها اثينا وألقت مراسيها ، وفى بداية الأمر لم يرغب الاثينيون فى القتال لأنهم كانوا ينتظرون الامدادات من اسپارته ، ولم تكن قد وصلت بعد . إلا أن ميلتياد أحـد ابناء النجباء قام بتحريض الأهالى على القتال ، وخرج الجيش الأثينى تحت قيادته لحرب الايرانيين ، وفى الطريق انضم إليه عـدد من أهالى پلاته (احدى المدن اليونانية) .

واحتل جيش اثينا مدينة ماراتن Murathon الواقعة فى الطرف الشمالى الشرقى من شبه جزيرة آتيك ، وبعد ذلك بأيام بدأ ميلتياد القتال ، ونظرا لأن اليونانيين كانوا يدركون أن الايرانيين ذوى مهارة فائقه فى رمى السهام ، وأنهم إذا حاربوا من بعيد لا تكون لهم القدرة على تصويبها ، ودون ما وجل التق جيشه بالجيش الايرانى ، والتحم الجيشان رجلا لرجل ، وكانت أسلحة الجيش الاثينى ثقيلة أى أن أسلحتهم كانت دفاعية فى حين كان الجيش الايرانى مفتقدا لهذا النوع من الأسلحة كما كانت دروعهم لا تصل إلى ما كانت عليه الدروع اليونانية من المتانة والاستحكام ، وعلى الرغم من هذا تمكن الايرانيون من اقتحام قلب الجيش اليونانى ولكن جناحى هذا الجيش تغلبا مما اضطر الجيش الايرانى إلى التقهقر بعد مقتل أربعة آلاف رجل وانسحب فى سفنه .

وكانت الجيوش الإيرانية ترغب فى بداية الأمر فى مهاجمة اثينا من طريق أكثر قربا منها إلا أن ميلتياد عرف خطتهم فسارع إلى الطريق المقترح محكما الدفاع عن اثينا ، وبعد ذلك حين رأى القائد الايرانى أن الامر قد أصبح على هذا النحو ، لم يخض حربا أخرى ورجع إلى آسيا .

وفيما يتعلق بتلك الحرب . يجب أن نقول أن أحداثها متناقضة : أولا كتب المؤرخون اليونانيون أن عدد جنود ايران كانوا مائة ألف بل ثلاثمائة ألف والحال أن الثابت أن الستمائة سفينة فى العهد القديم لا يمكن أن تحمل أكثر من ثلاثين ألفاً من الجنود بكامل أسلحتهم ومعداتهم ، ثانيا لو حدث أن الجيش الايرانى اقتحم قلب الجيش اليونانى فما هى الترتيبات التى اتخذها الجيش اليونانى ليتمكن من الاطباق بجناحيه . وبناء على هذا والروايات الكثيرة التى لا يمكن ذكرها فى هـــذه المجالة فإن بعض المحققين مثل (نى بور) يعتقدون ان كتابات اليونانيين عن هذه الحرب والحروب الأخرى التى جرت بين ايران واليونان اشبه بالشعر والأسطورة والقصص الملحمى منه بالكتابة التاريخية ، يقول (نى بور)[1] . إن الأثينيين كانوا على درجة كبيرة من التقدم بشكل لم يكن مرتقبا ولا ندرى كيف كان ذلك وتوفى داريوش بعد أربعة أعوام من هذه الحرب اثناء استعداداته لحرب جديدة وكان ذلك عام ٤٨٦ ق . م ، ويعتقد بعض المؤرخين أنه لو طال به العمر لتمكن من جبر هذا الكسر الذى أصيب به ، ولساء أمر اليونانيين كثيرا .

(1) Niebuhr. Vorträge über Alte Geschichte. T. II. p. 385-414.

خصال داريوش

كان داريوش ملكا عاقلا وذا إرادة قوية وعزم . وكان سلوكه مع المغلوبين يتسم بالإعتدال إلا نادرا ، كما كانت لدية بصيرة نفاذة فى اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ولم يخطىء فى هذا المجال . ولو لم يقول هـذا الملك العرش بعد كمبوجيه لانتهى العصر الهخامنشى سريعا مثله مثل العصر الميدى ولكن داريوش أسس الامبراطورية الهخامنشية من جديد ، وأحدث فيها تنظيمات وتشكيلات لم يكن هناك عمل أفضل منها فى ذلك الوقت حتى اقتص أثرهـــا الاسكندر والسلوكيون والساسانيون وغيرهم . وفى عهد داريوش بلغت إيران أقصى ما وصلت اليه من اتساع وبعده بدأت الدولة الهخامنشية فى التدهور وتولى أمورها عدد من الملوك الضعاف ، وعلى الرغم من عداء داريوش اليونانى فإن كتابات المؤرخين اليونانيين وبخاصة كتابة اشيل الأديب والشاعر المشهور تبدى المزيد من الاحترام لداريوش ، ويعتبره بعض الباحثين أهم ملوك ايران القديمة وذكروا أنه يمكن مقارنة انوشيروان وحده به[1] .

---

(١) ارجع الى نولدكه : أبحاث تاريخية عن ايران القديمة .

الرابع : خشيارشا[1]

كان الجميع يعتقدون فى بداية الامر أن [ارته برن][2] بن داريوش من زوجته الاولى سيكون وليا للعهد بعد والده ولكن داريوش اختار لولاية العهد قبل وفاته ابنه من (آتس سا[3]) ابنة كوروش الكبير . وأيده الجميع فى ذلك واسمه خشيارشا (باليونانية كورك سس) .

تولى خشيارشا مقاليد الملك وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره ، وجه اهتمامه فى بداية حكمه لاخماد الفتنة التى حدثت بمصر ، وولى عليها رجلا اسمه (خش) وتمكن من القضاء على تلك الفتنة عام ٤٨٤ ق . م ، وبعد ذلك أخمد ثورة بابل ، وتوضيح ذلك أنه استولى على هذه المدينة بعد حصارها عدة أشهر وفى تلك المرة - كما يقول هيرودوت - سلك سلوكا مغايرا للمألوف فقد أغار على المدينة . وجعل خزانة الآلهة البابليين (بل مردوك) من نصيب الفاتحين .

وبعد أن فرغ خشيارشا من هذين الامرين ، بدأ فى الإستعداد لحرب اليونان . كتب المؤرخون أن هذا الملك لم يكن يرغب فى بداية الأمر الدخول فى حرب مع اليونان ، ولم يكن يعطى أهمية لهزيمة الإيرانيين فى ماراتن ، إلا أن (مردونيه) كان يحرض خشيارشا على حرب اليونان حفاظا على أبهة إيران وشوكتها ، ومعلوم أن اليونانيين الهاربين والمطرودين من اليونان الذين لجأوا إلى البلاط الإيرانى وكثر عددهم به كانوا يشاركون مردونيه هذا الخيال ويذكر هيرودوت أن الإستعدادات لتلك الحرب استمرت ثلاث سنوات ، وتم إختيار كابادركيه الواقعة فى آسيا الصغرى مكانا لتجمع كل الجيوش .

---

(١) هكذا يسمى نفسه فى نقوشه .

(٢) لبنته كبرياس ، وهو نفس الشخص الذى كان يعاون داريوش فى واقعة بيمنيا الكذاب (كئو برود)

(٣) Atossa

وكما كتب المؤرخون اليونانيون فقد اشترك في هذه الحرب ست وأربعون صنفا من الشعوب والأجناس المختلفة ، فقد كان الجيش مكونا من الفرس والميديين ، وأهالى گرگان ، والپارتيين والسكا ، وانضم إلى هذا الجيش أفراد من الآشوريين والعرب والهنود والليديين والأحباش وسائر الممالك التي كانت خاضعة لإيران .

ويختلف المؤرخون القدامى في عدد جنود خشيارشا فمنهم من ذكر بأن عددهم خمسة ملايين ، وهذا العدد مبالغ فيه كثيراً ، ومن المحتمل أن يكون عدد جيش خشيارشا المكون من القوات البرية والبحرية قد بلغ ٣٥٠ الف جندى ، لأنه لم يكن بالإمكان - طبقاً لما كان متاحا في استعدادات ومواصلات آنذاك - تدبير مؤن لأكثر من هذا العدد .

وكان له في البحر ١٢٠٠ سفينة حربية و ٣٠٠٠ سفينة نقل وحمل لمعاونة الجيش ، وقد أحضرت تلك السفن من قبل المصريين والفينيقين وأهالى جزيرة قبرص والمستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى تلبية لأمر خشيارشا ، وعبر الجيش الإيراني بوغاز الدردنيل - وكان يسمى آنذاك هليس پونت Hellesponte فوق جسر من السفن المتراصة بأمر خشيارشا ، ووصل إلى أوروبا خلال سبعة أيام بلياليهم . فقسم المشاة النظاميين عدة فرق وقسم الخيالة النظاميين ثلاثة أقسام ، وكان قادة الجيوش كلهم من الفرس ، وتحرك الملك ومعه كل العائلة والحاشيه مع الجيش .

وتقسيم الجيوش إلى فرق أصغر عليها قادتها التابعون للقيادة العليا ، وتحرك مثل هذا الجيش العرمرم مرة واحدة من آسيا الصغرى حتى بلاد اليونان ، يدل على أن تقسيمه إلى فرق وحركته ، ووصول المؤن اليه واقامة كبارى المرور وتعمير طرقه ونظامه وترتيبه كان غاية في الدقة والأحكام ، والا ما كانوا يستطيعون قطع هذا الطريق الطويل .

وفضلا عن الجسور العديدة التي اقاموها في أماكن مختلفة ، فقد حفروا قناة في الطرف الشمالي من جبل آتس Athos حتى لا تتعرض السفن الإيرانية

لما تعرضت له من طوفان وفيضان أثناء الحرب الإيرانية اليونانية الأولى. [عثر فى تلك القناة عام ١٨٢٩ على ثلاثمائة قطعة ذهبية ضربت أيام دارا الاول وتسمى دريك] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لم يلاحظ اتحاد واتفاق بين اليونانيين فى بادىء الأمر : فقد كانت المدن اليونانية ترى كل منها نظرة خاصة لا تشاركها فيها غيرها من المدن ، وإن كانوا جميعاً يعتقدون أن الحرب مع الإيرانيين لا نتيجة ولا فائدة منها ، ولم يكن الأمر فى اثينا بأفضل من ذلك ، فقد كانت مترددة فى ذلك، محجمه عنه،ولكن ظهر بين الاثينيين شخص يدعى تيموستكل Themistocle تمكن من إشعال حمية الأهالى ، وايقاظ الرغبة فى القتال ، وتهيئة الأسباب اللازمة لذلك ، حتى تمكن فى النهاية من شحذهممهم للقتال ، عندئذ أرسلوا السفراء الى المدن اليونانية الاخرى ، بطلب عقد وتكوين اتحاد فيما بينها ، فدخلت اسبرطة فى البداية فى هذا الاتحاد وتعاقب انضمام المدن الاخرى إليه حتى بلغ عدد المدن المتحدة احدى وثلاثين مدينة . وتمكن الجيش اليونانى المكون من سبعة آلاف جندى من الإستيلاء على مضيق ترموبيل Thermopyles ويقع هذا المضيق بين جبل وبحر وكان ضيقا يكاد يسمح بعبور عربة واحدة ، وكان لئونيداس Leonidas يقود الجيش اليونانى ، ويتولى قيادة القوة البحريه (مكونة من ٢٧١ سفينه) أمير البحر اورى بياد Euribyades وكان كلاهما حاكما لاسبرطة . تقدم الجيش الإيرانى عبر طريق قفر ، واستسلمت له كل الطوائف والشعوب الواقعة عبر هذا الطريق . حتى بلغ مضيق ترموبيل . وبدأ الهجوم والزحف الإيرانى فى اليوم السادس وأظهر الخيالة الميديون ورماة السهام من الكيسيين مهارة فائقة ، ولكن الجنود الاسبارتيين المعروفين بـ هوبليت Hoplites أى حاملى الأسلحة الثقيلة ، لم يمكنوا الجيش الايرانى من عبور هذا المضيق ، وصدوا حملاتهم واوقفوها ، وحين ادرك قادة الجيش الايرانى صعوبة العبور وأن هذا سيودى الى خسائر جسيمة بين صفوف الجيش الايرانى ، تحرك الجيش بقيادة هيدارن مسترشداً

بهداية أحد اليونانيين ، سالكا طريقا وعرة . تطرق ظهر اليونانيين فى ترموبيل وحين علم الجيش اليونانى بتلك الخطة ، انفصمت عرى وحدته وتشتت ، الا أن لئونيداس ومعه ثلاثمائة جندى من الاسبارتيين ، وسبعمائة جندى يونانى من سائر المدن اليونانية الأخرى ظلوا مقيمين فى ترموبيل لتأمين انسحاب الجيش المذكور ، أى للسماح لهم بالخروج فى أمان من ميدان القتال ، وبعد ذلك كان الجيش الايرانى يتحرك فى المنطقة الجبلية عبر طرق وعرة مجهولة حتى بلغ مؤخرة الجيش اليونانى المتبقى فى ترموبيل بقيادة لئونيداس وقبضوا عليهم جميعاً وقتلوهم وقائدهم [٤٨٠ ق م] . وتعد هذه الحرب من أشهر المعارك فى تاريخ الحروب والتى تم فيها انسحاب الجيوش ، كما ترك لئونيداس اسما كبيراً فى التاريخ . ودارت فى تلك الاثناء حرب بحرية أخرى بين البحرية الايرانية والبحرية اليونانية قرب جزيرة اوبه Eubee ، وأصيب الطرفان إصابات بالغة ، إلا أن البحرية الايرانية حافظت على تفوقها البحرى ، ونظراً لما أصيبت به البحرية اليونانية من خسائر فادحة ، فانها فرت من ميدان القتال حين علمت بعبور الجيش الايرانى من مضيق ترموبيل ، وادرك الجيش الإيرانى فرار السفن اليونانية بعد يوم من فرارها ، وأنهم اذا تعقبوا البحرية اليونانية ، فانهم يستطيعون القضاء عليها وسميت هذه المعركة البحرية باسم المكان الذى حدثت فيـــه أى حرب آرتى ميزيوم Artemisium (٤٨٠ ق . م) وأصبح الطريق ممهدا ومفتوحا أمام الجيش الايرانى لاثينا وتمام المدن اليونانية ، ونتيجة لهذا رحل الاثينيون النساء والأطفال من اثينا الى جزيرة سالامين ، حيث اجتمعت السفن اليونانية البالغ عددها ثمان وستون وثلاثمائة سفينة .

تحرك الجيش الايرانى متجها صوب اثينا ، واستولى عليها وانتقاما مما فعله اليونانيون فى سارد فقد أحرق معبد القلعه ، وابلغ خشيارشا عمه اردوان — الذى كان يحكم نائباً عنه — بفتح أثينا ، وعندئذ أصبحت للايرانيين اليد العليا

برياً وبحرياً وأصاب اليأس اليونانيين وأرادوا الهرب وترك ميدان القتال ، إلا أن تميستوكل إحتال حيلة ودبر أمراً حتى تحدث المعركة البحرية على الفور ولا يتفرق اليونانيون ، ويجبر السفن الإيرانية على القتال فى مضيق ضيق (سالامين) وتحقيقاً لما هدف اليه ارسل أحد غلمانه إلى البحرية الإيرانية خفية مبلغاً إياها بهذه الرسالة : « إن البحرية اليونانية تنوى الفرار ، ولأنى أؤيدكم فى الباطن رأيت من الخير أن أطلعكم على ذلك » عندئذ سارعت البحرية الإيرانية ببدأ القتال ولكن لم تتمكن سفنها جميعاً من الإشتراك فى القتال لضيق المكان كما لم تستطع السفن الكبيرة والسريعة من الإشتراك فى العمليات كذلك ، لأنها كانت تصطدم بعضها بالأخرى ، ونتيجة لذلك أصيبت البحرية الإيرانية بأضرار بالغة فإضطرت لإيقاف القتال فى اليوم التالى (٤٨٠ ق . م) وبعد تلك المعركة وقد أصبح ميسوراً للقوات البحرية اليونانية أن تتقدم ، ولصعوبة نقل وحمل المؤن لمثل ذلك الجيش الكبير ، فقد قرر خشيارشا الرجوع بقوات كبيرة إلى إيران ، وترك مردونيه على رأس مائتى الف من أفضل الجنود فى اليونان لإنهاء الحرب بها .

ويذكر المورخون اليونانيون أن خشيارشا قد اصابه خجل وضيق ، لما تكبده جيشه من خسائر جسيمه اثناء عودته إلى إيران ، ولكن المؤرخون الذين دققوا فى الأحداث وامعنوا النظر فيها لا يقرون بهذا القول ، لأن الإستيلاء على اثينا وحرق معبدها قد حقق لخشيارشا ما كان يهدف اليه من إنزال العقاب باليونانيين ، يضاف إلى ذلك أن جسر الدردنيل كان سالماً لم يصب بأذى مما مكن الجيش الإيرانى من العودة إلى آسيا الصغرى سالماً دون ضرر . حرك مردونيه الجيش الايرانى عبر الصحارى الواقعة فى تسالى [Thessalie فى وسط اليونان حالياً] حيث امضى فصل الشتاء هناك ، واعاد تنظيم الجيش واستكمال تشكيلاته ، وعمد هذا القائد إلى وضع حد لهذا الوضع إما بالحرب أو السلام ودخل فى مفاوضات مع اليونانيين لعب فيها الحاكم المقدونى الإسكندر — التابع لايران — دور الوسيط بينهما ، وطلب منهم اعلان الخضوع والطاعة للملك الإيرانى ، على أن يترك لهم الملك فى مقابل ذلك حرية التصرف فى أمورهم الداخلية ، وأن يعيد تعمير أثينا ومعابدها ، فأوكل الاسبارتيون للأثينيين النظر

فى هذه المقترحات إما بقبولها أو رفضها ، فأعلن الأثينيون رفضهم لها ، لتبدأ الحرب من جديد ويحتل الجيش الإيرانى أثينا من جديد ، ويخربها ، وتنشب الحرب من جديد بين الفريقين فى پلاته القريبة من تب Thebe احدى الدول اليونانية وكان الجيش اليونانى فى تلك المعركة مائة وعشرة ألفا من الجنود يقودهم پورانيوس حاكم اسبارطة ، وتفوق الإيرانيون لبسالتهم فى بداية القتال ، إلا أن الدائرة دارت عليهم ، لأسباب أهمها أن الجيش الايرانى لم يكن مزوداً بأسلحة الدفاع من خوذات ودروع ، وكانت جناتهم من الخيزران ، يضاف الى ذلك أن مردونيه القائد قد اصابه سهم فسقط من على حصانه ، وبقى الجيش الايرانى دون قائد ، لذا أصبحت الغلبة من نصيب الجيش اليونانى ، وانسحب أربعون الف جندى من الجيش الايرانى وقتل أو تفرق من بقى منه ٤٧٩ ق ٠ م ٠

وفى تلك الأثناء كانت قرطاجنة تحارب يونانيى جزيرة سيسيل وذاقت الهزيمة من حاكمها - أى جبارسيسيل - وبعد حرب پالامين ، هاجم اليونانيون السفن الإيرانية الموجودة فى رأس ميكال بجزيرة سامس ، وقضوا عليها فى سنة ٤٧٩ ق٠م ، واستولى اليونانيون على قلعة سس تس الواقعة على الساحل الاوربى لبوغاز الدردنيل فى سنة ٤٧٨ ق ٠ م ، ومنذ ذلك التاريخ ظل التفوق البحرى لليونانيين .

أسباب هزيمة ايران فى تلك الحرب

يجب أن نشير أولا إلى نقطة مهمة وهى أن الحروب الإيرانية اليونانية لم يكن لها ما يبررها أساساً ، ذلك أن ايران وما تمتلكه من عمران وما انضم اليها من أغنى ممالك ذلك العصر مثل آسيا الصغرى وبابل وفينيقيه ومصر ، فضلا عما كان يجرى فى اليونان من أحداث داخلية ، كل هذا كان سيجبرها عاجلا أم آجلا الى الدخول فى فلك ايران والانصياع لها ، كما حدث بعد ذلك رغم ما أحرزته اليونان من تفوق وانتصار . أما ما يمكن توجيهه من نقد للجيش الايرانى كما ذكر المؤرخون فينحصر فيما يلى :

أولا : كانت العدة العظيمة لهذا الجيش من أكبر اسباب ضعفه ، لأن مثل هذا الجيش الكثيف العدد . كان كافيا للمحافظة على تفوق ايران البحرى فقط ، ورغم ذلك فلم ينتصر الجيش الايرانى فى حرب سالامين ، وعلى الرغم من التفوق البرى للجيش الايرانى فقد تعجل خشيارشا فى التوجه الى مضيق الدردنيل فقد أصبح امداد الجيش بالمئونة أمراً فى منتهى الخطورة .

ثانياً : على الرغم من أهمية التفوق البحرى للايرانيين وأهميته فى احراز النصر فى تلك الحرب الا أن إختيار سالامين لتلك الحرب البحرية كان خطأ كبيراً ، ومن المؤكد أن تلك الحرب لو حدثت فى بحر مفتوح ، لاضمحلت البحرية اليونانية ، وبعد ذلك لا تسفر مقاومة اليونانيين عن نتيجة تذكر ، لأن انتصار الايرانيين فى ترموبيل والاستيلاء على أثينا قد فتح الطريق أمام جيش ايران للإستيلاء على اليونان كلها ، يضاف الى هذا أنه على الرغم من استيلاء الاسبارتيين على مضيق كرنتيا الا أن المضيق المذكور لم يكن ضيقا مثل مضيق ترموبيل ، وكان بإمكان الجيش الايرانى لكثرة عدده - تطويق الجيش الاسبارطى من الخلف ، وكان بالامكان كذلك دون عبور المضيق المذكور أن يستولى الايرانيون ببحريتهم على مدن البلوبونيز واحدة بعد أخرى ،

ولم تمكن من إخضاع اسبارته ، يضاف الى ماسبق فقد حدثت بعض الأمور ساهمت في عدم سيطرة الايرانيين وتفوقهم منها :

١ — سوء الأسلحة الدفاعية للإيرانيين وبدائيتها مع مواجهة الأسلحة الثقيلة لليونانيين ، لأن الأسلحة الدفاعية لبقية الجيش الايرانى - فيما عدا فرقة الخالدين - لم تكن دقيقة محكمة .

٢ — كانت الأساورة الخالدون الايرانية مدربة على السهول الايرانية الواسعة . لذا لم يتمكن من مساعدة المشاة عبر المسالك الوعرة والمعابر اليونانية الضيقة - مساعدة فعالة . وقد اثبتت كل الحروب الإيرانية اليونانية أهمية الناحية المعنوية والروح القتالية للمحاربين ، ونوعية اسلحتهم ، كما اثبتت تلك الحروب أن زيادة عدد أفراد الجيش رغم اهميتها فى احراز الإنتصارات . إلا أن التربية الأخلاقية لليونانيين كانت امضى وأكثر تأثيراً وأهمية فى احراز النصر . فقد كان اليونانيون يربون على الشعور بحب الوطن والذود عن استقلاله وشرفه وكرامته ، مما لم يكن له نظير ذلك الزمان .

لم تحدث أية حادثة مهمة فى عصر داريوش بعد إنتهاء الحرب اليونانية ، وأخذ يمضى أوقاته بعد ذلك فى اللهو واللعب . وفى عام ٤٦٥ ق . م اتفق ناظر قصر خشيارشا واسمه مهرداد مع رئيس حرسه الخاص اردوان على قتله فقتلاه ومعه ابنه داريوش (دارا) .

وتولى اردوان - من قبل ويشتاسب بن خشيارشا - السلطة بالنيابة طوال سبعة أشهر حتى تمكن أردشير الأول بن خشيار شاه من قتله وجلس على العرش فى سنة ٤٦٥ ق. م .

خصال خشيارشا : لقد نسى اسم هذا الملك كلية من (القصص الإيرانى) فإذا إستقرأنا خصاله مما كتبه المؤرخون اليونانيون نجد أنه كان ملكا وسيما يتمتع ببعد النظر ، إلا أنه كان ضعيف النفس ينساق وراء الشهوات وبه لوثة

وكانت عودته السريعة بعد حرب سالامين إلى آسيا الصغرى واحدة من أسباب هزيمة الإيرانيين ، ولم يستطع جبر كسره بعد ذلك ، وقد بدأ عصر الملوك الضعاف الهخمانشيين وتدخل النساء ورجال القصور فى أمور الحكم والبلاط منذ عصره [١] .

---

(١) ويعتقد بعض المؤرخين أن قصة استر ومردخا التى جاءت فى التـــوراة ترجع الى ابتداء سلطنة خشيارشا • والقصة المذكورة تقول ان الملك فى العيد أراد ان تخرج الملكة الى المدعوين ليروا جمالها فامتنعت فغضب واختار امراة أخرى هى ابنة اخ مردخا حارس بوابة القصر ، ثم استير صارت ملكة ، وقد سماها استير ويعنى بها الستارة ، وترتب على ذلك ان علا شان مردخا فحقد عليه هامان وكان من المقـربين من الملك ، فامر هامان بقتل كل يهود المملكة فى يوم عينه فتوسل مردخا باستر فامرت بأن لليهود حقا ومانعت فى تنفيذ أمر هامان وقتل اليهود كثيرين من أعدائهم وصلب هامان على المشنقة • ويحكى هيرودوت أن رجلا من ليديا اسمه بى ثيوس قدم هدية لخشيارشا هى الفى تالان فضة و ٣٩٩٣٠٠٠ دريكا ذهبا ، فرد الشاه هذه الهدية وقال اعطوه سبعة الاف دريك حتى يكون لديه أربعة ملايين دريكا ذهبا ثم ان ابنه طلب بعد ذلك لتادية الخدمة العسكرية فالتمس الرجل من الملك أن يعفى ابنه منها فامر خشيارشا بقطع راس هذا الشاب وان يلقى براسه وجسده فى ناحيتين ثم امر جنده بالمرور بين راس وجسد القتيل •

الخامس - اردشير الاول (ارت خشثر)

كما علمنا مما سبق فقد تولى الحكم بعد خشيارشا إبنه اردشير درازدست .

ويسميه اليونانيون [آرتا كزر سس دراز دست [طويل اليد] . وفى بداية حكمه تحالف ويشتاسب بن خشيارشا مع أهالى باختر (بلخ) وادعى احقيته بالملك وأعلن نفسه ملكا ، إلا أنه هزم بعد حربين وانتهى أمره تماما ٤٦٢ ق . م .

وبعد ذلك ثار أحد الأشخاص الليبيين فى مصر ويدعى ايناروس وحاصر الجيش الإيرانى فى ممفيس ، وقبض على هخامنش أخى خشيارشا والى مصر وقتله . وتدخل اليونانيون بجانب ايناروس وقدموا له ما يحتاجه من المشاة والبحرية ، عندئذ أمر أردشير شخصا يسمى بغابيش[1]، لمحاربته ، وانتهت المعركة بانتصار اردشير (٤٥٤ — ٤٦٠ ق . م) وفى بداية المعركة انتظر المصريون واليونانيون ولكن الايرانيين تمكنوا بعد ذلك من تجفيف إحدى شعب النيل، وحطموا السفن اليونانية بأيدى اليونانيين أنفسهم وإنتصر الإيرانيون ورأى الأثينيون أن الأفضل لهم — نتيجة لأوضاعهم الداخلية - أن يرموا صلحا مع الإيرانيين فارسلوا كال لياس إلى البلاط الايرانى مستفيدين من تفوقهم فى قبرص ، وتم الإتفاق على أن يظل اليونانيون، الذين كانوا جزءاً من اتحاد دلس (وكانت اثينا قد شكلت هذا الاتحاد) أحرارا فى إدارة شئونهم الداخلية على أن يسمح للسفن التجارية الايرانية بالدخول للموانىء اليونانية .

وصرف اليونانيون النظر عن أمر قبرص فى ذلك الوقت ، وكانت هذه المعاهدة أمرا مشينا لايران، لأن تقدم الايرانيين وتفوقهم فى مصر قد أوضح أن قوتهم تتزايد عما كان عليه جيش اليونان خارج اليونان .

---

(١) هو نفس الشخص الذى قتل اردوان وأصبح مقربا من اردشير .

ولو كان أردشير شخصا قوى الإرادة لتمكن من إيقاف اليونانيين فى آسيا الصغرى كذلك وإعجازهم ، ويعرف هذا الصلح بصلح كيمون نسبة إلى قائد جيش أثينا فى قبرص ، وقد اعتقد غالبية المحققين أن معاهدة كال لياس لم يوقعها اردشير . وأعلن بغابيش والى الشام تمرده وعصيانه ، وانتهى الأمر بعد حربين بانتصاره ، وتم الصلح بين الوالى والبلاط الايرانى وصفح عنه الشاه . ثم ان اردشير أدركته الوفاة ، وكانت وفاته فى سنة ٤٢٤ ق . م . ولم يفعل هذا الملك شيئا فى أمور المملكة سوى الضعف والهوان ، وكما كتب المؤرخون فان أمور المملكة كانت مركزة فى يد الملكة آميس تريس والدته ، بينما يصفه المؤرخون الشرقيون بالعدالة والعمل على تحقيقها .

وفى عهده وصل تميستكل القائد اليونانى فى حرب سالامين إلى إيران بأمل تحريض إيران على التدخل فى الأمور الداخلية لليونان إلا أنه لم يوفق إلى ذلك ، وولاه أردشير الحكم على عدة مدن من آسيا الصغرى ، وظل تابعاً لإيران حتى نهاية عمره مثله مثل سائر الجبابرة اليونانيين .

السادس — خشيارشا الثانى

تولى خشيارشا الثانى مقاليد الحكم بعد والده ، إلا أنه قتل بعد خمسة وأربعين يوما فقط على يد سغديانس بن اردشير وآلوگونه عشيقته [١] .

السابع — سغديانس

حكم سغديانس ستة أشهر تقريبا ، ثم قتل على يد وهوك الإبن الآخر لأردشير والى باختر ، ويعرف وهوك فى التاريخ باسم داريوش الثانى ، وقد اسماه اليونانيون داريوس أخس و (ن تس) كذلك[٢] .

---

(١) همخوابه والمقصود بها المرأة التى تعيش كزوجة بغير عقد .

(٢) « أخس » تصحيف وهوك و « ن تس » يعنى إبن الزنا ، وهو الولد من غير زوجة شرعية .

الثامن ــ داريوش الثانى

تزوج داريوش من خالته پريزاد الفاتنة الجمال ، وكان لتلك الملكة اليد الطولى فى كل ما حدث بالبلاط من خداع ودسائس ، وبصورة اجمالية يمكن القول بأن النساء ورجال القصر كانت لهم السيطرة الكاملة على كل أمور الدولة فى عهد هذا الملك ، ونتيجة لهذا الوضع ثارت القلاقل والاضطرابات المتلاحقة فى سائر الممالك التابعة لايران ــ كان من بينها ثورة آرسيت أخى الملك وتمرده وقد عاونه اليونانيون المرتزقة فى ذلك ، إلا أن داريوش أغدق على اليونانيين العطاء ، فتفرقوا عن آريست وانتصر عليه .

وفى عهد الملك استمرت حرب پلوپونيز وحمى وطيسها وإشتد أوارها بين اليونانيين ، وفى تلك الاثناء حاولت دولة الاسپارتيين التقرب من البلاط الإيرانى حتى تتمكن بمساعدته من انزال الهزيمة بأثينا . ولم يكن داريوش راضيا عن ذلك فى بداية الأمر ،لانه كان يعتقد أن الأفضل له أن تظل الدول اليونانية على عدائها وأن تحفظ التوازن بينها ، إلا أن البحرية الأثينية تكبدت خسائر جسيمة ومنيت بهزيمة فادحة فى جزيرة سيسيليا ، عندئذ رأى تيسافرن والى ليديا أن من صالح إيران أن تمديد التقارب مع الاسپارتيين فعقد اتحادا معها وظلت اسپارته لاغالبة ولا مغلوبة .

وإستمرت الحرب طويلا وظل الحال على هذا المنوال حتى عين كوروش ابن داريوش واليا على آسيا الصغرى . فقدم مساعدات ضخمه إلى ليزاندر قائد جيش الاسپارتيين كان من نتيجتها سحق القوات البحرية الأثينية على يد البحرية الإسپارتية فى معركة اگس پوتامس

ودخل أمير البحر الاسپارتى أثينا ، فهدم أسوارها ومبانيها بينما النساء الاسپارتيات يعزفن الألحان ، والفتيات الاثينيات يرقصن امتثالا لأمر الفاتح الغازى ، وجعل المدينة خرابا يبابا .

وكان ما احرزته إيران من تقدم وإنتصارات آنذاك يرجع إلى فطنة وخبرة والى آسيا الصغرى وهما تيسافرن وفرنا باذ ، خاصة وأن تيسافرن والى ليديا

كان قد إستفاد كثيرا من النزاع الداخلى بين اليونانيين ، وأضحت له اليد الطولى فى أمورهم الداخلية ، وكان من نتيجة ما إتبعه من سياسة أن أضحى اليونانيون فى آسيا الصغرى أحراراً بموجب نصوص معاهدة كال لياس ، وخضعت بعض الجزر اليونانية من جديد لإيران كذلك . ولكن يجب ألا يغيب عن أعيننا أن الجيش الايرانى قد فسد حاله منذ ذلك التاريخ ، فقد كان البلاط الايرانى يحل ما يواجهه من مشكلات باغداق الأموال ويستخدم الجنود اليونانيين المرتزقة ، ويمكن القول أن ماكان يموج به البلاط الإيرانى من أحداث آنذاك لم يكن سوى انعكاس لما أصاب الأسرة الهخمانشية من هرج ومرج وتدهور ، وارتكبت پريزاد الكثير من الحماقات والأعمال الوحشية القاسية لم إتسمت به قسوة قلب وغلظة طبع قل نظيرها ففقدت الكثير . وتوفى داريوش الثانى ٤٠٤ ق . م .

وفى عهد هذا الملك ثارت مصر وأعلنت التمرد بقيادة شخص يدعى آميرته ، ولم يستطع داريوش اخماد تلك الثورة [٤١٥ ق . م او ٤١٠ ق . م كما يرى بعض الباحثين] .

التاسع — اردشير الثـــانى

(آرت خشتر)

كان اسم هذا الملك ارشك ، إلا أنه سمى بعد توليه العرش باسم أردشير وقد أسماه اليونانيون من من (اى قوى الذاكرة) ، فقد كان يتمتع بذاكرة قوية . وكان كوروش بن داريوش الثانى الذى كان واليا على آسيا الصغرى ومعه پريزاد ورئيس الجيش ، يرغب فى إبعاد اردشير الثانى عن الحكم وكانت خطته أن يتقرب إلى اسپارته ، وكون جيشا من الإيرانيين باشراف مدربين يونانيين ، أخبر تيسافرن داريوش بما يجول فى رأس كوروش من خيالات ، فإستدعاه داريوش إلى بلاطه ، إلا أن المنية عاجلت داريوش قبل وصول كوروش اليه ، وأراد كوروش قتل اردشير أثناء الاحتفال بتنصيبه وولايته العرش فى پاسارگاد ، إلا أن تيسافرن أخبر اردشير بذلك فأصدر حكما بإعدامه

ولكن پريواد ربطت ذؤابتها برقبة كوروش واحتضنته للحيلولة دون تنفيذ الحكم مالم تصب بأذى ، عندئذ لم يصب كوروش بأى أذى وعفا الملك عنه وأمر بنفيه إلى آسيا الصغرى .

شرع كوروش بعد عودته إلى آسيا الصغرى فى تكوين جيش من مائة ألف جندى واستأجر ثلاثة عشر ألفا من الجنود اليونانيين للعمل تحت لوائه وأمر عليهم كل آرخ Clearchus الأخير عازما على توسيع رقعة حكمه من آسيا الصغرى حتى قرب بابل ، ثم نشبت معركة بين جيش أردشير وجيش كوروش فى مكان يعرف بـ كوناكسا Cunnaxa [خان اسكندرية اليوم] وانتهت تلك المعركة ببقاء حكم أردشير وسيادته ، رغم ما احرزه كوروش من انتصار قتل فى نهايته ومعه ثمانية من مرافقيه وأعوانه ، فقد تشتت جيش كوروش بعد مقتله (ويعرف كوروش فى التاريخ باسم كوروش الصغير) ، وانسحب القسم اليونانى من جيشه متجها نحو دجله بعد مباحثات مع تيسافرن إلا ان تيسافرن استدعى كبار رجالات هذا الجيش بعد وصولهم إلى نهر الزاب الصغير ، ودعاهم إلى خيمته وقتلهم جميعا .

وفى هذه الظروف قبل أحد اليونانيين رياسة هذا الجيش اليونانى والتوجه به إلى بلادهم فى اليونان ، فعبر عشرة آلاف من الجنود اليونانيين دجله إلى طرابزون ومنها إلى اليونان .

وكان هذا الشخص يسمى كزنفون Xenophon وكتب كتابا عن هذا الانسحاب اسماه انسحاب العشرة آلاف جندى ، وقد أوضح فيه بجلاء أوضاع إيران آنذاك .

وقد اسفرت تلك الحروب وما اعقبها من إنسحاب عشرة آلاف جندى عن نتائج سيئة ، لانها قد أثبتت للعالم ضعف الاستعدادات الحربية الإيرانية رغم ما كانت عليه إيران من وسعة ونفوذ ، وتكدرت العلاقات بين اسپارطه وإيران نتيجة المساعدات التى قدمتها اسپارطه لكوروش ، وزاد تقرب الأثينيين لإيران ، وجرت العمليات الحربية للدولتين فى مياه لاسدمون تحت قياده باك نن

أمير البحر اليونانى وأحرزت انتصارات كبيرة ، وتوجه فرناباذ بعد ذلك إلى اثينا ، فاستقبله اليونانيون المعادين لاسپارطه استقبال المخلص ، وأعادوا بناء أسوار أثينا بالأموال الإيرانية ، وفى تلك الأثناء ، رجع تيسافرن والى آسيا الصغرى السابق إلى هناك ، هادفا إخضاع المدن اليونانية فى آسيا الصغرى ، فاستاءت اسپارطه لذلك ، وعقدت العزم على منعه فاستعان آجه زيلاس Agesilas ملك اسپارطه بالعشرة آلاف جندى يونانى العائدين لتوهم من إيران وتوجه بهم إلى آسيا الصغرى ، وكان من المتوقع أن يحرز انتصارا كبيرا وبخاصة وأنه يمتلك تحت رياسته جيشا قويا .

ووفق إلى ذلك واحرز نصرا على مقربة من سارد عام ٣٩٤ ق . م ، إلا أن إيران سرعان ما أفسدت خطته ، فقد ارسلت أموالا وفيرة لسائر دول اليونان لإثارتها ضد اسپارطه ، ونجحت فى ذلك فلم يمض وقت طويل حتى حدثت الحروب بينها ، وأجبر آجهزيلاس على مغادرة آسيا الصغرى ، ويقولون إنه قال عند مغادرته لآسيا الصغرى « هأنذا يخرجنى عشرة آلاف من الرماة الايرانيين » .

ويبدو أن الحرب بين تب واسپارطه استمرت ستة أعوام دون أن تحرز أية نتيجة ، إلا أن دولة أثينا بمعاونة ايران انزلت هزيمة فاحشة بالبحرية الاسپارطية ، واستعادت تفوقها البحرى وإنتهت الحرب بتدخل ايران فقد فرض أردشير الثانى الصلح على الطرفين وتم ذلك عام ٣٨٧ ق . م .

وحين خضعت اسپارطه لسيطرة القوات البحرية الإيرانية ، ارسلت سفيرا يدعى آن تالسيد Antalcidas — إلى إيران وصدر الأمر التالى : إن الملك العادل يعلم أن المدن اليونانية فى آسيا وفى جزيرة قبرص كذلك خاضعة له ، ويعلم كذلك أن المدن اليونانية الأخرى كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى ، ولا يتحد اثنان منها ضد ثالثة وإلا فإنه سيسحق المخالفين بالمال والبحرية » .

وتعهدت دولة اسپارطه رسميا — نتيجة لوفاقها مع دولة ايران — على الا يكون بينها وبين أية مدينة يونانية فى آسيا الصغرى أية روابط . وكان هذا

الأمر يعنى التدخل الايرانى التام فى شئون المدن اليونانية ، مؤثرا فى الحالة النفسية لسائر هذه المدن ، ويعتقد بعض المؤرخين أنه من الممكن اعتبار عمل ايران هذا رداً وتعويضا عن فشل خشيارشا وسمى هذا الصلح باسم السفير الاسپارتى الموفد إلى البلاط الإيرانى أى صلح آنتالسيد . وكان فرمان اردشير سببا فى اتحاد الدول اليونانية حتى قويت مقدونيا .

كانت الدول المذكورة ترسل سفراءها دائما إلى بلاط اردشير وتعتبر تدخله حكما بينها وتطلب ذلك ، ولم يترك حكم اردشير الثانى فى المجال الداخلى لإيران سوى الضعف والهوان والاضمحلال : فقد حدثت ثورات واضطرابات فى مصر وآسيا الصغرى وجزيرة قبرص ، ثم القضاء على بعضها بالسياسة حينا وبالقهر حينا آخر ، وانتهى بعضها الآخر بانتصار المتمردين (مثل تمرد ولاة كارية وكاپادوكية وغيرهما) وقنع البلاط الايرانى بدفع تلك الولايات للجزية ، وتركت لهم حرية إدارة أمورهم الداخلية ، فقد اختارت مدينة سالامين فى قبرص مثلا شخصا وعينته حاكما عليها ، واعترف به البلاط الإيرانى .

وظلت مصر مستقلة ، ولم يوفق الجيش الايرانى فى هزيمة الجيش المصرى والاستيلاء على العاصمة .

وكان السبب فى ذلك أن القائد الايرانى فرناباذ لم يستطع — لكبر سنه وتردده — من تنفيذ الخطة التى رسمها له ايفيكراتس القائد اليونانى الذى استأجرته ايران لهذا الغرض [اى الهجوم على منفيس] فاستفاد المصريون من هذا الضعف وشنوا حملة دفاعية ،أجبروا بها القائد اليونانى على العودة مهزوما إلى بلاد اليونان ، وفى تلك الاثناء كذلك أعلن الكادوسيون المقيمون فى گيلان الثورة على إيران فارسل اليهم اردشير جيشا لاخماد ثورتهم إلا أنه لم يوفق فى ذلك وانتهى الأمر بعقد صلح بينهما ، ورغم هذا الضعف فى الأمور الداخلية ، فقد بلغ النفوذ الإيرانى فى بلاد اليونان درجة كبيرة من التقدم .

وكانت الدول اليونانية تتسابق فيما بينها لإرسال السفراء دائما إلى البلاط الايرانى ، طالبين تدخل إيران امتثالا وتنفيذا لأمر اردشير .

وقد حدثت جنايات كثيرة فى البلاط الايرانى فى عهد اردشير الثانى ، فقد سمت بريزاد زوجة اردشير استاتيرا وكانت يونانية ونفيت بريزاد إلى بابل عقابا لها على فعلتها .

وبعد ذلك قتل داريوش بن اردشير — وكان وليا للعهد — بتحريض من أخس ، وهو الذى حرض كذلك على قتل آرسام الابن الآخر لاردشير فقتلوه ، وقد توفى والده حزنا عليه وهو فى السادسة والثمانين من عمره (٣٦١ ق . م) .

العاشر — اردشير الثالث

كان اردشير واحـــدا من الملوك الذين تولوا عرش ايران إبان ضعف المملكة وتدهورها ولم يكن يخشى شيئا فى سبيل الوصول إلى أهدافه ، ولم يكف عن إستخدام أية وسيلة لتحقيق ذلك إلا فعله ، فقد قتل هذا الملك بعد جلوسه على العرش كل أقربائه مخافة من طمع أحدهم فى الملك ، ثم توجه بعد ذلك لإخماد الثورات وقمع الإضطرابات التى عمت ممالك ايران آنذاك لطول حكم اردشير وما اتصف به من الضعف والتهور ، ولأن الدولة الهخامنشية قد أخذت تولى وجهها شطر الإنحطاط والزوال ، توجه أخس على رأس جيش إلى سوريا وحاصر مدينة صور وإستولى عليها ، وأقدم الناس فيها على الانتحار يأسا مما أصابهم وأحرقوا المدينة ، وحين وصل اردشير إلى تلك المدينة المشهورة لم يجد بها سوى الخراب والاطلال والدمار (كتب المؤرخون أن عدد من قتلوا فى هذا الحريق بلغ أربعمائة ألف شخص[1]) واستسلمت بعد ذلك جزيرة قبرص ، وتوجه أخس من سوريا إلى مصر ، واستولى عليها بمساعدة من تور القائد اليونانى فى جزيرة رودس ، وقد تذكر الناس هناك أعمال كمبوجيه نتيجة لما ارتكبه أخس من فظائع (٣٤٤ ق . م) .

---

(١) نولدكه : ابحاث تاريخية عن ايران .

وتوسط من تور عنده للعفو عن آرتاباذ والى آسيا الصغرى على ما كان قد أبداه من تمرد وثورة . وكان ما أحرزه اردشير من انتصارات راجعا إلى قوة إرادته وإلى من كانوا معه من الأشخاص الأكفاء ومن بينهم باگو آس كبير وزرائه ، وأخوان يونانيان هما من تور ومم نن . وقتل أردشير مسموماً (٣٣٨ ق . م) على يد باگو آس .

وكتب المؤرخون إن هذا الوزير كان مصرى الأصل وأن ما ارتكبه أردشير مع أعمال وحشية مع المصريين هى التى دفعته إلى ذلك ، وساد السكون الممالك الغربية من إيران فى عهد اردشير ؛ إلا أن الممالك الشرقيه منها مثل ولايات الهند وآسيا الوسطى ظلت تموج بالثورة والغليان ، ولم يتول عرش إيران رجل أو ملك قوى الارادة مثل أردشير ، ولو بقى لحال دون نمو قوة المقدونيين ، لأن اليونانيين كانوا يؤيدون ايران آنذاك ، وكان دموستين الخطيب اليونانى المشهور يؤكد دائما ويحض على صداقة إيران لليونانيين .

الحادى عشر — آرشك

تولى العرش بعد اردشير ابنه ارشك ، إلا أنه قتل بدوره على يد وزيره فى سنة ٣٣٦ ق . م ، وكتب اليونانيون اسمه أ آرزس Obrses ثم اجلس هذا الوزير المذكور أحد احفاد داريوش الثانى على العرش وسمى داريوش ، وكتب اليونانيون اسمه كدمان Codomanne

ويعرف فى التاريخ باسم داريوش الثالث ويعرف فى القصص الإيرانى دارا بن داراب .

الثانى عشر — داريوش الثالث

تولى داريوش الثالث مقاليد الحكم فى سنة ٣٣٦ ق . م ، وقتل بعد توليه العرش وزيره باكو آس الذى كان يود منه أن يسير وفق ارادته .

وغزا الاسكندر ايران فى عهدهذا الملك ، وانتهت الاسرة الهخامنشية بموته ، ويعتقد الباحثون أن الدولة الهخامنشيه كانت تمضى نحو الزوال بخطى واسعة ، إلا انها تماسكت فى عهد اردشير الثالث لما تمتع به من قوة الارادة ، ولما كان يتسم به وزيره باكوآس من كفاءة ، ولو لم يقتل داريوش الثالث وزيره ومله كان يتصف به من قوة الارادة والعمل ، لكان من الجائز أن يحول دون غزو الاسكندر ويتصدى لفتوحاته ، ولما انقرضت سلطنة الهخامنشيين كلية .



الفصل الثانى

غزو الاسكندر لإيران

وإنقراض الأسرة الهخمانشية

مقدمة :

تقع مقدونيا فى شبه جزيرة البلقان ، وكانت حدودها آنذاك على النحو التالى : يحدها من الشمال ميزيه Mysie ، ومن الجنوب اليونان وبحر الجزاير ، ومن الشرق ترافية ، ومن الغرب إيلليرى ILLYRIE وكان سكان تلك المملكة من جنسين :

١ — قسم من الشعوب الهندو أوربية التى لا يعلم متى نزحوا إليها .

٢ — والقسم الآخر من المهاجرين اليونانيين . وكان القسم الأول من أولئك أقل حضارة من اليونانيين ، وكانوا يسكنون الجبال ، بينما كان اليونانيون يعيشون فى السهول وعلى شاطىء بحر الجواير ، ثم امتزج الإثنان فى القرون التالية ، وإنتشرت الحضارة اليونانية فى هذه المملكة ، وكان أهالى مقدونيا عقلاء جداً وإن إتصفت اخلاقهم وعاداتهم بالخشونة حتى أن من لم يقتل عدوه لا يعد رجلا ولم يكن باستطاعته الجلوس بين اقرانه ، وكانت الأسرة تقوم على نظام تعدد الزوجات .

وخضعت تلك المملكة لإيران بعد غزو داريوش الكبير لمملكة السكا ، إلا أنها انفصلت عنها بعد حرب بلاته .

كان فيليب أول ملك كون مملكة مقدونيا (٣٥٩ — ٣٣٦ ق ٠ م) ، فقد وضع تنظيما للدولة المقدونية ، وأعد جيشا يعتبر قدوة لجيوش ذلك العصر

وحارب الدول اليونانية واخضعها لحكمه ، ثم شرع بعد ذلك فى الإعداد للحرب ضد إيران وأجبر اليونانيين جميعاً على انتخابه قائداً عاماً للجيش العام لليونان فى حربها مع إيران رغم معارضة اليونانيين فى الباطن له ، لكنه قتل فى الوقت الذى عقد فيه العزم على غزو ايران (٣٣٦ ق . م) . وتولى ابنه الإسكندر العرش بعده ، وشرع فى تنفيذ ما كان يدور برأس والده من خيالات فتوجه بعد عامين قاصدا إيران .

وقد أوضح الباحثـــون أسباب هجوم فيليب والإسكندر على النحو التالى :

١ — الإنتقام من إيران للحملات التى شنها خشيارشا على بلاد اليونان .

٢ — كف إيران عن التدخل فى أمور اليونان ، وإلغاء فرمان اردشير الثانى المعروف (باتفاق آن تالسيد) . هذا هو الظاهر ، ولكن كانت هناك دوافع خفية له أهمها شهوة التوسع وبسط السيطرة المقدونية على إيران ، كما كانت الثروة الذهبية الطائلة التى امتلأت بها الخزينة الايرانية وثروات الممالك الغربية من الأسباب المحرضة لهذا الغزو ، وقد تكون جيش الاسكندر من أربعين الفاً من المقاتلين مناصفة بين زبدة المقدونيين واليونانيين ، ونظراً لأن اليونانيين كانوا يكنون العداء للمقدونيين ويتوقون لفتح ايران ، وخوفا من استفادة إيران من هذه الأوضاع أثناء غياب الاسكندر فى حروبه البحرية مع أوربا ، لم تسفر فتوحاته فى آسيا عن نتيجة ، بل واضطرته إلى الإكتفاء بن معه من الجنود والإبقاء على قوة للمحافظة على مقدونيا كذلك .

حرب كرانيك (GRANIQUE)

عبر الإسكندر بوغاز الدردنيل فى ربيع عام ٣٣٤ ق ٠ م ٠ ودخل آسيا الصغرى ، وحدثت المعركة الأولى على شاطىء نهر كرانيك (يسمى حاليا بكاسو) الذى يصب فى بحر مرمرة ، وكان الجيش الايرانى يتكون آنذاك من عشرين ألفا من الأساورة ، ومثلهم من المشاة المرتزقة اليونانيين .يقودهم القائد اليونانى ممنن ، الذى فكر فى خطة هى أن يتحرز الجيش الايرانى عن الدخول فى الحرب ، وينظم عملية انسحاب ، يتم بمقتضاها استدراج الاسكندر لدخول ايران ، على أن يتلف الجيش الايرانى كل مايجده فى طريقة من مؤن ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى على البحرية الهخامنشية القومية تضييق المجال فى أوروبا على المقدونيين ، إلا أن رئيس الجيش الايرانى رفض تلك الخطة لما رأى فيها من مخالفة لتقاليد الحرب الايرانية ، واصطف بجنوده على الشاطىء الأيمن لنهر كرانيك ، على أن تتقدم الأساورة صفوف الجيش وأن يبقى الجنود اليونانيون خلفهم ، ويتضح للوهلة الأولى من هذا الترتيب أن النصر سيكون حليف الايرانيين ، لان رماة السهام والرماح الإيرانيين قد أحدثوا فى صفوف العدو خسائر جسيمة ، الا أن الامور تغيرت حين عبر الاسكندر بجنوده نهر كرانيك ، والقوا بأنفسهم دون خوف أو وجل داخل صفوف الجيش الإيرانى ، الذى لم يستطع ردهم أو التصدى لهم ، خاصة وأن الاسكندر بنفسه قد هاجم قلب الجيش الايرانى وطرح مهرداد صهر داريوش أرضا ، ليتمكن بعد ذلك من تمزيق قلب الجيش الايرانى ، فأصابه الهلع والإضطراب ولم يستطع الثبات فآثر الفرار ، ولم يتعقبه الاسكندر بل هاجم الجيش اليونانى القابع بالمؤخرة ، ورغم ماتعرض له هؤلاء اليونانيون من ضغط وعدم وصول مدد لهم فقد حاربوا ، وعدا الفين أسروا منهم قتل الباقون عن بكرة أبيهم ، عندئذ أعلن الاسكندر أن جميع المدن اليونانية الخاضعة لإيران قد تخلصت من التبعية الإيرانية ، وأصبحت حرة ، ولكن مدينة هاليكارناس Halicarnasse التى كان يحكمها الحاكم الايرانى أرن

تيات Orontobates وممن اليونانى قد قاومت مقاومة شديدة، ولكنها غلبت فى النهاية ، فسبى الاسكندر سكانها الذين قاوموه وباعهم كالرقيق .

وبعد استسلام أمثال تلك المدينة تمكن ممن من اللحاق بحرا بالسفن الإيرانية ، عسى أن يتمكن من الإنتصار على المقدونيين. وكان البلاط الإيرانى يأمل فى نقل الحرب من آسيا إلى أوروبا ، إلا أن هذا القائد المحنك الذى كان وجوده فى ذلك الوقت قيما ، أدركته المنية أثناء العمليات الحربية فى مدينة مى لت ، ففرح الاسكندر لموته ، واشتد ساعده ، فقد كان الاسكندر يعتبره منافسا ماهرا له . بعد ذلك أخذ الاسكندر ينظر أمور المدن اليونانية . ودخل كاپادوكيه ، وانتقل منها إلى كيليكية ثم دخل فريكية ، واتجه إلى سوريا ، وكان على جيشه لينتقل من آسيا الصغرى إلى سورية أن يعبر ثلاثة معابر ضيقة وصعبة ، وهذه المعابر هى معابر كيليكيه وسورية وآمان . وهذه معابر ضيقة العبور فلم تكن تسمح بعبور أربعة أفراد متجاورين ، ورغم قلة المدافعين عن هذه المعابر فقد تمكنت تلك القوة القليلة العدد من تعطيل الإسكندر وانزال الخسائر الكبيرة بقواته ، ولم تستفد إيران من هذه المواقع العسكرية .

وكانت الفنون الحربية والخطط العسكرية على درجة كبيرة من التقدم عند المقدونيين واليونانيين ، بينما بذل داريوش جهوده لجمع وتكوين جيش كبير غير نظامى ، متبعا الأساليب القديمة البالية فى ذلك، وقد انتقد أسلوب داريوش فى هذا المجال خارى دموس القائد اليونانى (الذى يعمل فى البلاط الايرانى) وكان ماهرا يحذق فنون القتال مثل ممن قال : ما فائدة هذا الجيش الكبير غير النظامى ، يلزم جيش نموذجى قليل العدد مدرب ليحول دون تحقيق الغزو المقدونى ويتصدى لحملات الاسكندر . (ويقول اليونانيون إن داريوش استاء من ذلك وقتله) .

حرب ايسوس — (٣٣٣ ق. م)

استعد داريوش للقاء جيش الاسكندر فى آيسوس قرب خليج الاسكندرونه وهنا جال بالخاطر أن الاسكندر يتعرض لخطر محدق، لو كان الجيش الايرانى جيشا منظما، وتولى قيادته قائد محنك قوى، إلا أن حضور داريوش على رأس جيشه حال دون تحقيق ذلك، فقد تمكن الاسكندر من عبور مضيق آمان واتجه إلى سوريا، بينما عبر داريوش جبال آمان. وأقام معكسره فى ايسوس مطوقا ظهر جيش الاسكندر، وقد أحدث انتشار هذا الخبر أثرا عجيبا فى جميع الاطراف والاكناف، وعم الفرح اثينا فقد اطمأنوا إلى قطع طريق العوده بين الاسكندر ومقدونيا وأصبح القضاء على جيشه أمرا محتوما، إلا ان الاسكندر حين رأى أن الوضع قد أصبح على ماهو عليه وسع جبهة جيشه. وهاجم ميسرة الجيش الايرانى ذات الأسلحة الثقيلة دون خوف أو تردد، فانسحب الايرانيون فارين. وحين رأى داريوش ذلك ورأى الهزيمة ماثلة أمام عينيه، آثر الفرار بدوره (وهنا ابلى الايرانيون النجباء بلاء حسنا ولم يمكنوا الاسكندر من الوصول إلى الملك فوجد الفرصة لركوب فرسه ونجا بنفسه، وبعد هذه الموقعة زلزلت اقدام من بقى من الجيش الإيرانى الذين حاربوا بجسارة قبل ذلك، ففروا، ويذكر المؤرخون أن عدد جيش داريوش فى هذه الحرب بلغ ستمائة ألف جندى وكان من بينهم ثلاثون ألفا من الجنود المرتزقة اليونانيين، الذى قاتلوا ببسالة — بعد اضطراب الجيش الايرانى — وانسحبوا باحكام إلى الجبل، حيث إتخذوا لأنفسهم مواقع حصينة به، ولم يجرؤ المقدونيون على تعقبهم أو مهاجمتهم.

ويمكن الوقوف على أسباب هزيمة الجيش الإيرانى فى تلك المعركة، فقد وضح أن ميدان القتال كان ضيقا ومحصورا بين البحر والجبل. مما لم يمكن الغالبية من أفراد الجيش الإيرانى من الاشتراك فى القتـــال، كما لم تستطع

الأساورة من الاشتراك فى العمليات الحربية كذلك، واستولى بار من ين Parmenion أحد قادة الاسكندر على خيام داريوش التى كانت تضم والدته وزوجته وابنته واخته وغنم منها غنائم شتى، وأعلن داريوش شروط الصلح مع الاسكندر بعد هذه الهزيمة ونصت شروط الصلح على ما يلى :

١ — تدفع إيران لمقدونيا عشرة آلاف تالان (أى اثنا عشر مليون بالعملة الحالية) .

٢ — تتخلى إيران عن جميع الممالك من دجلة حتى بحر المغرب وبحر الجزاير لمقدونيا .

٣ — يزوج داريوش ابنته للإسكندر، على أن يرد الاسكندر جميع أفراد عائلة داريوش اليه . ولكن الاسكندر لم يقبل هذه الشروط وقال إن الأسرى والغنائم وغيرها والتى نجمت عن الفتح تكون من حقه وتتعلق به ، أما فيما يتعلق بالصلح فيجب على داريوش أن يذهب اليه بنفسه ويعرض عليه طلباته ، وبعد ذلك توجه الاسكندر إلى الجنوب للإستيلاء على سوريا[١] ، ولكن مدينتى صور وغزه دخلتا فى حرب معه وتمكنتا من ايقاف تقدم الجيش المقدونى سبعة أشهر وأخيرا تحقق للإسكندر الانتصار، حين انسحبت من ميدان القتال مجموعة من السفن الفينيقية بعد أن أحست بضعف القوة الإيرانية، وانضمت اليه ولحقت بها كذلك سفن جزيرة قبرص ، ولكن دخول الاسكندر وجيشه إلى صور لم ينه القتال ، فقد قاوم أهلها مضحين بأرواحهم ، واجبروا المقدونيين على التحصن بالمنازل واعتبارها قلاعا (وإزاء هذا عاملهم الاسكندر بوحشية) .

وكانت مقاومة أهل غزه وحامية قلعتها — وكانوا من العرب — سببا فى

---

(١) يقال أن الاسكندر تشاور فى هذه الشروط مع صديقه بامن ين فقال له هذا : لو كنت مكانك لقبلت هذا الصلح ، فأجابه الاسكندر : وأنا كذلك لو كنت مكانك لقبلته.

(١) علينا أن نقابل الارقام التى يذكرها المؤرخون يونان وشرقيون ، باحتياط تام ذلك انهم يعدون من رجال الحرب حملة الامتعة والعمال والمهنة والاف الرجال الذين يعملون للجيش او يسيرون خلفه .

مقتلهم عن بكرة أبيهم ، وأخروا زحف الاسكندر لشهرين ، وبعد ذلك دخل الاسكندر مصر واستقبله أهلها بأذرع مفتوحة ، وتوجه الاسكندر بعد ذلك إلى معبد آمون واعتبره الكهنة المصريون ابن الإله[1] ، وبعد ذلك بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية على شاطىء بحر المغرب (البحر الابيض المتوسط) وأخذ يأتلف قلوب المصريين ويقربهم اليه ، وحين هم بالتحرك ترك قيادة جيش مصر لقائد مقدونى ، والادارة المالية لاحد اليونانيين وسلم أمر باقى الإدارات للمصريين (٣٣١ ق٠م)

---

(١) كانت أم الاسكندر قد قالت له انه ابن الاله واعتقد الاسكندر بصدق قولها ولذا توجه الى معبد أمون حتى يعترف الناس به على أنه ابن الله وقد اعترف له بذلك ايضا معبدان يونانيان كانا فى اسيا الصغرى ٠

حرب كوكامل GAUGAMELES

تقدم الاسكندر من مصر قاصدا نهر الفرات فى سنة ٣٣١ ق ٠ م ، وعبره ليدخل منطقة ما بين النهرين ، ثم عبر دجلة بعد ذلك وتابع سيره يسارا حتى اصطدم بجيش داريوش فى كوكامل القريبة من نينوى (سابقا) وآربل (آربيل الحاليه) ، وكانت هناك فرصة كبيرة متاحة لداريوش ، أثناء عبور الاسكندر وجيشه من نهر الفرات حتى دخوله كوكامل ، إلا أنه لم يحسن الاستفادة منها ، فأولا كان السهل الواسع الممتد ما بين النهرين مساعدا الأساورة مع فرقهم العديدة لأداء عملياتها الحربية من توجيه حرب خاطفـــة لجيش الاسكندر اثناء تقدمه وايقاف حركته ، بل واخلال توازنه كما فعل البارتيون فى نفس هذا الموقع بعد عـدة قرون حين هاجموا الجيش الرومانى وافقدوه توازنه وانتصروا عليه .

وثانيا كان دجلة صاخبا آنذاك وكان عبوره صعبا ، وكان بامكان الجيش الإيرانى — بمن فيه من الرماة المهرة — أن يوقفوا عبور جيش الاسكندر أو انزال خسائر جسيمة به على أقل تقدير .

وفى كوكامل جرت معركة فى المرتبة الثالثـــة بين جيش ايران وجيش الاسكندر ، وذكر أن عدد جيش ايران بلغ مليونا من الجنود وهذا رقم مبالغ فيه[1] ، وكانوا قد أعدوا فى هذا المكان عددا من الفيلة الحربية .

وكان جيش إيران فى تلك المدة على درجة عالية من التدريب والكفاءة ، وحين بدأت المعركة تمكن الايرانيون من تضييق حلبة القتال — فى كثير من الأماكن — على المقدونيين ، إلا ان قيادة داريوش كانت سببا فى هزيمة الجيش ذلك أن الاسكندر حين شاهد شدة وطأة جيش ايران شدد حملته على الموقع الذى اتخذه داريوش لنفسه وركب عربته الحربية ، وحين رأى داريوش

أن الحروب تدور من حوله آثر الفرار ففر قسم من الجيش معه ، وسرت تلك العدوى إلى بقية أقسام الجيش ، لتنتهى الحرب بهزيمة الايرانيين ، فى حين تقدمت بعض الكتائب من الجيش الايرانى وأحرزت إنتصارا ، ثم اقتفى الاسكندر أثر داريوش هاربا حتى آربل فى مسافة تمتد سبعة عشر فرسخا فى الصحراء ، وبعد ذلك ذهب إلى بابل واستولى — كما فعل كوروش الكبير — على تمثال بل مردوك ، وأمر بتعمير المعابد التى خربها خشيا رشا ، ثم دخل إلى مدينة شوش وإستولى على خمسين ألف تالان ذهبا (ما يعادل سبعين مليون تومان) كانت مودعة بخزانة شوش . وتوجه بعد ذلك إلى برس پوليس [تخت جمشيد الحالية] وپاسارگاد (مشهد مرغاب الحالية كذلك) عن طريق بهبهان وقد طلب الكيسيون (الاوكسيان اليونانيون) الجزية من الاسكندر ، لأنه منذ أواخر العصر الهخامنشى كان المعمول به أن ينعم الملوك عليهم بها .

وبعد أن طرد هؤلاء تقدم الاسكندر إلى ممر فارس الجبلى الوعر (كوه گيلويه الحاليه) حيث ووجه بمقاومة شديدة من قبل آرى برزن ومن معه من الجنود ، لم يتمكن المقدونيون من التصدى لها ، مما اضطر الاسكندر إلى أن يفعل ما فعله الايرانيون فى ترموپيل وبناء على هذا تحرك جزء من الجيش اليونانى عبر طريق ملتو مضلل . وطوق ظهر المدافعين ، وأمعن فيهم القلع والقمع ، وكان هـــذا هو الاسلوب الحربى المنظم والصحيح الذى نفذ فى ذلك الوقت .

وبعد دخوله إلى برس پوليس أجرى الاسكندر بها مقتلة ، وأضرم النار فى قصر الملوك الهخامنشيين ، وسبى من بقى من أهلها وباعهم رقيقا[1] حتى يفهم الايرانيون التى الامبراطورية الهخامنشية قد انتهى أمرها .

---

(١) هكذا ذكر كل من : ديودور الصقلى وكنت كورس وبلوتارك ، اما آرين فسكت عنــه .

وحتى ينتقم كذلك من الايرانيين لقاء حرقهم لأثينا فى عهد خشيارشا . واستولى فضلا عن ذلك على ما كان مودعا بالخزانة من ذخائر قدرت بمائة وعشرين ألف تالان (أى قرابه مائة وأربعة وأربعون مليون تومانا) .

وتوجه الاسكندر إلى همدان بعد الإستيلاء على برس پوليس (٣٣٠ ق.م) حيث ترك على خزائنها — التى كانت تضم مائة وثمانين ألف تالان — حامية مكونة من ستة آلاف من المقدونيين ، ثم تحرك الاسكندر متعقبا لداريوش سالكا طريق الرى ، الذى لم يكن قد كف عن المقاومة رغم مامنى به هزائم متلاحقة ، بل وكان فى سبيله لإعداد جيش جديد .

وحين بلغ الاسكندر قرب دامغان الحالية سمع أن بس سوس والى باختر (بلخ) وبرسنتس والى رخج قد قبضا على داريوش ، فأسرع للحاق بهما إلا ان بس سوس حين علم بقدمه طعن داريوش طعنه قاتلة وفر هاربا فلما وصل الاسكندر كان داريوش قد فارق الحياة ، فأمر بنقل نعشه إلى پاسارگاد مع التشريفات وهناك دفن .

وبعد ذلك تحرك الاسكندر الى مملكة التپوريين (طبرستان) ، وتوجه منها الى وركان (گرگان الحالية) .

وطبقا للروايات الفارسية الورادشتية فإن الاسكندر أمر بعد الإستيلاء على إيران باحضار الاوستا من گنج شاپيگان وامر بترجمة بعض اجزائها التى تتعلق بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية وأحرق الاجزاء الباقية ، ولم يستطع المحققون معرفة أين كان گنج شاپيگان .

الفصل الثالث

حضارة ايران فى العصر الهخمانشى

اتساع الدولة الهخمانشية: ذكر هيرودوت الأقسام الإدارية لإيران وذكر المبالغ التى كانوا يؤدونها للدولة وقال انها ست وعشرون إيالة ، إلا أن كتابات هيرودوت تناولت إيران بعد عهد داريوش الأول أى بعد أن إنفصلت تراقية ومقدونيه عن إيران .

ذلك أن الدولة الهخمانشية بلغت أقصى إتساعها فى عهد داريوش الكبير ، وافضل وثيقة تاريخية لذلك هى الكتابة التى حفرت فى نقش رستم فى مقبرة هذا الملك ، ويبلغ عدد ولايات إيران طبقا لهذا النقش ثلاثين ولاية .

وكانت حدودها آنذاك هى : من الشرق إلى الغرب من الشواطىء الغربية للمحيط الهندى حتى سواحل بحر الادرياتيك وقرطاجنة . ومن الشمال إلى الجنوب من وراء نهر سيحون حتى الحبشه وعلى هذا يمكن القول بأن الدولة الهخمانشية كانت أكبر دولة كونت حتى ذلك التاريخ ، وأنها كانت تضم ستا وأربعين صنفا من الناس من أجناس مختلفة لهم أديان ولغات وعادات واخلاق مختلفة متباينة .

ومعلوم أيضا أن الممالك الغربية منها مثل آسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية وبابل وفينيقية ومصر كانت أكثر المناطق والولايات كثافة فى السكان وغنى فى الثروات ، لما كانت تتمتع به من أراض خصبة ، بل وكانت تعد من

أرقى أماكن العالم آنذاك حضارة وصناعة وتجارة، وكانت ولايات الهند أيضا من المناطق ذات الكثافة السكانية والعمران والثراء .

ومن هنا يتضح أن إيران وقتذاك كانت أشبه بجسر يربط بين هذه المناطق الغنية صاحبة مناجم الذهب، وكانت جسرا تعبره قوافل التجارة بين الشرق والغرب أو من إيران إلى الممالك التابعة لها .

النظم :

كانت كل مملكة تابعة لإيران ينعم أهلها بحرية العقيدة الدينية، ولم يفرض الملوك الهخامنشيون عقيدتهم الدينية على شعوب تلك الممالك، وظلت لكل مملكة عاداتها واخلاقها ولغتها الخاصة بها، بل كان لكل مملكة فضلا عن ذلك حرية المحافظة على مؤسساتها القومية وأمرائها ورجال الدين بها (مثل مصر وقبرص وفينيقية واليونانيون فى آسيا الصغرى وغيرها) ولكن فى مقابل ذلك كان على جميع الاهالى أن يعتبروا أنفسهم عبيداً للملك أى أن عليهم أن يدفعوا له الأموال المقررة وأن يرسلوا إليه الجند وقت الحرب فى أى مكان يحدده البلاط الملكى .

وبناء على هذا كانت طاعة أحكامه وأوامره شعارا يوحد مملكة إيران الواسعة ويربط فيما بينها، وقد أوجد داريوش الكبير نظما لتحقيق تلك الوحدة، وسيرد ذكر ذلك فى موضعه، ولم تكن تصرفات الملوك الهخامنشيين فى الشرق والغرب واحدة بل كانت متباينة، لأن مجرى الأحداث لم يكن واحداً، فقد تعودت الشعوب السامية الأصل فى الغرب على المركزية، فى حين قويت النظم الآرية فى الشرق كما سبق ذكره فى المقدمة، وكانت تنظيماتهم خمس درجات،

وبناء على هذا فإن الملوك الهخامنشيين رغم إقتباسهم أصول المركزية من بابل، إلا أنهم أجبروا على المحافظة على الاسلوب الوراثى فى ممالك الشرق، نتيجة رسوخ تلك التقاليد بين الشعوب الآرية لقرون عديدة، وكان

الهخمانشيون يريدون مراعاة هذا الترتيب فى بداية الأمر ، الا أنه نجم عنه مضار كثيرة[1] ، فعدلوا عن تنفيذه ، وفى هذا العصر كانت الترتيبات والنظم الآرية لاتزال قوية . حتى أن داريوش الكبير فى كتاباته ونقوشه يعترف بضرورة ذلك فيقول : أنا داريوش بن ويشتاسب (العائلة) ــ الهخمانشى (الارومة) ــ الفارسى (القوم) ــ الآرى (الجنس) .

وكان الإختلاف الآخر بين الممالك الشرقية والممالك الغربية هو أن الملوك الهخمانشيين كانوا يعتبرون الممالك الغربية مثل آسيا الصغرى وبابل ومصر وغيرها ممالك مفتوحة وملوكها من نوع واحد .

وفيما يتعلق بالضرائب التى كانت تجبى فسيرد ذكرها فى موضعها وينبغى الاشارة إلى القضاء فى عدة كلمات .

العدالة والجزاءات :

يتضح من المعلومات المبتورة التى توافرت لدينا فى هذا الشأن ، أن الشاه بنفسه يتولى جميع درجات القضاء ، وكان يصدر أحكامه بعد دراسة مستفيضة ، وكان هناك قضاة فى الولايات يتولون بحث الحقوق ويصدرون أحكامهم فيها ، وكان الحكم فى الامور السياسية ومخالفات الامن منوطا بالملك ذاته ، وكان ولاة الولايات يتولون الحكم فى المخالفات السياسية بتفويض من الملك ، ويتضح من أبحاث المحققين ودراساتهم أن العدالة كانت تحتل أهمية خاصة فى إيران القديمة . وأن الملوك كانوا فى غاية القسوة وعدم الرحمة فى معاملتهم القضاة المنحرفين ، ومن ذلك مثلا أن كبوجيه حكم بالإعدام على أحد القضاة

---

(١) ومن ذلك مثلا كوروش الكبير قد اختار فى بداية حكمه شخصا ليديا لتولى الحكم فى ليديا ، ثم عين بدلا منه شخصا ايرانيا ــ بعد طغيان الاول . واراد كمبوجيه ان يولى أمر مصر لفرعونها السابق ، الا انه عدل عن ذلك بعد اشتراك هذا الفرعون فى الثورة ضده .

وكان يسمى سى سام لقبوله الرشوه ، ولم يكتف باعـــدامه ، بل أمر بسلخ جلده وفرشه ممددا على الكرسى الذى كان يجلس عليه للقضاء ، وولى ابنه خلفا له وأجبره على الجلوس على ذلك الكرسى وكان اردشير الاول كذلك يعامل القضاة المنحرفين أو الذين يصدرون أحكاما مخالفة للعدل معاملة قاسية جدا ، وطبقا للقانون السائد آنذاك أو للعادات المتداولة وقتـذاك ـ لم يكن يصدر الاحكام باعدام أى شخص لإرتكابه جناية لأول مرة حتى أن الملك ذاته لم يكن يصدر حكما بالإعدام على الجانى لأول مرة .

وطبقوا عقيدتهم فى أمر عقاب الآخرة على العقوبات فى الدنيا فاذا ارتكب شخص جريمة يجب أن ينظر إلى حسناته ، فإن كانت سيئاته أكثر من حسناته عوقب .

وبناء على هذا فقد حكم داريوش الاول بخلاص قاض من حبل المشنقة ، بعد حكم بالإعدام صدر وقال إن هذا القاضى قدم خدمات جليلة من قبل ، وفعل مثل ذلك حين أرسل والى آسيا الصغرى — سرهيس تيه — شخصا يونانيا متمردا مقتولا إلى داريوش الاول ، فكما كتب هيرودوت فإن الملك قد اغتم لذلك ، ولام الوالى قائلا : لم لم ترسله حيا وأمر بغسل رأسه ودفنه وسط مظاهر التقدير والاحترام ، ذلك أن هذا الشخص كان قدم خدمات جليلة لإيران ولداريوش أثناء سفره لمحاربة السكا فى الداوب .

وكان المتبع أنه إذا ارتكب شخص جرما فى حق الملك والدولة ، فإنه كان يبعث به إلى العاصمة وتقطع اذناه أو أنفه ثم يعلن ذلك على الناس ويظهرونه لهم ، ثم يرسل إلى ولايته التى ارتكب الخيانة فيها ويقتل.

الجيش :

كان هناك فضلا عن العشرة آلاف جنـــدى الذين كانوا يسمون جيش الخالدين والذين كانوا فى حالة استعداد وتسليح دائم ، وفضلا عن قوات حراسة

الحدود الخاصة بالولايات كانت هناك كتائب كثيرة من الجنود غير النظاميين الذين يقدمهم الأهالى فى الأوقات اللازمة سواء من العاصمة أو من الولايات المختلفة، وكانت تلك الكتائب تصل فى بعض الأحيان مئات الألوف من الجنود يجتمعون دون تدريب ودون أن يروا أنموذجا لهم، لغاتهم مختلفة ودياناتهم وعاداتهم متباينة، لا تربطهم رابطة روحية أو معنوية، وهذا ما نراه سببا فى عدم مقدرة جيش ايران على تنفيذ خطة حربية أو تحقيق انسحاب منظم وهذا هو السر فيما رأيناه من انسحاب أقسام من الجيش وهزيمتها إذا ما تعرض قسم منه للهزيمة . يضاف إلى ذلك أن من الأسباب الجوهرية لهزيمة جيش إيران أثناء الحروب اليونانية أن أسلحة الجنود الدفاعية لم تكن محكمة ، حقا أن أسلحة فرقة الخالدين كانت قوية محكمة إلا أن تلك الفرقة كانت تحتل قلب الجيش فقط فإذا هاجمت تلك الفرقة قلب صفوف العدو وتوغلت فيه ، لم يكن بامكان الجناحين التقدم مثلهم لضعف أسلحتهم . مما كان يضطر الجيش إلى الإنسحاب.

وكانت البحرية الإيرانية تضطر إلى الاستعانة إذا لزم الأمر بالبحرية الفينيقية ويونانى آسيا الصغرى وجزيرة قبرص، وثابت كذلك أن الإيرانيين فى الحروب البحرية لم يكونوا سيئين ، وخلاصة القول أن الدولة الهخامنشية كانت تحافظ على أمن ممالك ايران الواسعة الممتدة ، ولم تكن تقبل أن يصيب أهلها ظلم أو إيذاء ، بخاصة فى عهد كوروش الكبير وداريوش الاول .

ولذا تمكن الناس من ممارسة الزراعة والتجارة والكسب فى أمان وراحة بال وكانت الشعوب غير الإيرانية تنعم بمثل تلك الراحة وهذا الأمان أيضاً ، ولم يكن الأثرياء فى ممالك إيران والممالك التابعة لها قليلى العدد .

الدين :

لم يكن الملوك الهخامنشيون متعصبين دينيا . وكانوا يتركون لكل أمة الحرية المطلقة فى اختيار عقيدتها؛ ولم يكتفوا بذلك بل تركوا لهم الحرية التامة فى ممارسة طقوسهم الدينية وتأديتها فى ممالكهم ، وكان الملوك يمارسونها معهم كذلك ويشاركونهم فيها ؛ فقد كتب البابليون مثلا أن كوروش كان يعبد بل مردوك اله البابليين الكبير ، وكان داريوش فى عيد النوروز من كل عام

يمسك تمثال الإله المذكور : ويعتقد المصريون أيضا أن داريوش كان يؤدى طقوس المصريين الدينية فى معبد سائيس الكبير .

وواضح أن ممارسة الملوك الهخمانشيين لتلك الطقوس وأدائهم لها كان إلى حد كبير ذا صبغة سياسية لإجتذاب قلوب الأهالى حولهم، ولكن نجد هنا سؤالا يطرح نفسه : ما هى معتقدات هؤلاء الملوك التى كانت تسمح لهم بغض النظر عن الأديان الأخرى بل وبأداء طقوس هذه الديانات ؟ .

لم تكن كتابات المؤرخين اليونانيين واضحة دقيقة فى هذا المجال، ولم يبسطوا القول فيها ، ولذا فإن كل ما يقال فى هذا الصدد انما هو استنباط مما عثر عليه من الأوستا والنقوش والآثار الهخمانشية .

ويتضح — طبقا لتلك المصادر — أن الملوك الهخمانشيين كانوا يتبعون الديانة الورادشتية ، لأن الإله الكبير فى نقوشهم هو آهورا مزدا وهذا الإسم يختص فقط بالديانة الورادشتية ، إلا انه يلاحظ فى نقوش داريوش الثانى التى اكتشفت فى شوش وهمدان شىء جديد ، فإن هذا الملك يوجه حديثه إلى المعبد قائلا : نقشت عليه صورة الشمس والزهرة . ومن هنا يجب أن نستنتج :

أولا : أن عبادة الشمس كانت سائدة منذ قديم الزمان فى عقيدة الآريين الايرانيين ، وكانوا يسمونها الإله الشمس ويقسمون بها ، وقوى أمرها فى هذا الزمان .

ثانيا : نظرا لأن نقش الإله أو الآلهة وعبادتها كان مخالفا لعقيدة الآريين الايرانيين وزرادشت ، فإن اردشير الثانى نقش صورا الشمس والزهرة .

وبعد ذلك أثرت المعتقدات البابلية والعيلامية فى عقيدة الملوك الهخمانشيين ودنستها بالخرافات . أما بالنسبة للزهرة (الأناهيد[1]) فهناك آراء مختلفة

---

(١) الاناهيد هى ربة الماء فى العصر الساسانى .

فيرى بعض الباحثين أن عبادتها فى إيران القديمة ناتج عن التأثير البابلى ، ويعتقد آخرون أن الايرانيين كانوا يعبدونها من قديم .

ويجب أن نلاحظ كذلك أن ثمة اختلافات بين زرادشتية الملوك الهخمانشين والزرادشتية التى راجت فى القرون التالية لذلك . فمن تلك الإختلافات مثلا : أن دفن الميت طبقا للديانة الزرادشية ليس جائزاً لان ذلك يؤدى إلى تدنيس الأرض وهى مقدسة ، ويعتبرون تدنيسها إثماً كبيراً ، ولكن الملوك الهخمانشين كانت لهم قبورهم ومن هنا يمكن أن نستنتج أن عقيدة الهخمانشين كانت متباينة عن الديانة الزرادشتية .

وفيما يتعلق بعقيدة الأهالى فى إيران آنذاك فليس بين أيدينا ما يوضح ذلك أو الحديث عنه والاحتمال الاقوى أنهم كانوا يعبدون بعد أهورمزده أربعة عناصر :

١ — النور (الشمس والقمر) .

٢ — الماء .

٣ — التراب .

٤ — الرياح ولم يكن للمغان تأثير فى أمور الدولة آنذاك ، ولكنهم كانوا يدعون فقط لإجراء مراسم القرابين .

وبعد كل ماقيل يبقى سؤال بلا اجابة : ماهى أسباب التسامح والتساهل الذى ابداه الملوك الهخمانشيون تجاه المذاهب الدينية الأخرى ؟(١) .

---

(١) هذا دليل على أن الهخامنشيين لم يفرضوا دينهم على احد ، وكانت السكة مثلا زمان اردشير الثانى تحمل اسم ابلن الاله اليونانى فى اسيا الصغرى كما حملت فى فينيقية اسم الهها بعل .

أولا : على الرغم من أن الديانة الزرادشتية كانت منتشرة فى إيران قبل هذه المرحلة بكثير ، إلا انها لم تقو لتصبح دينا رسميا آنذاك .

ثانياً : إن الآريين يتميزون بالتسامح والتساهل فى الأمور الدينية منذ قديم الزمان حتى الوقت الذى توفرت لدينا المعلومات ، ولم تخضع الدولة الهخامنشية لنفوذ الجنس السامى بالدرجة التى تفقدها هذه الصفة كلية ، لقد تقاربت الدولة الهخامنشية كثيرا فى الأمور السياسية إلا انها حافظت على خصائصها وسماتها الآرية فيما يتعلق بالناحية الدينية ، وتأثرت الدولة الساسانية بالشعوب السامية فى آسيا الغربية والإمبراطورية الرومانية وبيزنطة تأثرا كبيرا وبصورة أوضح حتى فقدت هذه الصفة ، ويأتى تفصيل تلك النقطة بصورة أكثر وضوحا بعد ذلك لأن معلوماتنا عن الديانة الزرداشتية فى العصر الساسانى أكثر تفصيلاً ، ولذا آثرنا تأجيل الحديث فى هذا الموضوع حتى لا نكتب شيئا غير موثق .

نظام الطبقات :

ليس لدينا معلومات مسهبة عن نظام الطبقات فى تلك المرحلة وما يمكن استنباطه من كتابات المؤرخين اليونانيين والنقوش الحجرية التى عثر عليها ينحصر فى الآتى : الطبقة الأولى وتتكون من النجباء (الأشراف) أو العائلات القديمة لأنه لم يلاحظ أى نفوذ لرجال الدين فى تلك المرحلة ، وكان من بين طبقة الأشراف هذه ، ست عائلات فارسية ، وست عائلات ميدية والشىء الذى تجدر الإشارة اليه أن رؤساء العائلات الفارسية يحق لهم الدخول إلى قصر الملك دون استئذان .

كما كانت مناصب السفراء وقادة الجيش ورؤساء الولايات محصورة فى رؤساء تلك العائلات أو أعضائها ثم انتقلت بعد ذلك إلى عائلات الميديين ، أما طبقة رجال الدين فلا نعلم عنها شيئا .

وكانت هناك طبقتان أخريان فى تلك المرحلة طبقة الزراع وطبقة التجار والحرفيين ولكن ليس لدينا معلومات عن كيفيتها ولا تنظيماتها ، وأغلب الظن أنها كانت مشابهة لما كانت عليه فى العهد الساسانى كما سنذكر فى حينه .

ونظرا لما تمتعت به إيران من موقع جعلها الطريق الوحيدة بين دنيا الغرب والممالك (الشرقيه) مثل الهند وآسيا الوسطى ، فقد فكر داريوش الأول فى إيجاد طريق قريب بين بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) والخليج وبحر عمان فوصل فرع نهر النيل بالبحر الأحمر ، ويمكن من ذلك استنباط ما كانوا يعطونه للتجارة من أهمية فى ذلك الوقت،ولم يكن تمهيد الطرق كذلك لغرض سياسى أو عسكرى فحسب ، يقول هيرودوت « إن الإستفـــادة من منازل البريد الممتدة عبر الطريق كانت قاصرة على بريد الدولة فقط » ، والمقصود خيول الدولة فى منازل البريد ، وواضح أن قوافل التجارة كانت تستفيد من تلك الطرق كذلك، ووجود المدن الكبرى مثل بابل وصور وسارد وغيرها تحت سيطرة ممالك إيران ونفوذها يؤكد وجهة النظر هذه ، فقد كانت تلك المدن مراكز التجارة والصناعة فى ذلك الوقت .

الصناعات :

خلف الملوك الهخامنشيون وبخاصة داريوش الأول وخشيارشا مبانى فى المكان المعروف الآن بتخت جمشيد،وفى أماكن أخرى،وأمروا بكتابة نقوش كذلك ، ورغم تهدم تلك المبانى وما أصابها من خراب فلا تزال آثار منها باقية حتى اليوم فى تخت جمشيد وشوش وپاسارگاده ، وفيما يتعلق بالفن المعمارى والنحت والتصوير والنقش فى العصر الهخامنشى فقد دقق علماء الفنون فيها للكشف عن:هل الفن المعمارى والنحت فن ايرانى أصيل ام أن الايرانيين قلدوا فيه غيرهم ؟ وإن كانوا قد قلدوا غيرهم فمن أية مملكة اقتبسوا ؟ واتضح من هذه التحقيقات أن الفن المعمارى والنحت الإيرانى فى العصر الهخامنشى فن تركيبى اقتبس كل جزء منه من احدى الممالك،وأن دور الايرانيين فيه لم يكن سوى إيجاد الوسيلة للربط والدمج بين هذه الإقتباسات المختلفة وكانت الممالك التى إقتبس الايرانيون

منها هذا الفن هى : بابل ومصر وآشور ، والمدن اليونانية فى آسيا الصغرى : فقد إقتبسوا من الآشوريين بناء العمارات ذات الوجهات العالية على ربوات صناعية مرتفعة والربط بينها بالدرج من الجانبين وكذلك نقش الصور الملكية فى الطاقات وعلى الدرج ، كما قلدوا الآشوريين فى استخدام الآجر المسوى بدلا من الطوب النيء ولكن أساس العمارات الهخامنشية وأعمدتها ودرجها كانت من الحجارة ، ولذا بقى هذا الجزء منها وخرب ما كان مبنيا بالآجر نهائيا .

واهتم الهخامنشيون كثيرا بالأعمدة فى عمائرهم وأخذوها من الهى بوستيل[1] الموجودة بالمعابد المصرية بعد فتح مصر . كما يشاهد التأثير المصرى فى التزيين والزخرفة التى تزدان بها قمة عرش الملك والدركاهات ، وفى المقابر التى نحتها داريوش وسائر الملوك الهخامنشيين فى الجبل ، كما عثر على تماثيل يدل نحتها على إقتباسها من تماثيل المصريين الموجودة تحت الأرض ، إلا أنهم ادخلوا عليها بعض التعديلات لإختلاف العقيدة بين المملكتين ، من إيجاد بيت النار وتمثل آهورامودا وغير ذلك . ولا يمكن بيان التأثير اليونانى ولكن يظن أن كبار النحاتين اليونانيين قد تدخلوا فى صنع النحت فى العمارات ، فقد ذكر پلين[2] أن الصناع اليونانيين كانوا يعملون فى بلاط الملوك الهخامنشيين ، وقد استدعى اسپم تل فانس اليونانى من مدينة قوسه للعمل فى بلاط داريوش وخشيارشا .

وليس معلوما من اين اقتبست رءوس أعمدة العمارات الهخامنشية ، ويظن أن أصل رأس العمود اقتبس من آشور ، ولكن رأس الثور وجزء من صدره ويده التى نحتت على وجه العمود من الناحيتين إنما هى من اختراع الإيرانيين أنفسهم ، أما ما يتعلق بالقيشانى الذى غطيت به جدران القاعات ، وقد عثر على نماذج منه — وتوجد الآن بمتحف اللوفر بباريس — فيعتقد علماء هذا الفن أنها اقتبست أصلا من البابليين ثم سما الايرانيون به ، بمعنى أن القيشانى الايرانى

---

(١) هى بوستيل : القاعة الكبرى او ما اصطلح الايرانيون على تسميته « چهل ستون معابد مصرى » اى المعابد المصرية ذات الاربعين عمودا .

(٢) عالم رومانى عاش فى القرن الاول الميلادى وله مؤلفات كثيرة فى العلوم الطبيعية وهى ذات اهمية لتاريخ العهد القديم .

ذو نقوش بارزة ، وليست مسطحة كما هو الحال عند البابليين ، ورغم هـــذه الاقتباسات الكثيرة فإن ماأضيف اليها من خصائص يعد من الصناعات الايرانية :

أولا : أوجدوا نوعا من التناسب بين الأساليب المختلفة حين دمجها بعضها ببعض ، رغم أن كل جزء منها مقتبس من دولة أو مملكة مختلفة .

ثانيا : عظمة وضخامة تلك المبانى لم يشاهد مثلها فى أى مكان من قبل .

ثالثا : كثرة ما وجد بها من زخرف وزينة . وتلك نقطة أخرى ، فقد كان الصناع يفعلون ذلك للملوك ولم يكن يخشون شيئا بالنسبه للنفقات .

آثار العصر الهخمانشى

يبدو من الآثار الباقية أن كل واحد من الملوك الهخمانشيين كان يبنى لنفسه ابنية خاصة إلا أنها قد خربت وهدمت لبناتها من الآجر ، ولم يبق منها سوى مابنى بالحجارة من الدرج والاعمدة أو تماثيل الحيوانات المجسمة وذلك تقليدا للآشوريين ، وقد بنى كوروش فى پاسارگاد العاصمة القديمة للأسرة الهخمانشية - وتعرف الآن بمشهد مرغاب - بناء خلد فيه ذكرى انتصاره على الميديين ، ورغم أن هذا البناء قد درس وخرب كلية ماعدا أعمدته إلا أنه يوضح ما كان عليه من عمران وازدهار .

ويبدو مما بقى من آثار أن صورا قد نحتت من الحجر فى هذا المكان ، ولكنها خربت وأن نقشا يظن أنه لكوروش قد درس ، وعلى مقربة من هذا البناء بناء عظيم من الحجر يقع فى ستة مدرجات ويعرف هذا البناء اليوم باسم قبر أم سليمان ويعتقد المحققون أنه قبر كوروش . وقد وجد على مقربة من هذا البناء ، نقش ترجمته : « أنا كوروش الملك الهخمانشى » . وفى پاسارگاد تمثال بارز منحوت فى الحجر ، يصور شخصا واقفا وقد مد يده خلفه وله جناحان ، واجنحته شبيهة بتماثيل الآشوريين ، إلا أن لحيته ايرانية وتاجه مصرى وثيابه عيلامية ، وكان يظن قبل ذلك أن هذا تمثال كوروش ، ولكن يرجح الآن أنهم كانوا يريدون تصوير ملك .

وفيما يتعلق بپاسارگاد يجب القول بأن هذا المكان ، كما دلت على ذلك الحفريات - مكان موغل فى القدم وأنها كانت مدينة كبيرة .

وتوجد فى تخت جمشيد — الذى يسميه اليونانيون پرس پوليس ، والعاصمة الجديدة للملوك الهخمانشيين — خرائب وآثار قصور وابنية كثيرة ، بقيت

الأجزاء الحجرية منها وقد بنى الجزء الأكبر منها داريوش الأول وخشيارشا وهناك قصور فوق ربوة عالية واسعة تسمى تخت جمشيد ، يقود الشخص اليها عدة درج ، اتساع الدرج سبعة أذرع وعددها ست ومائة (١٠٦) درجة ، تنتهى تلك الدرج بعرصة أو بسطة واسعة يقع فوقها قاعة ذات مائة عمود وبها كذلك قصور داريوش وخشيارشا . وكانت قاعة خشيارشا تضم فى البداية أربعة وستين عمودا لما يزال قائماً منها حتى الآن ثلاثة عشر عمودا ، وارتفاع الأعمدة عشرون ذراعا تقريبا ، والدرج المذكورة مزينة بحجارة منحوته تصور رجال البلاط وآشخاصاً آخرين .

وفوق تخت داريوش ثمانية وعشرون تمثالا يمثل كل تمثال منها مندوبا لولاياته وممالكه وقد وقف خلفه (داريوش) شخص يظن أنه خشيارشا .

فى نقش رستم : توجد ثلاثة مقابر من مقابر الملوك الهخمانشيين خلف تخت جمشيد وعلى بعد فرسخ منه موضع يعرف بنقش رستم ، وقد حفرت تلك المقابر فى الجبال وفى نقش رستم اقيم سرداب داخل المقبرة ، وهو عبارة عن مدخل وحجرة ويضم هذا السرداب تسع مقابر ولأن هذه المقابر عدا مقبرة داريوش بها نقوش ، فلا يمكن تحديد بمن تتعلق من الملوك الهخمانشيين .

فى شوش :

يتضح من حفريات شوش أن الهخمانشيين قد شيدوا أبنية وعمارات كثيرة بها ، إلا أن تلك الابنية الآن ليست سوى تل ترابى ، وقد عثر نتيجة الحفريات التى أجريت فى شوش على رأس عمود يرجع إلى عصر داريوش الاول وقد وجد ديولافوا نقشا[1] قد صنع من آجر ذى بريق (قيشانى) ، فإذا ضم مابه من قيشانى فإنها تظهر صورة لثلاثة من الجنود الإيرانيين النظاميين بحلتهم

---

(١) فريز او نقش ، يرجع الى فن العهد القديم ، نقش على شكل مستطيل ولذا عرف بالافريز .

العسكرية المستخدمة آنذاك ، والأسلحة التى يمسكها اثنان منهم هى القوس والكنانة والحربة وأنهما يرفعانها عن الأرض عاليا كما لو كانا يؤديان التحية العسكرية .

ويغطى هذا الآجر الملون جدار قاعة العرش (أپا دن) فى قصر شوش وتزينه ، وهذه الصورة موجودة الآن بمتحف اللوفر بباريس وتعرف برماة السهام الإيرانيين أو الخالدين (جاويدانها) .

سروستان وفيروز آباد :

يقع هذان المكانان فى الطريق الممتـــدة من شيراز إلى داراب كرد وبندر عباس ،وقد بقى فى تلك الأماكن بعض حجرات وقباب لأبنية سابقة ، ويعتقد ديولافوا أن هذين البناءين يرجعان إلى عصر كوروش الكبير ، ويعتقد كذلك أن بناء الحجرات اختراع ايرانى وليس اقتباساً من الرومان .

وتشاهد آثار لمعابد النار فى أماكن مختلفة من ايران تعرف ببيت النار (آتشكاه) ، من أشهرها حجر مكعب الشكل يعرف بتخت طاوس ، ويقع فى پاسارگاد على مقربة من قبر كوروش ، وكان هذا الحجر واحداً من عتبات بيت النار .

وقبل أن نختتم هذا الفصل أرى من اللازم الإشارة إلى أن بعض الناس يخلطون بين تخت جمشيد واستخر ويعتقدون أنهما إسمان لمكان واحد ، فى حين أن استخر مدينة قديمة يعتقد بعض المحققين أن تاريخ بنائها يرجع إلى ماقبل قدوم الآريين لإيران ، أو ترجع إلى حدود الفى سنة ق . م ؛ فى حين أن تخت جمشيد قد تم بناؤها فى القرن السادس ق . م .

اللغة والخط :

كتبت بعض النقوش الملكية الهخمانشية بثلاث لغات ؛ أى بالفارسية القديمة والعيلامية والآشورية ؛ وكتب بعضها الآخر بالفارسية القديمة فقط

والنقش الذى كتب بتلك اللغات الثلاثة فضلا عن الآرامية نقش نادر . وقد كتبت تلك النقوش بالخط المسمارى أى بعلامات شبيهة بالمسمار — عدا اللغة الآرامية . وقد كتبت تلك العلامات بصورة أفقية أو عمودية (رأسية) وحفرت فى الحجر من الشمال إلى اليمين . والخط المسمارى الفارسى اسهل كثيراً من الخطوط المسمارية العيلامية والآشورية لأن لكل حرف صوتى فيه علامة واحدة .

ويتضح من النظرة الأولى لتلك النقوش أن اللغة الفارسية القديمة كانت لغة إيران فى العصر الهخامنشى وهذه اللغة جدة لغتنا (الإيرانيين) الحالية ، لأن اللغة الفارسية اليوم مأخوذة عن اللغة البهلوية التى اشتقت بدورها من اللغة الفارسية القديمة ، إلا أن الدراسات المتعمقة والدقيقة تظهر خلاف ذلك لأن مقارنة الكتابات الهخامنشية بنحو اللغة الفارسية القديمة وصرفها توضح أن هذه اللغة كانت خاصة — طوال العصر الهخامنشى وخاصة قرب نهايته — بالنقوش ، وأن اللغة البهلوية أو لغة قريبة منها هى التى كانت تستخدم كلغة الكلام والمحاورة .

أما فيما يختص بكنه اللغة الفارسية القديمة ، فيجب أن يكون واضحاً أنها مثل اللغة السنسكريتية — أى لغة الكتب الهندية المقدسة — واللغة الاوستائية أى اللغة التى كتبت بها الافستا كتاب زرادشت المقدس ، وأنهما قد انشأ عن اللغة الآرية المشتركة ، أى أن هذه اللغات الثلاثة أشقاء من صلب واحد.
أما عن معلوماتنا عن تلك اللغة المشتركة التى هى أصل اللغة الحالية ، فليس بين أيدينا شىء عنها ، لأن تلك اللغة المشتركة كان يستخدمها الآريون قبل ثلاثة آلاف سنة على الأقل قبـــل الميلاد ، وتاريخ الكتابات التى خلفها الجنس الآرى لا ترجع إلى أكثر من الف وأربعمائة سنة قبل الميلاد (ريگ ويدا) كتاب الهنود المقدس .

النقوش :

أمر الملوك الهخامنشيون بكتابة نقوش فى أماكن مختلفة من إيران . ويبلغ عدد النقوش المكتشفة حتى الآن سواء على الأبنية المختلفة أو على أشياء أخرى أربعين نقشاً أهمها النقوش التى خلفها داريوش الكبير وأشهر نقوش هذا الملك وأكثرها تفصيلا نقش بيستون الكبير الذى حفر بثلاث لغات هى الفارسية القديمة والعيلامية والآشورية. ويذكر داريوش فى هذا النقش نسبه ثم يتحدث عن واقعة برديا الكذاب والإضطرابات التى نشبت فى بداية توليه مقاليد الملك والحملات التى قام بها والحروب التى خاضها لإخماد تلك الثورات (وقد سبقت الإشارة إلى مضمونه). ويتحدث فى نهاية هذا النقش قائلا: إن الإضطرابات نشبت نتيجة ادعاءات كاذبة من بعض الأشخاص ، فقد ادعى فرد فى كل ولاية انتسابه إلى العـــائلة الملكية وخدع الناس بذلك . وأنهى نقشه بهذه النصيحة :

« يامن ستتولى مقاليد الملك . احترس من الكذب بكل ما أوتيت من قوة وإن فكرت ماذا أفعل لكى احافظ على مملكتى أقول لك فتش عن الكاذب واجتثه . . . ولا تصادق الكاذب والظالم وجز رقابهما بالسيوف » .

ويدعو فى نهاية هذا النقش لمن يحافظون على هذه الآثار ويحفظونها ويبلغون الناس بمضمونها .

وأشهر النقوش بعد هذا النقش معروف بنقش رستم الذى يوضح لنا إتساع ايران وحدودها فى ذلك الوقت[1] . ومن النقوش التى خلفها داريوش

---

(١) لما كانت هذه النقوش تبين إتساع إيران فى ذلك الوقت ، فإننا نذكر هنا قسما منها حتى تكون نموذجا لإنشاء ذلك العصر وألقاب الملوك الهخامنشيين: إنه الإله العظيم أهور مزد الذى خلق هذه الأرض وتلك السماء وهؤلاء البشر ، وخلق لهؤلاء البشر السعادة ، وجعل داريوش ملكا ، وهو الملك الوحيد بين الملوك — وهو الوحيد الذى وضع القوانين . أنا داريوش الملك العظيم — ملك الملوك — ملك الممالك — مالك هذه البلاد المترامية الأطراف — ابن ويشتاسب — الهخامنشى — الفارسى ابن الفارسى — الآرى من أصل آرى . يقول الملك داريوش إن هذا بإرادة آهور مزد . بالإضافة إلى فارس فهناك بلاد تحت تصرف وأحكمها وتدفع لى الضرائب وتطيع أوامرى ، وتطبق فيها قوانين .

والجدول التالى ليس موجودا فى النقوش ولكننا نذكره هنا بهدف بيان الأسماء القديمة والجديدة :

الأسماء القديمة	الأسماء الحالية	الأسماء القديمة	الأسماء الحالية
ماد	مملكة ماد	آثورا	آشور
خوروج	خوزستان	أربای	عربستان (بلاد العرب)
پرتو	پارت (خراسان جرجان)	مودرايا (يه)	مصر
هرای و	هرات	أرمين	ارمنستان (اراوليه)
باختریش	باختر ـ بلخ	كتاپاتوك	كاپادوكيه (القسم الشرق من آسيا الصغرى)
سوغود (سوغده)	سغد (بخار اسمرقند)	سپرد	مغرب آسيـا الصغرى أو مدينة سارد
خوارزميش	خوارزم (خيوه)	ی ئون	يونانيو آسيا الصغرى
زرنك	سيستان	سكاتی ی تر دريا	السك فى ذلك الطرف من البحر

الأسماء القديمة	الأسماء الحالية	الأسماء القديمة	الأسماء الحالية
هرخو واتيش	رخج (أفغانستان الجنوبية حتى قندهار)	سكودر	مقدونيا
ثاتاگوش	بنجاب الهند	ني ثوناتك برا	تراقيه الحالية
گندار	كابل وبيشاور	بوتي يا	الصومال وعدن الحالية
هيندوس	السند	كوشيا (كوشا)	بلاد الحبشة
سكاهوم ورك	السك في ما وراء سيحون	مكيا (مچيا)	برقه
سكاتيگر خئودا	السك في ما وراء سيحون	كرخا (كركا)	قرطاجنه
بابيروس	بابل		

واكتشفت خارج ايران نقش اكتشف فى خليج السويس . ويتعلق بالقناة التى امر داريوش بحفرها لربط البحر الأحمر ببحر المغرب (البحر الابيض المتوسط) . والنسخة المصرية لهذا النقش تحتل اهمية خاصة لأنها تبين سلوك داريوش مع الممالك الخاضعة له وكيف كانت تتم معاملتهم .

وفى النسخة المصرية لهذا النقش : يوصف اينتاريوش (أى داريوش) بأنه فرعون مصر وأنه بناء على هذا ابن [بيت] ام الآلهة واخ لـ [رع] الهة الشمس وانه اكثر عظمة ممن سبقه من الفراعنة ، لأنه اخضع جميع الشعوب (الناس) لمصر .

وقد ذكر فى فهرست الممالك التابعة پارس اولا ثم ماد وذكر السكا آخر الممالك . ولن نستطيع ذكر كل النقوش فى هذا المختصر . لذا سنكتفى بهذا القدر [١] .

---

(١) فهرست مختصر للنقوش الاخرى :

اكتشف نقش لداريوش فى تخت جمشيد والوند (على مقربة من عباد اباد ، قريبا من همدان) كما اكتشفت لوحتان اخريان فى همدان اخيرا ، توضحان حدود ايران . واكتشفت كذلك نقوش لخشيارشا فى تخت جمشيد والوند ووان (فى ارتوقابو) وهى نقوش صغيرة مختصرة ، وتلقى ضوءا ساطعا على خشيارشا ، نقش داريوش الثانى (وهى مدح للملك) نقش اردشير الثانى ويتعلق بتجسيم الشمس والزهرة . نقش أردشير الذى يوضح أن ويشتاسب وارسام لم يكونا ملكين ، وما يحتويه هذا النقش من زهريات واختام كثيرة ، يجدر الاشارة الى انه منذ عدة سنوات اكتشف حجر فى واجهة قبر شاه نعمت الله بكرمان يتضمن نقشا باسم داريوش ، ثم فقد الحجر بعد ذلك ، ذكرنا قبل ذلك ما عثر عليه من نقوش مختصرة لكوروش ، وفى عام ١٣٠٦ هـ اكتشف — فى باساركاد — تمثال ناقص لكوروش ، نقش عليه هذه الكلمات « انا كوروش الملك الكبير » (وقد اكتشفه هر تسفلد) .

الباب الثالث

العصر المقدونى واليونانى

الإسكندر والسلوكيون

الفصل الأول

فتوحات الإسكندر بعد موت داريوش الثالث

الإستيلاء على الممالك الشرقية لإيران .

بعد أن فرغ الإسكندر من أمر تپورستان [طبرستان] شرع فى الإستيلاء على الممالك الشرقية لإيران . فتوجه فى بداية الأمر إلى جرجان (گرگان) حيث التقت الجيوش المقدونية فى زادكرت . وتوجه الإسكندر من جرجان إلى پارت (خراسان الحالية) وهراة ومنها إلى زرنگ (سيستان) ورخج[1] ثم دخل بلخ بعد ذلك (٣٢٨ ق . م) وهناك ترامت إليه الأنباء عن هروب بس سوس قاتل داريوش من بلخ ، وأنه قد عبر نهر جيحون ، عندئذ اصدر أمره إلى سپيتا من Spitamen القائد الإيرانى ورئيس فرقة الخيالة العسكرية فى الصغد بالقبض عليه فتمكن من ذلك بعد وقت قصير وصلب فى همدان[2] ، وتوجه الإسكندر إلى مركند (سمرقند) بعد عبوره لنهر جيحون ، واستمر فى هجومه وزحفه حتى بلغ نهر سيحون وواصل زحفه على شاطئه حتى وصل إلى المكان الذى كان كوروش الكبير قد بنى لنفسه مدينة فيه فبنى الإسكندر على شاطىء هذا النهر مدينة عرفت بالإسكندرية القصوى (يعتقد أنها خجند الحالية) سمع الإسكندر فى تلك الأثناء أنباء عن تمرد سپيتا من وتمرده وأنه قد طلب من السكا تقديم العون والمساعدة له ، فهاجمه الإسكندر وأنزل به هزيمة قاسية بعد لأى ، كان من نتيجتها أن قطع السكا رأسه وأرسلوها إلى الإسكندر .

---

(١) رخج أو هر خو واتيش جنوب افغانستان الحالية ، وقد سماها اليونانيون ارخوزيا

(٢) حكم بس سوس عدة اشهر فى باختر باسم اردشير الرابع .

الحرب مع بلاد الهند :

بعد ذلك تزوج الإسكندر فى سنة ٣٢٧ ق.م من ركسانا[١] ابنة إكسيارتس Xiartes أحد امراء الصغد ، وحين تمت الإستعدادات لغزو الهند ، توجه اليها عابرا طريق هندوكش (كان عدد أفراد جيش الإسكندر فى تلك الحملة مائة وعشرين الفا من الجنود) فعبر الاسكندر ممر خيبر والجسر الذى أقاموه على نهر السند حتى دخل مدينة [تاكسيلا] فى البنجاب فاستقبله ملكها وأهلها بترحاب كبير ، وتقدم منها إلى ناحيـــة نهر هى داس بس Hydaspes (جلم الحالية) حيث كان بروس ملك تلك المملكة على رأس جيش من ثلاثين الفا من الجنود والفيلة الكثيرة على استعداد لقتاله ، وكان عبوره من جلم أمرا صعب تغلب عليه الاسكندر بحيله الحربية وعبر النهر ، ولكن المقدونيين حين ووجهوا بفيلة بروس ، إعتقدوا أن الحرب ستكون بلا نتيجة ، واستغرق الاسكندر فى التفكير ، إلا أنه حين ادرك تفوقة العددى على جيش بروس أمر جزءاً من جيشه بمهاجمة ميسرة العدو وتطويقه من الخلف ، ونفذ المقدونيون ذلك . ورغم ذلك فقد حارب هذا الحاكم بضراوة وأحدثت فيلته خسائر جسيمة بالمقدونيين ولكن بروس وقع فى النهاية اسيراً لتنتهى الحرب بإنتصار الإسكندر ٣٢٦ ق.م وكانت تلك الحرب من أصعب الحروب التى خاضها المقدونيون وهاجم الاسكندر بعد ذلك ما قابله من المناطق حتى وصل نهر هيفاز Hyphasis (نهر بيئس الحالى) وعلم جنود الإسكندر حينذاك أنهم إذا توغلوا فى التقدم أبعد من ذلك فإنهم سيواجهون بمن هو أقوى من بروس وأكثر فيلة منه ، عندئذ اخبر الإسكندر بذلك وقالوا إن ما تم من فتوحات كاف ولكل شىء

---

(١) Roxana يسميها الايرانيون روشنك ويعتقدون أنها ابنه داريوش بينما يعتبرها الباحثون ابنة اكسيارتس .

حد ولكل إنسان طاقة ولكل مشقة حد ، ولكن الإسكندر لم يرغب فى العودة . حتى قال له أحد قادته ويدعى كى نس Koinos : لم يبق من اليونانيين الذين قدموا معك سوى عدد قليل ، فان كنت تود الإستمرار فى التوسع فمن الأفضل لك العودة وإعداد جيش جديد . عندئذ رجع الإسكندر عن طريق نهر جلم . وهناك صنعوا سفنا تنفيذا لأمره — تتسع لثمانية آلاف فرد . وأمر الاسكندر نه آرخ Nearchus أحد قادته بالتجول بهذه السفن من بحر عمان حتى خليج فارس[1] وأن يجرى دراسات على المناطق المجاورة للبحر . وتوجه بنفسه على رأس قواته قاصدا مصب هذا البحر (٣٢٦ ق ٠م) . وحين وصل إلى پاتالا[2] PATALA . أمر أحد قادته ويدعى كراتروس Craterus بايقاف القتال والعودة بجنوده وافياله والتحرك إلى إيران عبر رخج وسيستان وتوجه هو نفسه إلى ايران سالكا طريق بلوچستان (٣٢٥ ق ٠م) .

عودة الإسكندر إلى ايران ثم وفاته :

توجه الاسكندر ، أثناء عودته إلى ايران من پاتالا إلى ساحل المحيط الهندى وكانت مكان تحرك جيشه فى الساحل القريب من المحيط والمعروف الآن بمكران وذهب الإسكندر بعد ذلك إلى مملكة گدرزى (بلوچستان الحالية) حيث هلك عدد كبير من قواته لشدة الحر بتلك المنطقة وجدبها ، فإضطر إلى التوجه إلى پورا (فهرج الحالية فى مقاطعة بلوچستان الإيرانية) وبعد أن مكث بها قليلا توجه إلى پاسارگاد عبر نهر هليل وسيرجان ، وفى پاسارگاد علم أن قبر كوروش قد نبش ، والتقت كتائب جيش الاسكندر كلها فى الأهواز ولحق بها نه آرخ قادما من بحر عمان وخليج فارس ، ودخل الجيش المقدونى كاملا إلى شوش

---

(١) وقد سمى نه ارخ الخليج بالخليج الفارسى منذ ذلك الوقت وذلك فى تقريره الذى رفعه للاسكندر المقدونى سنة ٣٢٦ ق٠م ، والى هذا التقرير ترجع هذه التسمية للخليج ٠ (المراجع) ٠

(٢) مدينة تقع فى المكان الذى يتشعب فيه نهر السند ٠

ولم يخض الإسكندر حربا بعد ذلك سوى مع الكوسيين الذين وردت الإشارة اليهم فى تاريخ عيلام ، ويعتقد بعض الباحثين أن تلك الحرب قد خاضها الاسكندر مع الطوائف التى كانت تقطن مالير الحالية ويسكنها البختياريون . ومما هو جدير بالذكر أن عدة آلاف من الكوسيين قد قتلوا قربانا — بأمر الإسكندر — لراحة روح قائد الإسكندر المحبوب (هفس تيون) الذى ادركته المنية حديثا (وقتذاك) [١] .

وتوجه الاسكندر بعد ذلك إلى بابل حيث استقبل السفراء الموفدين من كل من قرطاجنة والحبشة وإيطاليا وبلاد الغال (فرانسة الحالية) ، وبدأ يفكر فى غزو الجزيرة العربية ، وشرع — تحقيقا للدار بخياله — فى إجراء مايلزم من دراسات عن الجزيرة العربية وأمر الفينيقيين بصناعة السفن ، إلا أن الحمى القاتلة داهمته وأجهزت عليه وهو فى الثانية والثلاثين من عمره فى عام ٣٢٣ ق . م .

---

(١) لم يشر أرين الى هذه الحادثة ، وان كان بعض المؤرخين من امثال بلوتارك وكلت كورس وغيرهما قد اكدوا هذا الحدث .

الفصل الثانى

سلوك الإسكندر وأعماله

بعد أن تم للاسكندر الإستيلاء على عاصمة إيران بدأ فى تغيير سياسته السابقة وبخاصة حين كان فى سيستان ، ويجب أن يكون واضحالنا أن حكومة الحاكم المقدونى لم تكن حكومة مطلقة ، وتوضيح ذلك أن الإسكندر كان يعد الشخص الأول بين امراء المملكة واشرافها وكانوا جميعا يجلسون معاً فى المجالس وأثناء الاحتفالات وكان عدد منهم وهم المقربون يعدون اصدقاء الحاكم ، وكان يتشاور فى أمور الدولة مع مجلس للشورى المكون من الرجال المحنكين ، وكان هؤلاء الرجال احرارا فى إبداء ما يرونه من أمور ، إلا أن الإسكندر لم يستطع السير على هذا المنوال بعد استيلائه على إيران فقد كان أسلوب الحكم اليونانى والمقدونى وطريقته مغايرة لما كان عليه الوضع فى أمم الشرق كما كان الإختلاف البين فى طبائع اليونانيين والمقدونيين مع الإيرانيين سببا فى نفور الايرانيين مما اضطر الإسكندر إلى اتباع أسلوب البلاط الإيرانى ، واضطر اليونانيون والمقدونيون من ذلك التاريخ إلى الوقوف اثناء التشريفات الملكية طبقاً للعادة الايرانية واضطروا إلى الركوع بإحدى ارجلهم إلى الأرض اثناء محادثتهم مع الإسكندر ، ولم يكن اليونانيون والمقدونيون راضين عن هذا المسلك من الإسكندر فثاروا عليه مرتين ، ولكنهم لم يوفقوا فى ثورتهم وقبض على عدد من المرافقين للإسكندر وقتلوا ، وكان ممن قتلوا فيلوناس بن پارمينيون (Parmenion قائد الإسكندر الشهير) والآخر كليت صديق الاسكندر الحميم الذى نجاه فى حرب گرانيك وانقذه . وقبض على پارمينيون نفسه

وقتله الإسكندر . ثم اتخذ الإسكندر مدينة بابل عاصمة له بعد الإستيلاء عليها . واتبع أسلوب داريوش الأول فى التنظيمات الإدارية واعطى لحكام الولايات مزيدا من الصلاحيات، ويسمى اليونانيون هذا النوع من الولاة باسم ساتراب . وكان من بين الولاة واليان ايرانيان أحدهما آتروبات الذى تولى أمر آذربايجان ، ويعتقد بعض الباحثين أن ولاية آذربايجان قد أطلق عليها آتورپاتكان نسبة اليه (١) . والآخر هو والى بابل الذى كان واليا على مصر فى عصر داريوش الثالث، وقد عين فى هذا المنصب جزاء وفاقا له على استسلامه (للاسكندر) وقد اقتفى الإسكندر أسلوب داريوش الاول فى كل أموره مع اختلاف واحد هو تخصيص واحد من الرجلين اللذين يوفدان من قبل الشاه إلى الولايات للأمور المالية والثانى منهما لأمور الجيش . وتدثر الإسكندر بثياب الملوك الهخمانشيين واتبع مراسم البلاط الهخمانشى . وتزوج اثنتين من الايرانيات (استاتيرا إبنة داريوش الثالث وركسانا إبنة اكسيا رتيس) ثم أمر بعد ذلك بأن يتزوج عشرة آلاف من المقـدونيين واليونانيين من الايرانيات وبنات الشعوب الأخرى .

ورأى أنه من المحتم عليه سياسيا أن يعيد تنظيم الجيش من جديد ، فسرح — تنفيذا لهذا الهدف — عشرة آلاف من المقاتلين المقدونيين من الجيش وأحل محلهم مثلهم من الايرانيين والشعوب الأخرى،وقرر ضم ثلاثين الفا من الأطفال الايرانيين إلى تنظيمات الجيش المختلفة وتشكيلاته حتى يتعلموا سائر فنون القتال . وكان الاسكندر يهدف من هذا إلى تحقيق هدفين الأول : ألا يكون الجيش كله قاصرا على المقدونيين واليونانيين لأن المعارضين للاسكندر منهم قد زاد عددهم. ثانياً :أن يزداد التقارب بين الايرانيين واليونانيين لإختلاطهما معاً لفترات طويلة .

أما فيما يتعلق بشخصية الإسكندر فينقسم الباحثون فريقين : يعتقد فريق منهم أنه كان شابا شجاعا فتيا بهى الطلعة محبوبا ذا عقل راجح قوى الذاكرة إلا أنه فقد تلك الصفات كلها بعد الإستيلاء على ايران . وأصبح يتيه فخراً

---

(١) كانت تسمى بهذا الاسم فى العصر الساسانى .

بنفسه وكثير العمل شأنه شأن سائر الحكام . ويرى الفريق الثانى عكس ذلك وأرجعوا ما إرتكبه من سفك للدماء وأعمال ارتجالية إلى نشأته الاولى وأوضاعه واحواله الخاصة . ولكن إذا نظر اليه نظرة منصفة محايدة يمكن القول بأن سلوك كوروش الكبير وداريوش الأول مع الشعوب المغلوبة كان أفضل من سلوك الإسكندر . فلم يرتكب أى منهما قتلا جماعيا فى أية مدينة ولم يسب أى منهما أهلها ويبيعونهم . ولم يبيحوا قتل أى إنسان قربانا لروح إنسان آخر ، كما فعل الاسكندر حين أمر بقتل الآلاف قربانا لراحة روح قائده المحبب اليه .

ودليل ذلك سهل ميسور فقد ذكر جوستن المؤرخ الرومانى فى القرن الثانى الميلادى أن داريوش الاول قد أرسل موظفا إلى قرطاجنة وحرم القرابين الانسانية .

ويقيم بعض الباحثين غزوات الإسكندر وفتوحاته قائلين إنه كان يود التقريب بين شعوب العالم حتى يوجد بينها نوعا من الألفة ، إلا أن بعضهم يرى أن الحضارة اليونانية كانت ستسرى مسراها بين أمم المشرق دون ظهور الإسكندر بل إن ظهور الإسكندر قد عمق حدة الخصومة بين الشرق والغرب فقد نجم عن ذلك ظهور الدولة الاشكانية ثم الدولة الساسانية ، وماحدث من حروب مستمرة بين إيران والسلوكيين والرومان والبيزنطيين لمدة إستغرقت تسعة قرون كل هذا كان معاكسا ومغايرا لما قصد اليه الإسكندر ، وعلى أية حال فقد اطلقوا عليه إسم الكبير [١] .

---

(١) يعتقد بعض الباحثين المعاصرين أن الاسكندر ظل لست سنوات الحاكم المطلق للامبراطورية الايرانية ، وأنه خلال تلك المدة لم يترك سوى أعمال قليلة فلم يحدث أى تغيير فى تنظيم الولايات ، وأبقى الطرق والموانىء وسائر ادارات الدولة على ما كانت عليه منذ عهد كوروش ، حقا ان الاسكندر أمر ببناء سبع عشرة مدينة باسم الاسكندرية ، واحتلت بعض تلك المدن أهمية كبرى ، الا انه خرب مدينة صور مما افقد التجارة بين الشرق والغرب أمنها وأهميتها ، ويقول المؤرخون ان الاسكندر قد صبغ الشرق بالصبغة اليونانية ، والحال أن اليونانيين كانوا موجودين بكثرة — قبل مجيء الاسكندر — فى بابل ومصر . ويستطرد الباحث قوله ناقدا لاعمال الاسكندر ومعددا لها ؟

"H.G. Wells. Esquisse de L'Hist. Univers. paris 1926"

خلفاء الاسكندر

السلوكيون

إبتلى الإسكندر أثناء إقامته فى بابل بحمى شديدة، قضت عليه فى سنة ٣٢٣ ق . م بعد عدة أيام وهو فى الثانية والثلاثين من عمره، ولم يكن هناك ولى العهد آنذاك، لأن روشنك (ركسانه) كانت تتهيأ للانجاب، وقد عين خلفاؤه على هذا النحو : فى أوروبا تولى أخوه فيليب مكانه، وتولى الحكم فى ممالك آسيا (نائباً عن الملك) برديكاس أحد رجال البلاط البارزين، وقسمت الولايات بين قادة الإسكندر وتولى حكم آذربايجان آتروبات البارسى، وظلت الولايات الهندية كما كانت من قبل تحت سلطة الحكام المحليين .

ونظراً لأن كل قادة الإسكندر لم يكونوا يرغبون فى الخضوع للحكومة المركزية فقد نشبت الثورات سريعاً فى سائر الممالك، واستولى كل واحد من الولاة المقدونيين واليونانيين على إحدى الممالك ونصب نفسه حاكما عليها خلفا للإسكندر (لهذا سموا جميعاً بإسم الخلفاء) . واستمر الصراع بين هؤلاء الخلفاء مايقرب من عشرين سنة، وانجبت ركسانه بعد وفاة الإسكندر إبنا أسمته الإسكندر، ولكن الامور لم تتغير عما كانت عليه وكان برديكاس يرغب فى تسوية الأمور وايجاد وحدة بينهم حتى هزم من بطليموس والى مصر وقتل بيد جنوده . وبعد ذلك تحارب الولاة كل مع الآخر وإنتصر فى البداية أن تيگون والى قلقية، واحرز إنتصارا فى شوش، إلا أن سلوكوس Seleucus أحد قادة الإسكندر تمكن من الإنتصار عليه، وإستولى على الجزء الأكبر من آسيا الغربية حيث أسس أسرة السلوكيين التى بدأ حكمها منذ عام ٣١٢ق.م. واتخذ مدينة بابل فى بداية الأمر عاصمة له ثم انتقلت العاصمة بعد ذلك إلى سلوكية التى بناها سلوكوس (اطلالها قريبة من بغداد على نهر دجلة) ثم انتقلت

بعد ذلك إلى انطاكية السورية [1] . وكانت إيران فى بداية حكم تلك الأسرة جزءا من الدولة السلوكية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أعلنت آذربايجان التمرد والعصيان على الحكم السلوكى ، واستقلت باختر (اقليم بلخ) وپارت فى عهد أنتيوخوس الثانى حفيد سلوكوس ، ولم تتوافر لنا معلومات كافية عن مملكة باختر . ولكن يتضح مما عثر عليه من عملات وآثار أخرى أن هذه الدولة كانت يونانية بلخية (أو باخترية) وأن حضارتها كانت يونانية ، وأنها كانت تمتد من السغد حتى مرو وبلخ ، وكان أول ملك اعلن استقلال هذه الدولة عن الدولة السلوكية يسمى ديودوت الثانى (٢٥٦ ق . م) .

وقد إمتدت حدود هذه الدولة فى عصر دمتريوس حتى شرق افغانستان والپنجاب شرقا . وتأسست دولة الپارتيين فى سنة ٢٥٠ ق . م وسيأتى ذكرها فى الباب الرابع ، وحكم السلوكيون القسم الأكبر من ايران ثمانين عاما ،وكان آنتيوخوس الثالث أشهر حكام تلك الأسرة وكانوا يسمونه الكبير ، وأخذت الدولة السلوكية تتجه صوب الإضمحلال والإنهيار بعد هذا الحكم . وأخذت الممالك التابعة فى الإنفصال واحدة بعد الأخرى ، حتى إنحصر الحكم السلوكى فى سوريا وحدها لتصبح بدورها جزءاً من الإمبراطورية الرومانية فى سنة ٦٤٠ ق . م .

---

(١) اسماء الحكام السلوكين الذين حكموا فى ايران :

(١) سلوكوس نيكاتر (من ٣١٢ ــ ٢٨١ ق.م)

(١) سلوكوس بنكاتر (من ٣١٢ ــ ٢٨١ ق.م)

(٣) انتيخوس الثانى ت ا س (٢٦٢ ــ ٢٦٤)

(٤) سلوكوس الثانى كالى نى كس (٢٤٦ ــ ٢٢٦) .

(٥) سلوكوس الثالث ستر (٢٢٦ ــ ٢٢٣)

(٦) انتيوخوس الثالث (٢٢٣ ــ ١٨٧) .

(٧) سلوكوس الرابع ابى فان (١٨٧ ــ ١٧٥)

(٨) انتيوخوس ابى فان (١٧٥ ــ ١٦٤) .

(٩) انتيتوخوس الخامساباترى(١٠) دمتريوسستر حكم الاولعامين والثانى اثنى عشر عاما ، وسياتى ذكر لاسماء أخرى حين الحديث عن تاريخ پارت !

ومعلوماتنا عن إيران وأوضاعها فى عصر الإسكندر والسلوكيين قليلة ، وما يمكن إستنباطه من كتابات المؤرخين مثل آريان وبولى‌بيوس وغيرهما هو أن نظام الحياة والعادات لم تكن متباينة تباينا جذريا بين الإيرانيين والمقدونيين، فكان كلاهما يعشق الحرب والصيد ويستمتع بأطيب المأكولات ويشرب أفضل الشراب ويحب الغنائم وتعدد الزوجات. وكان اليونانيون يمتدحون الديانة الايرانية لسموها عن الديانة اليونانية ولأنها تحض على الصدق وتحرص عليه. وكان الإسكندر ينظر إلى الإيرانيين نظرة إحترام ولذا كانت اسباب الإتصال بين هاتين الأمتين كثيرة ولم يكن اليونانيون يعتبرون ايران دولة أجنبية ، لأن أمهات ولى العهد المقدونيين والسلوكيين كن ايرانيات ولذا يعتبر بعض الباحثين الاسرة السلوكية أسرة إيرانية يونانية .

لم تكن أمور أشراف ايران فى تلك الفترة سيئة بدرجة كبيرة ، لأن عدد الولاة والقادة الإيرانيين كانوا كثيرين ولم يحدث إختلاف فى أحوال الزراع وسكان الخيام فقد كانت الطبقة الأولى ترزح تحت نير الإستعباد والإضطهاد، وأما الثانية فكانت تحيا حياة حرة ، ولا يمكن تشخيص التأثير الحضارى اليونانى فى إيران ، ومابقى من الشواهد الاثرية والكتب توضح أن الاسكندر والسلوكيين قد شيدوا فى ايران سبعين مدينة وبخاصة تلك المدن التى تحمل إسم الاسكندرية فى سيستان وأفغانستان وبلوچستان وعلى شاطىء نهر سيحون وكثير من الاماكن الاخرى ، كما شيدوا مدينة واحدة فى فارس بإسم انطاكية ، كما تشير تلك المصادر إلى أن الإسكندر قد شيد فى ماد قلعة ومدن للحيلولة دون هجوم الاقوام الشمالية ، ويذكرون إسم مدينة صد دروازه (أى المائة بوابه) فى الجنوب الغربى من دامغان . ما ذكرناه عن أماكن تلك المدن إنما هو أقرب الإحتمالات إلى الصواب .

وكان يقطن هذه المدن كثير من المهاجرين اليونانيين ، وقد سرت منها كثير من العادات والسلوك والسمات الاخلاقية اليونانية إلى المناطق والبلدان المجاورة لها ، وبخاصة وأن البارتيين قد خالطوا اليونانيين وإمتزجوا بهم ، وإن كان من المسلم به أن هؤلاء المهاجرين اليونانيين قد انصهروا بعد عدة قرون فى

بوتقة الايرانيين ، وفقدوا هويتهم الأصلية ، ونستطيع فى نهاية حديثنا أن نقول إن التأثير الحضارى اليونانى فى ايران كان تأثيراً سطحيا لم ينفذ إلى الأعماق [١] ويمكن القول أن الاسباب التى عجلت بإنفصال الايرانيين عن دولة السلوكيين هى : أن السلوكيين كانوا أصلب عودا من شعوب آسيا الغربية الآخرين ، فضلا عن تباين التنظيمات السياسية للآريين الايرانيين عن الاسلوب المركزى الذى رغب السلوكيون فى اقامته وإحداثه ، وكانت الامم الشرقية من ايران أكثر محافظة على التنظيمات السياسية الآرية من بابل وآشور — بخاصة وأن البارثيين لم تكن لديهم الشجاعة والإستعداد الكافى لقبول المركزية الشديدة ، مما أدى إلى التصادم بين أرشك ووالى السلوكيين فى پارت ، فهب البارثيون هبة اخرجوا بها عدوهم من ايران ، وحكموا ايران وبعض الاماكن الأخرى لمدة خمسة قرون بالاسلوب السياسى الآرى .

---

(١) كان لليونان تأثير بين فى بابل وسوريا ومصر خاصة · لقد بقيت الاسكندرية قرنين مركزا للعلوم والفنون ، وكذلك المكتبة — مكتبة الاسكندرية — أو المتحف وهى معروفة للكافة · وكتبت كتب عدة باللغة اليونانية منها كتاب تاريخ كلده ومصر ، الذى الفه برس الكلدانى ومان تن المصرى ·

الباب الرابع

عصر البارتيين

الفصل الأول

البرت والملوك الأشكانيون

پارت تعنى خراسان الحالية — إختلف المؤرخون والباحثون لفترة حول أصل البارتيين ، فاعتبرهم البعض من الجنس الآرى ، واعتبرهم آخرون من الجنس الأصفر (الجنس الصينى والمغولى) ، كما عدهم البعض الآخر جنسا خليطا من هذين الجنسين . غير أنه بعد التعمق فى دراسة لغتهم وعاداتهم وأخلاقهم قوى الرأى القائل بأن البارثيين من الآريين الإيرانيين ، ولكنهم تأثروا فى عاداتهم وأخلاقهم وعقائدهم بقبائل السكا بحكم الجوار معهم . ذلك أن أقواما من السكا يطلق عليهم عشيرة داه كانوا يشغلون قديما الأراضى الواقعة بين جرجان وكراسنو ودسك[1] الحالية — ولهذا السبب تسمى هذه المنطقة باسم دهستان — لحدث إختلاط بينهم وبين البارثيين المجاورين لهم ، وبرزت بعد ذلك طائفة اپارنى من عشيرة داه ، وخرجت أسرة الأشكانيين من هذه الطائفة ومن ثم فإن أصل الأشكانيين يرجع إلى السكا ، ولكنهم أصبحوا إيرانيين بحكم الإقامة الطويلة فى إيران . ويتضح مما سبق ذكره أنه لا يمكن إعتبار الأشكانيين أمة أو أسرة أجنبية . وقد إعتبرهم بعض المؤلفين الإيرانيين من الجنس الأصفر ، غير أن هذا الرأى ليس له أى سند من الصحة ، خاصة وأن السك كانوا آريين أيضاً .

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن عدد ملوك هذه الأسرة غير معروف على وجه اليقين . كما أن تاريخ حكم بعضهم مجهول تماما أو محدد على وجه التقريب ذلك لانه لم تدون تواريخ على النقود الخاصة بأوائل ملوك هذه الأسرة . ويجب أن نشير هنا أيضاً إلى أن تاريخ هذه الفترة ليس واضحاً ، إذ أن مؤرخى

---

(١) Krasnowodsk تقع على الشاطىء الجنوبى الشرقى لبحر الخزر

اليونان والروم تحدثوا عن الوقائع والأحداث المرتبطة بدولهم ، وذكروا معلومات موجزة عن بعض الاحداث الاخرى ، وأحيانا لم يذكروا شيئاً على الاطلاق .

فى حين أن هذه الدولة القوية لم تكن تزاحم امبراطورية الروم فى تقسيم آسيا الغربية فحسب ، بل قامت بالتأكيد بأعمال فى الشمال والشرق أيضاً نسيت فيما بعد .

أما عن تسمية الاشكانيين بهذا الاسم ، فيعتقد البعض أن موطن الأسرة الاشكانية كان فى (آساك) وأن إسمهم أخذ من إسم ذلك المكان (تعرف اساك على أنها قوچان الحالية) . والرأى الغالب أن الاشكانيين سموا أنفسهم بالارشكيين حتى يصلوا بنسب هـــذه الاسرة إلى أردشير الثانى الهخامنشى الذى كان يسمى بإسم أرشك ، وتحولت بعد ذلك كلمة ارشكان إلى أشكان .

اشك الاول — ارشك الاول : —

تعاون هذا الشخص مع عشيرته أپارنى ، ورفع لواء العصيان على السلوقيين فى عام ٢٥٦ ق . م . ودخل فى حروب متعددة معهم ، وتغلب عليهم فى النهاية ، وأسس دولة البرت (٢٥٠ ق . م أو ٢٤٩ ق . م كما ذكر البعض). واتجه بعد هذا الانتصار إلى باختر (بقطر ، بلخ) . ودخل فى حرب مع هذه المملكة التى كانت تتمتع بالاستقلال أيضاً ، ولكنه قتل أثناء الحرب .

ولما كان أرشك هو مؤسس سلطنة الاشكانيين ، فقد قدسه الملوك الاشكانيون الآخرون ، كما أنهم منحوه لقب إپى فانس[1] ، وأضافوا إلى إسمه كلمه أرشك[2] (التى صارت أشك بعد ذلك) كتذكار على أنه كان أول الاسرة الاشكانية . وقد ذكر المؤرخون هذه المسألة .

---

(١) ابى فانس تعنى فى اللغة اليونانية مشهور وعظيم .

(٢) اشك يذكر عند اليونان باسم ارزاكس ، وهذا الاسم الاخير هو يونانية ارشك

أشك الثاني — تيرداد الأول :—

جلس على العرش بعد أخيه ، وإستفاد من اشتغال السلوقيين في الغرب ، فضم جرجان إلى بارث ، ثم تحالف بعد ذلك مع ديودور[1] ملك بلخ ، وهزم سلوقوس الثاني وأطلق على نفسه إسم الملك الكبير (شاه بزرگ) . وقد عد البارثيون جلوسه على العرش بداية التاريخ (٢٤٧ ق . م) . ولكى يصل الأشكانيون بنسبهم إلى الهخامنشيين كانوا يقولون أن فرى پاپيت هو والد ارشك ، وأن تيرداد الأول هو إبن أردشير الثاني .

أطلق اليونانيون إسم هكاتم پيلس — أى المدينة ذات المائة بوابة — على عاصمة الأشكانيين . وهناك خلاف بين الباحثين حول تحديد موقعها الحالي . والرأى الغالب أنها كانت تقع في جنوب غرب دامغان . وصارت الرى وهمدان وطيسفون[2] أيضاً عواصم فيما بعد . وتوفى تيرداد في سنة ٢١٤ ق . م .

اشك الثالث - أردوان الأول :-

جلس على العرش بعد أبيه ، وأستفاد من اشتغال أنتيوخوس الثالث (الكبير) أخى سلوقوس الثالث فاستولى على ولاية المرديين[3] والرى وهمدان ولكنه انسحب بعد أن قدم ذلك الملك إلى إيران بجيش كبير ، وسلم عاصمته أيضاً السلوقيين .

توجه بعد ذلك آنتيوخوس إلى جرجان ، ولكنه لم ينتصر على فرسان البارثيين . وتم عقد معاهدة بين الدولتين ، وإعترف رسميا بأردوان ملكا

1) Diodore

(٢) كان مقر السلطنة بالتناوب تبعا للفصول الاربعة في المدن الاربعة التالية : مدينة المائة بوابة ، الرى ، همدان ، طيسفون (على شاطىء دجلة) .

(٣) كان المرديون (مردها) يسكنون في تبورستان .

على إيران والجدير بالذكر أن آنتيوخوس أغار فى هذه المعركة على معبد أناهيتا (الاناهيذ) المشهور ، وإستولى على ذخائر ونفائس كثيرة منه . ويقال أن قيمة هذه الذخائر كانت أربعة آلاف تالان[١] (٢٠٨ ق٠ م) .

أشك الرابع ـ فرى يا پيت : ـ

جلس على العرش عقب أبيه ، وحكم فى إأمن وهدوء ، ذلك لأن سكان بلخ كانوا قد وجهوا إهتمامهم للهند ، ولم يكن لهم شأن مع البارثيين . وتوفى فى سنة ١٨١ ق ٠ م ٠

اشك الخامس ـ فرهاد الاول : ـ

جلس على العرش بعد أبيه . واستولى على تپورستان . وأجبر طائفة المرديين على حماية مضيق بحر الخزر (أو كما يسميه الاوربيون ببوابة الكاسبيان) والطريق الممتد من خراسان إلى ميديا .وقد أقام هذا الملك مدينة خاراكس[٢] فى الرى .

اشك السادس ـ مهرداد الاول : ـ (١٧٠ ـ ١٣٨ ق ٠ م)

جلس على العرش بعد أخيه وساهم فى جعل دولة پارت دولة عظيمة . وكانت دولة السلوقيين قد أنهكها الضعف فى ذلك الحين نتيجة حروبها مع الروم واليهود . فاستولى مهرداد على مرو وأخذها من البلخيين فى بداية الامر ، ثم إنتزع بعد ذلك آذر بايجان من الامراء المحليين الذين كانوا قد استقلوا هناك . وإستولى بعد ذلك على خوز ستان وفارس وبابل . ثم إتجه إلى الهند . فضم إلى مملكته منطقة تمتد حتى نهر جلم . فإتسعت دولة البرت منذ ذلك الوقت .

---

(١) تساوى أربعة ملايين وثمانمائة تومان تقريبا .

(٢) يعتقد البعض أن خاراكس هى مدخل ميناء بحر الخزر ، ويرى اخرون انها ولاية صغيرة ، وهناك رأى اخر يستند على ما ذكره ايزيدور الخاراكسى (وهو احد الجغرافيين القدماء) من أن وطنه خاراكس يقع فى وسط جبال البرز ، فاعتبروا ميناء بحر الخزر مطابقا لمضيق خوار .

حارب هذا الملك دمتريوس السلوقى ولكن لم يحالفه الحظ فى البداية ، ذلك أن اليونانيين كانوا يساعدون دمتريوس ويساندونه ، كما ثارت بلخ على البارثيين ، غير أن مهرداد دخل فى مفاوضات الصلح ثم غافل دمتريوس وهاجمه وأسره وألقى به فى السجن . وقد لقب هـــذا الملك نفسه بلقب امبراطور (شاهنشاه) مقلدا ملوك الهخامنشيين .

اشك السابع ـ فرهاد الثانى : ـ

جلس على العرش بعد أبيه . إستولى أنتيوخوس سى ده أخو دمتريوس على مملكة سورية فى غيابه ، ولم يكتف بذلك بل أراد السيطرة على إيران ، وقد حالفه الحظ فى بداية الأمر : إذ ثار أهل إيران على فرهاد ، وضاقت السبل أمامه ولم يبق له سوى مملكة پارث ، فاراد فرهاد عقد صلح ، ولكن شروط الصلح كانت مجحفة جداً ، إذ كان يجب عليه أن يكتفى بمملكة پارت وأن يدفع الجزيه . ولكى يخلق الملك حربا أهلية فى سورية أخرج دمتريوس من السجن حتى يسترد مملكة الشام الكبرى من أخيه ، غير أن فرهاد قد وفق من ناحية أخرى ، ذلك أن شدة ظلم السلوقيين قد إستمالت الناس إلى جانب فرهاد ، وقدم أنتيوخوس بجيش جرار إلى ايران ، ولكن فرهاد لم يعطه الفرصة ، فهجم عليه . وقتل الملك السلوقى أثناء الحرب ، ولم يجرؤ السلوقيون منذ ذلك الوقت فصاعدا على الإعتداء على إيران مرة أخرى ، وبدأ الضعف يدب فى كيان الأسرة السلوقية . وهنا ظهرت مشكلة أخرى أمام فرهاد وهى أنه كان قد طلب من قبائل السكا مساعدته ، ووعدهم بمبلغ كبير من المال ولما إنتصر بدون مساعدتهم ولم يعطهم شيئاً ، أخذوا يغيرون على الولايات ويقتلون أهلها . وقتل فرهاد فى المعركه التى خاضها معهم (١٢٥ ق . م) .

فى ذلك الوقت تقريباً ، أغارت شعوب آرية تعرف بإسم السك « سكها » على إيران وأقاموا فى أفغانستان الحالية وسيستان . ولذا سميت تلك البلاد فيما بعد بإسم سكستان بعد أن كانت تسمى بإسم زرنگ ، ثم تغير هذا الإسم إلى سيستان (منتصف القرن الثانى قبل الميلاد) .

ولفهم هذه الأحداث لا بد من القول بأن تاريخ إيران كان مرتبطا بتاريخ الصين آنذاك ، إذ أن شخصا يدعى تسين إستولى على السلطة فى الصين بعد إنقراض أسرة أباطرة « شو » ، وسيطرة ملوك الطوائف بعد ذلك ، وأسس دولة قوية ، وأقام سور الصين لمنع هجمات سكان الصحراء الرحل الأجلاف .

ولما لم تتمكن الأقوام المعروفة بالهون ـ وهى من الجنس الأصفر ـ من التقدم إلى الصين والهجوم عليها ، فإنها إتجهت إلى النواحى الغربية ، وأغارت على شعوب صفراء أخرى تعرف بشعوب الـ « يوئه چى » ، وأخرجوهم من ديارهم « ٢٠٠ ق . م » ، فضغطت هذه الشعوب المذكورة بدورها على الشعوب المعروفة بالـ « سكا » أو السك ، وهكذا تدفق السك على بلخ وپرثيا .

اشك الثامن ـ اردوان الثانى : ـ

هو عم فرهاد الذى حارب شعوب اليوئه چى ، فجرح ومات متأثرا بجراحه . وكانت قبائل الهون قد دفعت هذه القبائل ناحية إيران . فإنتقلت دولة باختر نتيجة ضغطها إلى الهند . ثم إنقرضت بعد ستين عاما . فأسس اليوئه چيون دولة فى بلخ تعرف فى التاريخ بإسم كوشان . ويبدو أن مدة حكم اردوان كانت سنتين . وخلفه من بعده إبنه مهرداد .

اشك التاسع ـ مهرداد الثانى ـ الكبير : ـ

يعتبر هذا الملك واحدا من ملوك الاشكانيين العظماء . وقد انتصرت فى عصره إيران على شعوب السك والبدو الذين كانوا يضغطون من الشمال على بلاد إيران . ومنوا بهزائم ساحقة على يد مهرداد ، حتى أنهم لم يعتدوا على إيران لحقبة طويلة من الزمن . دخلت إيران منذ عصر ذلك الملك مرحلة جديدة كذلك . إذ أن دولة الروم المترامية الأطراف كانت قد بسطت نفوذها على عالم الغرب كله . وصارت على مقربة من حدود إيران . وظهرت أوضاع جديدة فى آسيا الغربية . خلاصتها : أن دولة الروم كانت ترى أن السيطرة

على إيران والهند لازمة من أجل سيطرتها التامة على العالم من ناحية . وأن إيران - التى كانت قد بسطت نفوذها وتوسعت ناحية الغرب - كانت مضطرة لمواجهة هذا المنافس القوى المقتدر الذى أعجز العالم من ناحية أخرى . وقد أدت هذه الأحداث التاريخية إلى دخول إيران وبلاد الروم فى حروب ومعارك معا طوال عدة قرون . بغية تقسيم العالم ، وإستمرت المنازعات بين الأشكانيين والروم لمدة ثلاثة قرون . ولم تنقطع هذه السلسلة من المعارك بسبب إنقراض الأشكانيين . ذلك أن الساسانيين - كما سيأتى - دخلوا هم أيضا فى حروب مع الروم واليونان طوال أربعة قرون .

وهنا ينبغى إلقاء نظرة على أرمينية التى كانت ميدانا من ميادين الحرب وكذلك على آسيا الصغرى .

أرمينية : -

سبق أن ذكرنا أنه قامت دولة فى أرمينية تعرف بإسم دولة آرارات . وأن الآشوريين دخلوا فى حروب معها . ولكنهم لم يتغلبوا عليها نهائياً . أما عن الوقت الذى تغيرت فيه دولة أرارات إلى دولة أرمينية . فيقول هيرودوت : إن الأرمن كانوا يقطنون فى بداية الأمر فى « فريگية » وهى إحدى بلاد آسيا الصغرى . ثم هاجروا منها متجهين إلى أرمينية ، وكانت هذه البلاد تابعة لإيران فى عصر الدولة الهخامنشية كما سبق أن ذكرنا ، وقد ضمت فى عهد الإسكندر إلى ممتلكاته وصارت من بعده تابعة لدولة السلوقيين. وصل مهرداد الأول — الذى وسع دولة پارت — إلى أرمينية ، وحرر الأرمن أنفسهم من نير السلوقيين بمساعدته فى عهد أنتيوخوس إبى فانس . وهنا شكلت دولة كان حكمها بيـــد أحد فروع الأسرة الأشكانية ، مثل وال أرشك[1] الذى حكم من سنة ١٥٠ حتى ١٢٨ ق . م ، وحكم من بعده

---

1) Val-Arsaces

ملوك آخرون حملوا لقب ملك (شاه) ، وكانوا تابعين للملوك الأشكانيين .

وفى عهد مهرداد الثانى لم يقبل ملك أرمينية آرتاكسياس[1] خضوع بلاده لإيران ، فتوجه مهرداد إلى أرمينية وفتحها بعد أن كان قد أنزل هزيمة فادحة بشعوب السكا . ولكى يؤمن تبعية أرمينية له أخذ الإبن الأكبر لتيگران ملك أرمينية ليقيم عدة سنوات فى البلاط الإيرانى كرهينة . وقد اتسعت حدود أرمينية فى عهد تيگران بعد ذلك .

ولما كانت هذه البلاد ممتدة من خليج ايسوس — أى من بحر المغرب — حتى بحر الخزر ؛ فقـــد كان الملوك الأشكانيون يعطون مزيدا من الإهتمام لخضوعها وتبعيتها لإيران ، ومن ثم خاضوا الحروب مع الروم من أجلها .

آسيا الصغرى :

كانت هذه البلاد — كما سبق أن ذكرنا — تابعة لإيران فى عهد كوروش الكبير ، كما كانت تابعة لمقدونيا أيام الإسكندر ، ثم صارت تابعة لدولة السلوقيين ، وأحيانا جزءاً من مقدونيا . إلى أن ضعفت الدولتان ، فصارتا جزءا من دولة الروم ، وقامت دول صغيرة متعددة فى آسيا الصغرى مثل پنت ، قليقية ، برغمه[2] ، پافلاگونيه[3] ، كبدوكية (بلاد القباذق) ، وغيرها . إلا أن أى واحدة من هذه الدول لم تلق إهتماما كالدولة الأولى ، ذلك أن ملكها ميثرى دات (مهرداد) السادس - والذى كان يصل بنسبه إلى الأشكانيين والهخامنشيين - قد قوى هذه المملكة ووسعها ، وأصبح أكبر عدو للروم فى آسيا . (لا يتضمن هذا المختصر شرحا لهذه الأحداث) .

أول إتصال بين إيران والروم :

عندما سمع مهرداد الثانى الأشكانى فى سنة ٩٢ ق . م أن لوسيوس

1) Artaxias
2) Pergam
3) Paphlagonie

سولا جاء إلى آسيا الصغرى سفيرا من قبل مجلس الشيوخ الرومى ، ولما كان غير راض عن مسلك أرمينية تجاهه ، فقد أرسل سفيرا يدعى أرباذ إلى سولا حتى يقيم إتحادا دفاعيا وحربيا مع دولة الروم ، إذ أن دولة أرمينيـة إحتلت بعض الأماكن التى كانت قد سلمتها لإيران فيما مضى ، ولم تكتف بهـذا بل تطاولت على حدود إيران أيضا. وقامت مباحثات ودية بين سفير إيران وسولا ، لكنها لم تثمر ، فلم يكن لدى سفير الروم أمر بشأن إقامة إتحاد أو أنه لم يرغب أصلا فى عقد مثل هذه المعاهدة . والجدير بالذكر أن سولا كان يشغل مكانا محترما فى الإجتماعات ، إذ كان يجلس بين ملك كبدوكية وسفير إيران . فتسبب سلوكه هذا فى ضيق مهرداد وغضبه . وعندما عاد سفيره إلى إيران قضى عليه بسبب عدم محافظته على كرامته .

لم يهزم مهرداد الأشكانى السك فحسب بل إنه وصل بحدود إيران حتى جبال الهيمالايا فى شمال الهندوستان ؛ وقد تم الحصول على هذه المعلومات من نقود الأمراء الأشكانيين الذين حكموا فى تلك المناطق .

اشك العاشر — سند روك :

مضت مدة بعد مهرداد حتى جلس سندروك أخو فرهاد الثانى على العرش فى سنة ٧٧ ق . م[١] . وقد ذكر البعض أنه إبن ارسك ديكايوس[٢] ، وأنه كان عجوزا ضعيفا . وكانت دولة أرمينية فى ذلك الوقت قوية قادرة نتيجة إتحادها مع دولة پنت ؛ لذا إستولى تيگران على آذر بايجان وأغار على وادى الفرات ، وتطاول على بقايا ممتلكات السلوقيين ، وأطلق على نفســه إسم ملك الملوك (شاهنشاه) .

---

(١) يرى كوت شميد — العالم الالمانى الذى قام بابحاث حول تاريخ الاشكانيين — أن اردوان جلس على العرش بعد مهرداد الثانى الكبير ، وكان جلوسه فى سنة ٨٦ ق.م. تقريبا ، وقد اعتبره المؤلف المذكور اردوان الثانى .

(٢) Dikaios باللغة اليونانية تعنى العادل .

ويجب أن يؤخذ فى الإعتبار تماما أن تاريخ إيران يتسم بالغموض فى الفترة الواقعة بين سنتى ٨٨ و ٦٦ ق . م ، وما وصل الينا يدل على ضعفها آنذاك . وكانت مدة حكم سندروك سبع سنوات .

اشك الحادى عشر ـ فرهاد الثالث ـ ٦٩ ـ ٦٠ ق . م :

جلس على العرش بعد أبيه ، وأقيمت علاقات مرة أخرى بين دولة إيران ودولة الروم فى عصره ، فعندما دخل پومپى آسيا الصغرى حديثا ، وكانت أرمينية قوية ، أرسل رسولا إلى فرهاد يبلغه بأنه إذا توجه ملك إيران بجنده إلى أرمينية فستصبح مدينتا كردون[1] وآديابن[2] من نصيب إيران ، عندئذ أغار فرهاد على أرمينية بجيش كثيف ومعه إبن تيگران الأكبر والأمراء الأرمن الذين كانوا فى البلاط الإيرانى ، وحاصر آرتا كساتا .

وفر تيگران ناحية الجبال . وظن ملك إيران أن الأمر قد إنتهى وعاد ، ولكن بمجرد أن سمع تيگران بخبر عودته رجع وفرق الجيش المحاصر . وبعد أن هزم پومپى أرمينية وأخضعها له ، لم يوف بوعده .

وقد أدى هذا السلوك المذكور وكذلك عدم رغبة پومپى فى مخاطبة فرهاد بلقب ملك الملوك إلى سوء العلاقات بين ملك إيران وبينه . وأراد القائد الرومى فى بداية الأمر أن يحارب إيران ، ولكنه أدرك بعد قليل من التأمل خطورة الأمر فامتنع عن ذلك .

وسويت هذه المسألة بمحكمة بين إيران وبلاد الروم فيما بعد . وطالما كان پومپى فى آسيا فإنه كان يتودد إلى الدولة الأشكانية ، ولكن الأوضاع دلت بوضوح على أن الدولتين الكبيرتين ـ إيران والروم ـ ستلتقيان كخصمين بسرعة ؛ أولا لأن فرهاد طلب من پومپى أن يصير نهر الفرات حدا بين الدولتين ،

---

١ — ٢ Adiabene, و Codovene

هاتان الولايتان كانتا من ولايات اشور القديمة .

فلم يعطه إجابة شافية . وثانيا لان بومبى أقام روابط وعلاقات مع خوزستان وفارس وآذربايجان .

وقد دس السم لفرهاد ولداه مهرداد وأرد (٦٠ ق . م) .

اشك الثانى عشر ـ مهرداد الثالث : ـ

جلس مهرداد على العرش بعد أبيه ، وحكم أربع سنوات . وثار عليه العظماء والشعب نظرا لقسوته وسفكه للدماء ، وأجلسوا أخاه الاصغر أرد على العرش . ذهب مهرداد إلى گابى نيوس[1] والى الروم فى سورية ، فظن الوالى المذكور أن هذا الحدث يعد سببا مناسبا للتدخل فى شئون إيران فى بداية الأمر ، ولكنه سرعان ما إلتفت إلى شئون مصر وصرف النظر عن مساعدة مهرداد .

اشك الثالث عشر ـ أرد الأول ـ (٥٥ ـ ٣٧ ق . م) ـ

هو أحد ملوك الأسرة الاشكانية المشهورين . بعد أن أصاب اليأس أخاه مهرداد من والى سورية ، لم يهدأ وقام بأعمال ضد أخيه ، ولكنه سرعان ما أسر فى بابل وقتل . وحدثت أول حرب بين إيران والروم فى عهد ارد ، وإنتهت بإنتصار إيران ، ذلك أن كراسوس[2] ـ وهو أحد الرؤساء الثلاثة لبلاد الروم المترامية الأطراف[3] ـ صار حاكما على سورية والبلاد الخاضعة للروم فى آسيا ، ووضع ضمن مخططاته الإستيلاء على إيران والهند . ولهذا أغار فى المرة الأولى بالفيالق الرومية[4] Legion على مابين النهرين ، وأحرز

---

(١) Gabinius (٢) Crassus

(٣) الاثنان الاخران هما : يوليوس سزار وبومبى .

(٤) الفيلق أو Legion هو الوحدة الرئيسية فى الجيش الرومانى ، وقد استعمل المؤلف هنا كلمة « لژيون » فى الفارسية ، وهى مأخوذة عن هذه الكلمة المذكورة . (المترجم)

تقدما ، ثم عاد إلى الشام (٥٤ ق . م) . عندئذ إلتق به آرتاواردس[١] ملك أرمينية فوعده بأن يعطيه ستة عشر ألف فارس وثلاثين ألف جندى من المشاة ،وقال لكراسوس : إذا حاربت فى أرمينية مع إيران فإن فرسان جيش إيران لن يتمكنوا من عمل شيء ، وسينتصر مشاة جيش الروم نهائيا ، فقد إعتادوا على المناطق الجبلية . ولكن كراسوس رجح منطقة مابين النهرين ليهجم منها على إيران ، لأنه كان يعرفها جيداً بسبب سفره السابق .

عندئذ أرسل أرد سفيرا إلى كراسوس ليسلم هذه الرسالة التى يقول فيها : إذا كان شعب الروم يريد محاربتى ؛ فإننى حاربت ولم أخش أسوأ عواقب الحرب . ولكن إذا كنت تتطاول على أرض إيران بهدف المنافع الشخصية كما فهمت ، فإننى مستعد للعفو عن سفاهتك وإعادة أسرى الروم . فقال كراسوس للسفير : سأرد على ملكك فى سلوقية . فأجاب السفير ضاحكا : إذا كان من الممكن أن تنبت شعرة فى كف يدى فإنك سترى سلوقية . عندئذ توجه كراسوس إلى ما بين النهرين بجيش جرار يتكون من الفيالق المدربة التى يصل عددها إلى إثنين وأربعين ألف جندى . ولكن أرد دخل بجنوده المشاة أرمينية بمنتهى السرعة : فإحتل هذه البلاد ، مما جعل ملكها لا يتمكن من إرسال فرسان جيشه لمساعدة كراسوس .

وفى النهاية أرسل سورنا[٢] — وهو أحد القواد العظام الأكفاء - ومعه كل الفرسان البارثيين لحرب كراسوس . غير أن كراسوس الذى كان يود فى البداية السير بمحاذاة ساحل الفرات والحرب أمام سلوقية ، غير خطته بإغراء أحد شيوخ العرب المتحدين مع أرد ، ودخل سهول مابين النهرين ، وتقدم

---

1) Artavardes

2) Surena

حتى إقترب من حران (كاره)[١] ، وهناك ظهر جيش سورنا فجأة .

ولجأ القائد الإيرانى إلى حيلة ؛ إذ أخفى قسما من فرسان إيران لخداع الروم وغطى أسلحة القسم الآخر بأغطية جلدية ، وعندما رأى كراسوس قلة عدد فرسان الجيش الإيرانى وقلة أسلحتهم وعتادهم ، ظن أنه سيحرز نصرا سهلا الغاية ، فبدأ الحرب قبل أن يتيح لجنده فرصة للراحة والشرب .

وهنا تحركت فيالق الروم تجاه العدو ، وإستخدموا أولا الحراب ، ثم تبارزوا بالسيوف وجها لوجه . وكانت الصفوف المذكورة تتكون من جنود مدربين ملتصقين ببعضهم تماما ، وبمجرد أن تحركت الصفوف الرومية ، تعالت دقات طبول الجيش الإيرانى وتجمع الفرسان الإيرانيون المختبئون من كل جانب، وخلعوا الأقنعة ودخلوا المعركة .ولم تكن السهام الرومية مؤثرة وفعالة فى مواجهة فرسان الجيش الإيرانى ، ذلك لأن البارثيين كانوا يحاربون من بعيد نظرا لمهارتهم فى رمى السهام ، وعند ما إقترب مشاة الجيش الرومى إستخدم فرسان الجيش البارثى أسلوب حرب الكر والفر؛ أى يحاربون فترة ثم يفرون من كل ناحية ، ويلقون بسهام معوجة حتى يسحبوا الروم إلى أماكن لا يتوفر فيها الماء والعلف ، ثم يعودون من كل جانب ويحملون على الفيالق الرومية ، ويصيبونهم بخسائر فادحة .

فى ذلك الوقت وصل فابيوس[٢] ابن كراسوس الذى كان تحت إمرة يوليوس قيصر أعظم قائد رومى ، وكان قد تعلم فنون الحرب فى بلاد الغال[٣]

---

(١) Carrhae ، كانت حران تقع فى ما بين النهرين بين ادس (اورفا) ورأس العين ، وتعد منذ العصور القديمة مركزا للصابئين ، وكان لها اهمية عظيمة قديما نظرا لموقعها التجارى ومن انجبتهم من الفضلاء والعلماء الكثيرين ، وهى الان ليست اكثر من قرية .

2) Fabius

3) Gaule

(فرنسا الحالية) ومعه ألف وأربعمائة فارس ، وأسرع لمساعدة كراسوس . ولكن رغم ما أبداه فرسان بلاد الغال من شجاعة نادرة ، فإنهم لم يتمكنوا من التغلب على الفرسان البارثيين ؛ ذلك أنهم فروا من أمام فابيوس ثم عادوا وهجموا من كل ناحية ، وفى الوقت الذى أراد فيه كراسوس أن يعطى الأوامر بالهجوم لجيشه ، رأى فجأة رأس إبنه ترتفع على طرف حربة بين البارثيين .

وبمجرد أن شاهد فرسان البارثيين الرأس ، إزدادت جرأتهم وجلدهم ، وضيقوا الخناق على الروم . فقرر أوكتافيوس[1] وهو أحد رؤساء أركان الحرب - وقد صار قيصرا للروم فيما بعد - الإنسحاب .

أراد جيش الروم أن يتجه إلى المنطقة الجبلية حتى يحتمى هناك من هجمات فرسان الجيش الإيرانى ، ولكن لم يتحقق لهم ما أرادوه بسبب خطأ ارتكبه المرشد الذى كان يدل الجيش المذكور على الطريق ، فالمنطقة التى إحتلها جيش الروم لم تكن لتمنع العمليات الحربية التى يقوم بها فرسان الجيش الإيرانى . عندئذ طلب سورنا من كراسوس عقد هدنة ، وإتفق معه على أن يذهب ناحية النهر لتوقيع الهدنة .

فاطمأن كراسوس وإتجه وحده مع سورنا ناحية النهر ، وبعد تحرك كراسوس قلق رؤساء أركان الحرب ، فربما حدثت خيانة له ، ولحقوا به . وهنا حدثت معركة بين فرسان البارثيين والروم وقتل كراسوس ، وبمجرد أن سمع جيش الروم خبر مقتله ، أصابهم رعب شديد ، ووقعوا أسرى فى أيدى البارثيين أو فى أيدى العرب . ماعدا ألفين منهم إستطاعوا الهرب . ويروى أن خسائر جيش كراسوس فى هذه الحرب بلغت عشرين ألف رجل ، وأن عدد الأسرى الذين أسرهم البارثيون وأرسلوا إلى مرو بلغ عشرين ألف جندى تقريبا (٥٣ ق . م) .

وينسب البعض مقتل كراسوس إلى فتنة حدثت فى جيش الروم ، ويقال

---

(1) Octavius

أن سورنا كانت له يد فى هذه الفتنة . ويتفق مع الرواية الأولى أن تصرفه كان من باب الخيانة ، ولكن الرواية الثانية تبدو أصح ، لأن حالة الروم المعنوية كانت سيئة ، وكان الانسحاب قد أختير منعا للفتنة . حملوا رأس كراسوس إلى أرد عندما كان فى أرمينية ، وألقوا بها تحت قدميه ، وذلك فى الوقت الذى كان يقدم فيه عرض تمثيلى من مصنفات اوريبيد[١] — Euripide المصنف اليونانى المشهور — فى البلاط بمناسبة زواج پاكر بن ارد من إبنة ملك أرمينية ؛ فرفع أحد الممثلين اليونان الرأس عاليا ؛ وأخذ يقرأ شعرا لاوريبيد مناسبا للمقام .

ويستفاد مما كتبه مؤرخو الروم أن سورنا أثر تأثيرا غريبا فى الروم ، وكان موضع إهتمام خاص . وكان هذا القائد قد أعد عشرة آلاف فارس من أملاكه وتابعيه لهذه الحرب ، وقادهم إلى ساحتها . وبعد فتح حران إتجه ارد للإستيلاء على سورية ، فتحارب مع كاسيوس[٢] الذى كان قد عاد مع بقية جيش الروم إلى تلك البلاد .

وهناك إستخدم الروم أسلوب البارثيين ، وسحبوا الجيش الإيرانى إلى كمين وهزموهم . عندئذ عقدت هدنة طويلة بين إيران والروم ، ثم عاد ارد فأرسل فى سنة ٣٩ ق . م پاكر ولابى نيوس القائد الرومى الذى كان فى خدمة ملك إيران ، بجيش كثيف للإستيلاء على سورية .

وكان النصر حليفهم فى بداية الأمر ، ولكنه تحول إلى جانب الروم بعد مجىء وينتيديوس باسوس[٣] إلى سورية ، ذلك أن پاكر قتل فى هذه المعركة ، فصرف أرد النظر عن الاستيلاء على سورية ، إلى أن كره السلطنة بعد وفاة إبنه ، فأعطاها لإبنه الأكبر فرهاد .

---

(١) أوريبيد أو افريبيدس هو شاعر تراجيدى يونانى مشهور ، ولد فى جزيرة سلاميس Salamis فى ٢٠ اكتوبر عام ٤٨٠ ق.م ، وكرس حياته للتاليف الدرامى وتوفى عام ٤٠٧ ق.م. ويقال انه كتب خمسا وسبعين مسرحية تراجيدية وصلتنا منها تسع عشر مسرحية فقط (المترجم) .

(٢) Cassius (٣) vintidius bassus

حران وماران :ـ

لمعركة حران أهمية كبيرة فى تاريخ إيران ؛ ذلك لأن الروم كانوا منتصرين فى كل مكان حتى ذلك الحين ، وقد ألقت هذه الهزيمة ظلالا على صولاتهم ، ورفعت إسم دولة پارث عاليا فى العالم . وتشبه معركة حران معركة ماراتن ، فكما إصطدمت آنذاك الدولة الهخامنشية العظيمة فى حركتها ناحية الغرب وللمرة الأولى بحائط يونانى محكم ، وتوقفت توسعاتهم ، كذلك إصطدمت دولة الروم ـ فاتحة الدنيا ـ للمرة الأولى بسد إيران المتين ، وإنتهت توسعاتها فى آسيا منذ ذلك الوقت فصاعدا . وعندما كان يوليوس قيصر حاكما مطلقا على الروم فكر فى أن يعوض هزيمة الروم فى إيران ، وشغل بجمع الفيالق . ولكنه سرعان ما قتل .

اشك الرابع عشر ـ فرهاد الرابع :ـ

يرى بعض المؤرخين أن پاكر هو اشك الرابع عشر ، ولكن هذا الرأى لا يتفق مع مقتله فى عهد أبيه . وبمجرد أن جلس فرهاد الرابع على العرش قضى على إخوته ، كما قتل أباه الذى وجه إليه اللوم على فعلته هذه (٣٧ ق . م) .

الحرب الثانية مع الروم :ـ

تشدد فرهاد فى معاملته مع العظماء إلى درجة أن بعضهم هاجر من وطنه وذهب من زس ـ أحد قواده المشهورين ـ إلى مارك أنطونيو[١] الذى كان أحد ثلاثة تولوا زمام الأمور فى الروم ، وكان واليا على مصر ، وأخبره بأنه قد حان الوقت لكى تأخذ الروم بثأرها من ايران إنتقاما لهزيمة كراسوس . وعندما سمع فرهاد هذا الخبر إستمال هذا القائد المذكور وأحضره ، وطلب أنطونيو من فرهاد عن طريقه أن ترد إلى الروم البيارق الرومية والأسرى

---

(١) Marc Antoine ـ الاثنان الاخران هما أوكتافيوس إوكوست ولبيد

الذين مازالوا على قيد الحياة ، ولكن هذا كان ظاهر الأمر ، فى حين أن أنطونيو كان يستعد للحرب سرا . وعندما إستعد توجه إلى إيران بجيش قوامه مائة ألف جندى ؛ وأعطاه ملك أرمينية آرتاواردس[1] ستة آلاف جندى من المشاة ، ونفس هذا العدد من الفرسان . أراد أنطونيو أن يدخل ايران من ناحية الفرات ؛ ولكن عندما رأى البارثيين وقد تحصنوا فى كل موقع إتجه ناحية أرمينية ، فقال له ملك أرمينية : إن كل جيوش إيران متواجدة فى نواحى الفرات ، لذا يمكنك غزو آذربايجان والإستيلاء على عاصمتهم پراسپا[2] ، فتوجه ناحية تلك المدينة ، وعندما وصل إليها ورآها مدينة حصينة ، وبها حامية عسكرية كافية ، إنتظر مجىء مؤن الجيش وأدوات الحصار . ولكن البارثيين تعرضوا للروم بأسلوبهم الحربى وقتلوا عشرة آلاف شخص منهم ، وأصيب جيش آرتاواردس بهزائم فادحة عقب ذلك . وأصبح موقف أنطونيو صعبا . وخلال هذا الهرج والمرج إنقض البارثيون أيضاً على مؤن جيشه وغنموا كثيراً منها ، ولم ير القائد الرومى بدا من الإنسحاب . وسلك الطريق الجبلى حتى ينجو من فرسان البارثيين ، ولكن طريق الجبل لم يستغرق أكثر من يومين ، وفى اليوم الثالث وبمجرد أن دخلوا السهل ، ظهر البارثيون على الفور وتصدوا لهم .

وفى خلال التسعة عشر يوما التى قضاها على أرض إيران قتل ثمانية آلاف رومى . وبعد عبوره من أرس ، وعلى الرغم من أن البارثيين لم يتعقبوه بعد ذلك ، إلا أن ثمانية آلاف رومى قد لقوا حتفهم كذلك بسبب زمهرير الشتاء وعدم توفر المؤن ومشقة الطريق . ونجت البقية الباقية من الجيش الرومى التى كانت فى حالة يرثى لها من التعب والشقاء (٣٦ ق . م) ، وكان خط إنسحاب الروم من الشاطىء الشرقى لبحيرة أورميه والاماكن التى تقع اليوم فى تبريز تقريباً .

---

1) Artavardes

(٢) يقال لها فى الفارسية القديمة (فراد اسبه) ، وقيل لها بعد ذلك برسبه . وتقع هذه المدينة على بعد ٢٥ فرسخا من بحيرة أورمية من الناحية الجنوبية والشرقية ، وهى الان تعرف باسم تخت سليمان .

ذكر بلوتارك أن انطونيو عندما رأى مشقة الإنسحاب وصعوباته فى هذا السفر كان يقول دائماً : « تعالوا يا أيها الجنود العشرة آلاف » يعنى العشرة آلاف جندى يونانى الذين إنسحبوا من كوناكسا فى عهد اردشير الثانى بعد مقتل كوروش الصغير ، وتحملوا كل هذه الصعوبات . وتمجيد أنطونيو لليونانيين المذكورين فى محله . غير أنه إذا أخذنا فى الإعتبار تفاوت الاوضاع فى هذا الزمن وزمن أردشير الثانى ، فإن آلام الروم ومحنهم كانت أكبر بكثير . ذلك أن أحدا لم يتعرض للعشرة آلاف يونانى المذكورين من كوناكسا وحتى طرابزون فى ذلك الوقت ، وفى هذه الحرب عندما خرج ثمانون ألف رومى من إيران كانوا يحمدون الله على نجاتهم من يد رماة السهام الإيرانيين .

الحرب الثالثة مع الروم :

إشتعلت الحرب من جديد بين إيران والروم بعد مرور سنتين على الاحداث التى سبق ذكرها ، وذلك بسبب الغنائم التى تم الحصول عليها بعد إنتصار إيران على الروم ؛ إذ لم يرض ملك ميديا[1] عن حصته ، ولكنه لم يتمكن من الإعتراض خوفا من فرهاد . فما كان منه إلا أن أرسل شخصا إلى مارك أنطونيو يدعوه لحرب إيران ، فجمع جيشا على الفور وتوجه إلى أرمينية، ذلك أن الهزيمة التى حلت به منذ سنتين قللت من هيبته وعظمته ، وزادت من عظمة ملك ايران . وبعد أن دخل أنطونيو أرمينية صب جام غضبه على آرتاوادس فورا ؛ فاستولى على كل آرمينية ، وترك حامية قوية هناك ، وعاد إلى مصر . ثم رجع فى سنة ٣٣ ق . م متجها هذه المرة إلى أرس ، وعقد معاهدة مع ملك ميديا ، وأعطاه بعض أجزاء من أرمينية ، ووضع تحت تصرفه عدداً من مشاة الروم .

وفى ذلك الحين إشتد الخلاف بين مارك انطونيو وأكتافيوس الذى كان

---

(١) المقصود بميديا (ماد) الصغيرة اذربايجان الحالية .

فى بلاد الروم ، فاستفاد فرهاد من تلك الأوضاع وهزم أولا ملك ميديا وأسره ، وصحب معه بعد ذلك آرتا كسياس ابن ملك أرمينية ودخلها . وأسر أفراد الحامية الرومية واحدا بعد الآخر ، وقضى على فرقة[1] القائد الرومى ستاسيانوس[2] ، ومن ثم اشتد الأمر على مارك انطونيو ، فاضطر إلى التخلى عن أرمينية متكبدا خسائر فادحة والعودة إلى مصر ، وعادت أرمينية إلى سيرتها الأولى تابعة لإيران .

زادت هذه الحرب من قدرة فرهاد ومكانته ، وعموما فإن الإنتصارات المتوالية التى حازها البارثيون فى هذه الحروب الثلاثة جعلت إيران تبدو فى نظر العالم آنذاك على أنها ند ومنافس قوى لدولة الروم العظيمة ، ومن ثم فإن الروم لم يتعرضوا لإيران بعد ذلك ولمدة قرن .

حدثت بعد هذة الحروب ثورة فى بلاط إيران ، فقد تمرد على فرهاد شخص يدعى تيرداد وذلك بسبب حدة طبعه وغلظته وعنفه ، وأجبر فرهاد على أن يفر إلى آسيا الوسطى ، فأجلس الشعب تيرداد على العرش ، وحكم ثلاث سنوات . ثم عاد فرهاد بجيش من بدو صحراء آسيا الوسطى الى إيران وجلس على العرش .

وعندما رأى تيرداد الأوضاع تسير على هذا المنوال ، حمل أصغر أبناء فرهاد وذهب إلى أوكتافيوس الذى كان فى سورية آنذاك ، حتى يستعين به ، فقبله اوكتافيوس واحتفظ بإبن فرهاد كرهينة ، لكنه إمتنع عن حرب فرهاد .

أصبح اوكتافيوس إمبراطورا على بلاد الروم بعد سبع سنوات ، فدخل معه فرهاد فى مفاوضات وطلب أن يسلمه تيرداد ، فلم يقبل . ولكنه أعاد ابن

---

(١) ستون : عبارة عن نظام يجعل كل مجموعة من الجيش تقع عقب الاخرى ، ويتم هذا الترتيب عند التحرك .

2) Statianus

ملك إيران ، وطلب أن يرد فرهاد فى مقابل ذلك البيارق الرومية . ومع أن فرهاد قد سر لرؤية ولده إلا أنه لم يكن مستعداً لإعادة بيارق الروم ، غير أنه أعادها نظرا لإصرار أوكتافيوس .

وقد تركت هذه المسألة أثراً عميقاً فى بلاد الروم ، كما أن أهل تلك البلاد سروا لذلك ، وسجل كتاب ذلك العصر هذه الواقعة بالتفصيل ، ومدح هوراس[1] الشاعر الرومى المشهور أوكتافيوس .

لم يكن اوكتافيوس يفكر فى توسيع بلاد الروم ، وكان يتجنب الحرب ولما كانت دولة إيران طرفا هاما وقويا فى الشرق ، فقد أقام صداقة مع فرهاد وتلقى فرهاد تلك العلاقات الطيبة بقبول حسن . وأرسل القيصر بعد ذلك لفرهاد جارية إيطالية تسمى موزا[2] لتوطيد العلاقات ، كما أرسل فرهاد أبناءه عند الإمبراطور ليقيموا فى بلاد الروم . وكان هذا التصرف بإيحاء من زوجته الإيطالية التى كانت تريد إبعاد أبناء فرهاد عن العاصمة لكى تمهد لإبنها ولاية العهد .

أرمينية :

ظلت الأوضاع التى أوجدها فرهاد فى أرمينية كما هى ، أى أن اوكتافيوس كان يعترف بأرتاكسياس ملكا عليها ، وصار أخوه ملكا من بعده . ولكن حدث خلاف فى وجهات النظر بين إيران والروم بعد موته بشأن إنتخاب ملك جديد . وكان فرهاد يميل إلى تيكران الذى أصبح ملكا بإجماع الآراء . فصدمت هذة المسألة إمبراطور الروم ، ولما كان غير راغب فى الحرب ،

---

(١) هوراس شاعر رومانى صاحب ملحمة الاونيسا (٦٥ ــ ٨ ق.م) (المترجم)

(٢) كان اسم هذه الجارية ت اموزا اورانيا Thea Musa Urania

فإنه أرسل حفيده كايوس[1] إلى المشرق بصلاحيات تامة حتى يسوى هذه المسألة . وفى هذه الأثناء مات فرهاد مسموما بتحريض من إبنه فرهاد الذى أنجبه من المرأة الإيطالية (عامان قبل الميلاد تقريباً) .

اشك الخامس عشر ـ فرهاد الخامس ـ

أطلق المؤرخون الروم إسم فراتاسس[2] على فرهاد هذا ، ويقال أن هذا الإسم هو مصغر فرهاد . جلس على العرش مع أمه بعد سم أبيه ، وخلق إمبراطور الروم مشكلة حول الإعتراف به . وفى النهاية إستقر الأمر على أن يلتقى فرهاد بكايوس فى جزيرة فى نهر الفرات ، وأن تسوى المسألة وديا. ولما رأى فرهاد أن مكانته موعزعة صرف النظر فى هذا اللقاء عن أرمينية ، بشرط أن يعقد معاهدة صلح مع الروم (١ ق ٠ م)، غير أن النبلاء قاموا بخلعة عن السلطنة بسبب كراهية الناس له ، ثم قتلوه . ويوجد على نقوده صورة الأم والإبن .

اشك السادس عشر ـ ارد الثانى ـ

كان أميرا أشكانيا . وجلس على العرش بعد فرهاد ، وقتل بعد أربع سنوات ف. المصطاد (٦ م ٠)[3] .

اشك السابع عشر ـ وانان ـ

طلب المغستان (مجلس الأمراء ورجال الدين الوردشتى) ـ بعد ارد الثانى ـ من إمبراطور الروم إرسال أحد أبناء فرهاد حتى يتولى الحكم ، فأرسل

---

1) Caius
2) Phrataces

(٣) — م يعنى ميلادية .

وانان (ذكر الروم إسمه ونونس) ، ولما كان وانان قد إعتاد أخلاق الروم وتخلق بها ، فإنه لم يتمكن من الحكم ، وجلس مكانه على العرش أردوان (سنة ١١ ميلادية تقريباً) .

اشك الثامن عشر – اردوان الثالث –

اردوان الثالث هو الذى يصل نسبه من ناحية أمه إلى الاشكانيين ، وكان ملكا عل آذربايجان وخاضعا لملك إيران . ثم أخذ العرش من وانان وفر إلى أرمينية ، وصار ملكا على هذه المملكة (١٦ م) ، ولكن أردوان أبعده من هناك بقوة .

وفى تلك الاثناء فر وانان الى سورية وأصبح تحت حماية الروم ، وتدخل الروم فى أرمينية وفقا للإتفاق الذى عقدوه مع فرهاد الخامس ، ونصبوا آرتا كسياس[1] ملكا . فغضب اردوان من هذا التصرف ، وكتب رسالة شديدة اللهجة الى تى بريوس[2] امبراطور الروم ، ثم ذهب الى أرمينية وأجلس ابنه أرشك على عرش تلك البلاد ، فاستشاط تيبريوس من رسالة اردوان غضبا ، وأرسل أحد أبناء فرهاد الى سورية حتى يثير حربا أهلية فى ايران . وحرض سكان الشمال مثل الگرجيين[3] وغيرهم على غزو أرمينية فألقى ارشك القبض عليهم وقتلهم ، ودخل اردوان فى الحرب ، ولكنه لم ينتصر. عندئذ لم يرض عنه البارثيون نظرا لعدم توفيقه هنا وفى أماكن أخرى ، خلعوه وأجلسوا تيرداد مكانه . ذهب اردوان الى جرجان ، وزاد أنصاره بعد فترة ، فتوجه الى طيسفون وجلس على العرش . وعندما رأى امبراطور الروم الاوضاع على هذه الحالة ، أسرع فى طلب الصلح مع إيران . وبموجب

---

1) Artaxsias
2) Tiberius

(٣) گرجستان : كان يسميها اليونان والرومان فى ذلك الوقت باسم ايبرى ، ويطلق الايرانيون عليها ايام الساسانيين اسم ورژان وگرژان .

الإتفاق قبل اردوان أن تكون أرمينة خارج منطقة نفوذ إيران ثم لم يرض عنه البارثيون فخلعوه من جديد . ولكن لم يمض وقت طويل إلا وعاد إلى عرشه حتى مات (٤٠ م) . ومن أحـــداث سلطنته ثورة السلوقيين وقتل اليهود .

اشك التاسع عشر ، العشرون ، الواحد والعشرون ـ واردان ـ گودرز ـ وانان الثانى ـ

قامت الحرب الأهلية ـ بعد أردوان الثالث ـ بين ولديه واردان وگودرز وكانت الغلبة لواردان . ولكن قبل أن يصل إلى العاصمة قبض عليه گودرز وبعد أن كشف فتنة ضد الملك تصالحا . ولم يمض وقت طويل إلا وقتل واردان وجلس گودرز على العرش ، ولما كان قاسيا وظالما إلى أبعد الحدود طلب (المفستان) من امبراطور الروم مرة ثانية إرسال مهرداد ابن فرهاد الرابع إلى إيران ، ففعل ذلك ، ولكن گودرز هزمه وقطع أذنيه حتى لا يتمكن من الحكم ، ثم مات گودرز أيضاً بعد ذلك بقليل (٥١ م) . وجلس وانان على العرش ، ثم ترك العرش لإبنه بعد مرور سبعة أشهر .

ويرى گوت شميد أن وانان كان أخا لاردوان الثالث ، وحكم حتى سنة ٥٤ م .

اشك الثانى والعشرون ـ بلاش الأول ـ

جلس بلاش بن وانان على العرش فى سنة ٥١ م تقريبا ، وعزم على الإستيلاء على أرمينية ، ولكنه إضطر رغم توفيقه للعودة نظراً لانتشار المرض والقحط . وقامت بعد ذلك المنازعات بينه وبين ملك أديابن التابع له وفى ذلك الحين وصلت أخبار تفيد بأن عشيرة داه وبعض الطوائف من بدو الصحراء هجموا على حدود إيران ، فأسرع إلى حدود جرجان . وفى هذه الحرب وفق فى إبعادهم عن إيران ، وعند عودته كان موضوع آديابن

قد سوى ، ذلك أن ملكها الجديد من بازوس كان يتصرف بطريقة لا تضايق بلاش . وعندما فرغ بلاش من الشئون الداخلية وجه كل اهتمامه ناحية أرمينية فغزاها بجيش . وفر ملك أرمينية رادا ميستاس الذى كان خاضعاً للروم ، تاركا عرش بلاده لتيرداد بن بلاش .

ومعروف الى أى مدى تعارض هذا العمل الذى أقدم عليه بلاش مع عظمة الروم ، فعلى أثر ذلك أمر قيصر الروم نيرون[1] أعظم قائد رومى وهو كربول[2] . بمحو هذه الاهانة . وهنا ظهرت مشكلتان أمام بلاش . الاولى ثورة ابنة واردان عليه ، والثانية ثورة أهالى جرجان . وشغل بلاش بالشئون الداخلية ، فى حين دخل تيرداد ملك أرمينية فى حرب مع الروم ، ولم يحرز تقدما . وكانت النتيجة أن قسمت دولة الروم أرمينية وأعطتها للملوك المجاورين التابعين لها .

وبعد خلع واردان واخماد ثورة جرجان أخبر الملك بلاد الروم بأنه لم يتنازل عن حقه بالنسبة لأرمينية ، وهجم بجيشه على مابين النهرين ، ثم بدأت المفاوضات بعد ذلك بين ايران والروم . واستقر الأمر على أن تسحب الدولتان جيوشها من أرمينية حتى تحل القضية وديا فى بلاد الروم . لكن سفير ايران عاد من بلاد الروم غير راض ، ونشبت الحرب من جديد مع الروم ، فعبر جيش الروم الفرات ، وحصن مواقعه على الضفه الشمالية منه ودخل بتوس[3] القائد الرومى الاخر بلاد أرميفيه ، وأغار عليها فلم يجد مقاومة ، اذ أن جيش ايران كان يحتفظ بشاطىء الفرات ، ولما وجد أن الامور قد انتهت على هذه الشاكلة ، ذهب الى المشتى ، وأعطى اجازة

---

1) Neron
2) Corbulo
3) Lucius Paetus

لكثير من قواده . وإستفاد بلاش الذى كان يراقب الأوضاع من ذلك ، لحمل على جيش الروم فجأة ، وإنتصر عليه ، وقبل پتوس شروط بلاش الجلاء عن أرمينية ، غير أن كربولو القائد الرومى لم يكف عن القتال ، وإتجه ناحية أرمينية حتى يعوض هزيمة پتوس . عندئذ كانت المفاوضات التى بدأت مع الروم قد وصلت إلى مايرضى الدولتين ، وإستقر الأمر على أن ينصب تيرداد بن بلاش ملكا على أرمينية بعد أن يذهب إلى بلاد الروم ويتسلم التاج من يد نيرون (٦٣م) .

ويتصور أكثر الباحثين أن الإشارة الموجودة فى دين كرت[١] إلى جمع الأوستا فى عهد بلاش ، تعنى بلاش الأول ، ذلك أنه طبقا للروايات الزرتشتية فإن الأوستا كانت قد ضاعت بسبب إستيلاء الإسكندر والمقدونيين على إيران . فتولى ذلك الملك جمعها ، وتم هذا العمل فى عهد اردشير بابكان . وقد كان بلاش وعائلته متدينين جدا .

تتويج تيرداد فى بلاد الروم — ماطل تيرداد فى التحرك ، وكان يجب أن يتوج فى بلاد الروم طبقاً للمعاهدة ، وسافر إلى هناك بعد ثلاث سنوات ، وتم سفره كما يقال فى أبهة وضجة . واستغرق سفره إلى بلاد الروم وعودته إلى أرمينية تسعة أشهر . وكانت الخزانة الرومية قد دفعت لمصروفاته ثلاثين ألف تومان بعملة اليوم ، لأن تيرداد لم يرغب فى السفر عن طريق البحر نظرا لتدينه ، فالماء أحد العناصر المقدسة وبعد تلويثه بالقاذورات ممنوعا ومحرما طبقا للمذهب الزرتشتى .

وبعد عودة تير داد إلى أرمينية جعل بلاطه كبلاط ملوك الأشكانيين وأوجدت المعاهدة التى عقدت بين بلاش ونيرون سلاما ثابتا بين الدولتين الكبيرتين ايران والروم ، فلم يحدث نزاع بين الطرفين طوال خمسين عاما .

---

(١) الدين كرت احد الكتب الدينية الزرادشتية

وفى عهد هذا الملك إتفق الآلانيون[١] مع الكرجيين ، وأغاروا على أرمينية وآذربايجان ، وطلب بلاش العون والمدد من قيصر الروم وسپاسين ، ولكنه لم يقدم له يد العون ، وقد غنمت تلك الشعوب المذكورة غنائم كثيرة من ايران بعد غزواتهم (٧٥ م) .

وفى سنة ٧٧م توفى بلاش ، وحكم من بعده ثلاثة أشخاص غير أنه لا يعرف أصلهم ونسبهم وتاريخ حكمهم على وجه الدقة . ويبدو أن طالبى الحكم آنذاك كانوا كثيرين نتيجة الحروب الداخلية ، وقد حكم كل واحد منهم فى قسم من ايران بلقب ملك الملوك (شاهنشاه) . وعلى أية حال فما هى أسماؤهم :

بلاش[٢] - پاكر الثانى - اردوان الرابع -

استمرت تلك الأوضاع حتى سنة ١٠٧ م . وفى هذا العام جلس خسرو على العرش ، وكان بلاش الأول اخر ملك أشكانى مشهور وقوى نسبيا . واتجهت من بعده الدولة الأشكانية الى الإنحطاط والتدهور وأصابها الضعف واذا دققنا النظر وجدنا أن ضعف هذه الدولة بدأ بعد فرهاد الرابع ، ذلك أن الروم عندما وجدوا أنهم لن يتفوقوا على منافسيهم القوى فى ميدان الحرب حاولوا اضعافه عن طريق آخر : اذ سبب وجود الجارية الإيطالية فى البلاط

---

(١) الالانيون من الاريين الايرانيين ، وكانوا يسكنون فى بداية الامر بالقـــرب من وادى داريال ، ولكنهم استولوا بعد ذلك على اراض واسعة من السهول الواقعة على شاطىء بحر الخزر وحتى مصب نهر [illegible] أو الاديل ، وقد أجبرهم المغول على الهجرة فى القرن السابع الهجرى وطردوهم الى بلاد أخرى ، كما ترى لهم اثار فى الصين ، ويطلق عليهم ايضا اسم (الاس) ، وتعد شعوب الاست التى تسكن القفقاز من اعقابهم .

(٢) يجب أن يكون هذا هو بلاش الثانى الذى سيأتى ذكره فيما بعد .

الإيرانى أضرارا كثيرة للدولة الاشكانية ، فقد كانت هذه المرأة سببا فى ذهاب أبناء فرهاد إلى بلاد الروم وإقامتهم هناك ، فاستفاد الروم من هذا الوضع فوائد كثيرة ، وأظهروا للعالم أن هؤلاء الأمراء رهائن البارثيين فى بلاد الروم . وبهذه الطريقة طووا تحت أجنحتهم طالبى السلطنة . وكلما إقتضى الأمر أوجدوا حربا أهلية فى إيران عن طريقهم . وكما مر ، فقد خدع الروم هؤلاء الأمراء مرة ثانية ، وحققت سياسة الروم أهدافها إلى حد ما ، وإلا لما وفقوا فى بسط نفوذهم على أرمينية التى كانت داخلة فى منطقة نفوذ إيران بالتحديد .

اشك الثالث والعشرون ـ خسرو ـ (١٠٧ — ١٣٣ م) ـ

إشتعلت نيران الحرب من جديد فى عهد هذا الملك بين إيران والروم بعد صلح دام لمدة خمسين عاما ، ذلك أن ترجان [1] إمبراطور الروم آنذاك والذى يعتبر واحدا من القادة المشهورين فى عصره ، قام بفتوحات فى داكية (رومانيا الحالية) ، ووفق بالاضافة إلى ذلك فى إعداد جيوش منظمة ومدربة لأنه كان يفكر فى الإستيلاء على العالم ، أى أنه كان يريد أن يجعل من نفسه الإسكندر الثانى ، والمعروف أن الإستيلاء على العالم لابد أن يبـــدأ من ناحية إيران .

وفى ذلك الوقت توفى تيرداد ملك أرمينية (١٠٠م) . وأجلس پاكر على الفور أحد أبنائه على عرش تلك البلاد ، وكان يدعى إكز دارس [2] دون أن يستشير فى ذلك دولة الروم . ولم يقبل ترجان هذا التصرف مطلقا ، فإتخذ منه ذريعة لتحقيق أحلامه ، وإتجه بعد ذلك إمبراطور الروم بجيش جرار مدرب إلى آسيا ، وعندما بلغ مقدونيا ذهب إليه سفير خسرو محملا بالهدايا ، وأخبره أن خسرو مستعد لعزل إكزدارس وتعيين بارتا ماز ير [3] بن تيرداد

---

1) Trajan
2) Exedares
3) Partamasiris

ملكا على أرمينية بشرط أن يتسلم التاج من يد الإمبراطور . ولما كان ترجان ميالا للحرب لم يقبل هذا الوضع ، ورفض قبول الهدايا وأجاب بأنه سيعمل مافيه الصالح بعد دخول الشام . وبعد دخول سورية ، وجد الظروف مهيأة فدخل أرمينية (١١٥م) ، وانتظر بارتامازير ، ذلك لأنه كتب اليه يخبره بأنه سيعترف به ملكا على أرمينية إذا تسلم التاج من الإمبراطور كوالده ، فحضر الأمير الأشكانى بسرعة وأخذ التاج ، ووضعه طبقا لشروط المعاهدة بين قدمى ترجان منتظرا أن يعيد التاج ، لكن ترجان لم يرد إليه التاج بل أخبره بانه معزول عن الحكم . ولم يكتف بهذا أيضاً بل قبض عليه بعد إنصرافه وقتله .

وقد كان هذا التصرف من العار إلى درجة أن العالم فى ذلك الوقت إستنكره كذلك . قام ترجان بعد ذلك بفتوحات فى أرمينية ومابين النهرين وإستولى على أديابن والحضر[1] ودخل بابل، ثم استولى على سلوقية وطيسفون وهبط من دجلة متجها إلى الخليج ، ونشر العلم الرومى فوق مياهه للمرة الاولى . ومن ناحية أخرى لم يكن خسرو مستعدا أن يمكن الروم منه ، ولكنه لم ير أن من صالحه مواجهة الروم كذلك . نعمد إلى إثارة الولايات الخاضعة لهم ، ولم يمض وقت طويل إلا وبلغ ترجان خبر الثورة والعصيان من كل مكان ، فأصابه الخوف والذعر ، وإنقطعت خطوط إتصاله مع سورية بسبب هذه الفتن ، فهاجم الحضر ولكن الثوار أجبروه على التراجع ، عندئذ رأى أن السبيل الوحيد الذى يجب أن يسلكه هو الإنسحاب ، فأجلس أحد الأمراء الأشكانيين على عرش السلطنة فى طيسفون ، وأعطى الامر بالإنسحاب وتوفى ترجان بعد ذلك بعام (١١٧م) .

صار هادرين[2] إمبراطورا على الروم . وتغيرت سياسة دولة الروم على

---

(١) الحضر هى نفسها المدينة التى كان الرومان يطلقون عليها اسم (هاترا) ، وكانت تقع على مسافة ثلاثة أيام من الموصل الحالية ، وبها قلعة حصينة . وقد ذكر الكتاب المسلمون أشياء عن عظمة هذه المدينة ، وهى الان اطلال وخرائبها فى الطرف الجنوبى الغربى من الموصل .

2) Hadrien

يد الإمبراطور الجديد . ذلك أن الحفاظ على ما بين النهرين وأرمينية كان يشكل صعوبة للروم بسبب جوارهم لدولة إيران ، مما أدى إلى حروب مستمرة . لذا إعتقد هادريان أن رأى أكتافيوس اوجست إمبراطور الروم الأول حول حدود الإمبراطورية كان صحيحا ، وأنها لا يجب أن تتجاوز الفرات . ونتيجة لهذا القرار إنسحب الروم من البلدان الثلاثة التى استولوا عليها . وتم لقاء بعد ذلك فى سنة ١٢٢م بين إمبراطور الروم وملك ايران على حدود الدولتين ، وكانت لهذا اللقاء نتائج حسنة أدادت العلاقات الطيبة بين البلدين .

ويجب أن يؤخذ فى الإعتبار أنه فى عهد ترجان وبعده بقليل كانت دولة الروم فى أوج عظمتها بينما كانت الدولة الاشكانية تتجه الى الضعف .

اشك الرابع والعشرون - الخامس والعشرون - بلاش الثانى وبلاش الثالث -

جلس بلاش الثانى وبلاش الثالث على العرش بعد خسرو . وبدأت فى عهد بلاش الثانى هجمات الآلانيين (الآص) من جديد . ويرجع السبب فى هذه المرة الى تحريض « فرس من » ملك الكرجيين . ولم يتمكن بلاش من مواجهتهم . فأعطاهم مالا فى النهاية ليبعد شرهم عن آذربايجان والبلاد المجاورة وقد أظهر هذا التصرف ضعف الدولة الاشكانية (١٣٥م) .

توجه بلاش الثالث فى سنة ١٦١ م الى أرمينية وأخرج ملكها الذى كان تابعاً للروم ، فخرج لحربه القائد الرومى اليوس سوريا نوس[1] فهزمه ، وعبر بعد ذلك البارثيون نهر الفرات ودخلوا سورية . وهناك صدهم قائد رومى مشهور يدعى كاسيوس . وكانت حربه فى البداية دفاعية ، ولكنه

1) Aelius Severianus

هاجم بعد ذلك وهزم البارثيين ، فانسحبوا ناحية الفرات . استولى بعد ذلك كاسيوس على أرمينية وخرب آرتا كساتا ، واستدعى ملكها السابق من الروم وأجلسه على عرش أرمينية . ولم يكتف بهذا بل أراد أن يفتح بلادا أخرى مثلما فعل ترجان . وبهذا الهدف استولى على سلوقية ونهبها . وانتشر وباء الطاعون فى ذلك الوقت ، فأصاب الجيش الرومى بأضرار بالغة ، وانتشر فى كل بلاد الإمبراطورية الرومية . وأدى ذلك الى دخول القسم الغربى من بلاد ما بين النهرين مع نصيبين ضمن بلاد الروم (١٦٥ م) . وكانت وفاة بلاش الثالث فى سنة ١٩١ م طبقاً لما هو مسجل على النقود .

أشك السادس والعشرون - بلاش الرابع -

جلس على العرش بعد أبيه ، ونشبت المعارك فى عهده مع الروم من جديد (١٩٤ — ١٩٧ م) ، اذ ثار سكان القسم الواقع فيما بين النهرين الذى كان قد ضم الى الروم ، وعندما جاء سبيتيم سور[1] الى ما بين النهرين للقضاء على الثورة وسير سفنا فى دجلة كما فعل ترجان ، استولى على سلوقية وضم آديابن الى بلاد الروم . ولم يحدث اعتراض من جانب البارثيين بسبب ضعف دولتهم . وعندما رأى سور مشكلات الفتوحات فى تلك البلاد صمم على العودة ، ولكنه كان يريد الإستيلاء على الحضر لوجود معبد خاص بإله الشمس بها ، وهذا المعبد له شهرة واسعة لما يحتوى عليه من أشياء ثمينة وثروات طائلة . وطال حصار الحضر وأصاب الإمبراطور اليأس من الإستيلاء عليها فانسحب . ولكن آديابن صارت جزءا من بلاد الروم ، وثبت تفوق الروم فى أرمينية وإدس — الرها — (اورفا)[2] . وتوفى بلاش فى سنة ٢٠٨ م .

---

1) Septimus Severus

(٢) كانت ادس مدينة هامة ، وهى تعرف اليوم باسم (أورفا) وتقع بالقـــرب من ديار بكر ، ويسميها العرب الرها .

اشك السابع والعشرون ، الثامن والعشرون — بلاش الخامس واردوان الخامس -

بعد بلاش الرابع تنازع ولداه بلاش واردوان الملك ، وقررا فى النهاية أن يحكم بلاش فى بابل واردوان فى بلاد ايران الغربية . والمعروف أن أى بلد لا يحتمل وجود ملكين فيه ، فاشتعلت الحرب الأهلية . وسر الروم سرورا عظيما ، وهنأ امبراطور الروم كارا كالا بن سپ تيم سور مجلس الشيوخ الرومى على تلك المشاكل التى أصيب بها عدو الروم بسبب الحروب الداخلية . وأرسل كارا كالا - الذى كان قد أعترف فى بداية الامر ببلاش الخامس حاكما على ايران - سفيرا محملا بالهدايا الى أردوان ، وأخبره فى رسالة معه انه اذا زوج اردوان أخته له . فإن هذه الصلة ستكون باعثا على توطيد العلاقات بين الدولتين اللتين تحكمان العالم آنذاك . ولم يقبل أردوان فى بداية الأمر لما كان يعلمه عن سلوك كارا كالا المتسم بالخيانة تجاه ملك إدس وأرمينية ، وأجابه بأدب ردا على رسالته . ولم يسلم كاراكالا بهذا ، بل أرسل سفيراً من جديد مكررا طلبه ، فطلب أردوان أن يأتى الإمبراطور ويحمل إمرأته . فكان أن قدم كارا كا لا بجيش كبير إلى حدود إيران وأقام حفلا ، وعندما دخل اردوان ومرافقوه خيمة الإمبراطور هجم الروم — الذين كانوا قد أعدوا كمينا — على البارثيين وقتلوهم جميعاً ، ونجا أردوان فقط . وبعد هذه الحادثة المخجلة بوقت قصير قتل كارا كالا بالقرب من حران (٢١٧ م) . أما أردوان فإنه شغل على الفور بجمع جيش وإتجه للقاء الجيش الرومى . وقبل أن يصل إلى حدود إيران وصل سفراء ما كرى نوس الذى خلف كارا كالا ، وبدأت المفاوضات ، فطالب اردوان بالإنسحاب من مابين النهرين ودفع غرامة كبيرة . ولما لم يستجاب لطلبه قامت الحرب من جديد ، وإستخدم الفرسان البارثيون فى هذه المعارك أسلوبهم القديم مرة ثانية ، وأعجزت سهام الإيرانيين وحراب فرسانهم لابسى الدروع والراكبين فوق الجمال جنود الروم . ولم تسفر المعركة عن شىء خلال يومين ، وفى اليوم الثالث إنتصرت الجيوش الإيرانية نصرا مؤزرا ، وطلب الروم الصلح ، ودفعوا مبلغاً كبيراً

كغرامة[1] . ولكن لم يتم الإنسحاب من بعض أقسام بلاد مابين النهرين التى كانت قد بقيت تحت نفوذ الروم منذ الحروب السابقة ، وذلك بسبب إنقراض الدولة الأشكانية .

ومن أعمال كارا كالا المتسمة بالخزى والعار أيضاً أنه أخرج عظام ملوك الأشكانيين فى آربل وألقاها بعيداً ، ويستفاد من ذلك أن الأشكانيين كانوا يدفنون موتاهم ، وذلك رغم أن هناك مايفيد أن المتأخرين منهم كانوا يحرقون موتاهم .

وقد عد البعض اردوان الرابع آخر ملوك الاشكانيين ، وإعتبره كوت شميد اردوان الخامس ، ويقول أنه إنتصر على بلاش الخامس منذ سنة ٢١٦م .

وفى عهد هذا الملك إنقرضت الأسرة الاشكانية نتيجة عدم رضا الشعب عنها والحروب الاهلية طمعاً فى عرش السلطنة ، والضعف الذى كان يتزايد يوماً بعد يوم . وإنتقل الحكم فى إيران إلى الاسرة الساسانية . والشخص الذى قاد هذا العمل وصاحب الفضل فيه هو أردشير پاپكان الذى خرج على اردوان الخامس ونجح فى ذلك (٢٢٤ م) . وبعد مقتل اردوان فى رام هرمز سك شخص من الأشكانيين يدعى آرتاواس دس[2] نقودا كثيرة ، ولكن ليس معروفا ماهى الصلة التى كانت تربطه بأردوان ، والظن الغالب انه كان إبنه .

---

(١) تقريبا ٢٠ كرورتومان بعملة اليوم .

(2) Artavasdes

الفصل الثانى

أحوال إيران فى عصر البارثيين

الحضارة الأشكانية

إتساع الدولة الأشكانية :

إمتد العصر الأشكانى ٤٧٠ عاما كما ذكرنا ، ويمكن تقسيم ذلك العصر إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول الذى استمر مائة عام على وجه التقريب ، وفيه قام الأشكانيون بإرساء قواعد دولتهم الفتية ، وقضوا على دولة باختر (بلخ) فى الشرق ، وأخرجوا السلوقيين من إيران . والقسم الثانى وهو عصر عظمة الدولة الأشكانية وإزدهارها ، وفيه دخل الملوك الأشكانيون فى حروب موفقة مع الروم وشعوب الشرق القوية مثل السك وغيرهم . وكانت إيران البارثية إحدى دولتين عظيمتين تحكمان الدنيا فى ذلك الوقت (دولة الروم والدولة الأشكانية)[1] . وفى القسم الثالث إتجهت الدولة الأشكانية إلى الضعف .

أما عن حدود هذه الدولة وهى فى أوج عظمتها ؛ فيجب أن يؤخذ فى الإعتبار أن الأسرة الأشكانية قسمت إلى عدة شعب ، وكانت كل شعبة تحكم قسما : فكانت الشعبة الأولى تحكم فى إيران ، والثانية تحكم فى أرمينية والولايات المجاورة لها مثل أسران (إدس) — الرها — وغيرها ، والثالثة تحكم فى باختر والمناطق المجاورة لها حتى البنجاب والسند . ومن ثم فإن حدود دولة الأشكانيين المركبة عبارة عن : نهر الفرات من ناحية الغرب ، والبنجاب والسند من ناحية الشرق ، الخليج وبحر عمان والمحيط الهندى من ناحية الجنوب وجبال الهيمالايا ونهر سيحون وبحر الخزر والقفقاز من ناحية الشمال .

(١) هذا القسم من مهرداد الثانى حتى اخر سلطنة بلاش الاول .

النظم الإدارية فى الدولة الأشكانية :

لا توجد معلومات كثيرة حول نظم هـذا العصر ؛ ذلك لأنه لم تصل إلينا نقوش عن الملوك الأشكانيين توضح هذا الموضوع . وما نعلمه عنهم مستق من مصادر أرمنية ورومية ويونانية . ومن هذا كله ومن النقود والمعلومات الناقصة التى وصلتنا ؛ فمن المسلم بهأن الدولة الأشكانية لم تكن دولة ذات إقليم واحد ، بل كانت إيران فى ذلك الوقت مقسمة لعدة دويلات مثل : أرمينية ، ميديا ، آديابن ، فارس ، خوزستان ، أصفهان، الرى ، كرمان ، يزد ، بلخ ، وبعض أقسام الهند وغيرها .

وكانت هذه الدويلات مستقلة فى شئونها الداخلية ، وتحـافظ على دينها وعاداتها وأسر ملوكها (كان الملوك غالبا من الأشكانيين) . أما العون الذى تقدمه للملك الكبير أو ملك الملوك فيكون عن طريق إشتراكها فى مجلس الشورى الذى يعقد لإنتخاب الملك الكبير ، وإعداد الجيوش فى وقت الحرب وإرسالها إلى المكان الذى تحدده الحكومة المركزية .

وكانت المدن اليونانية — كما يذكرنا عصر الاسكندر والسلوقيين — حرة تماما فى تسيير أمورها الداخلية أيضاً ، وتقوم بدفع الضرائب (مثل سلوقية وغيرها) . وفى الاماكن التى لم يكن فيها ملك محلى كان يعين الوالى أو الـ (وتيا كسا) من قبل العاصمة ويستفاد كذلك أنه لم يكن للملوك الأشكانيين فى العاصمة حكم مطلق : إذ يوجد مجلس شورى يبت فى الأمور الهامة ، وهو يشكل من الأمراء الأشكانيين الذين بلغوا سن الرشد أو من رؤساء أسر الدرجة الاولى . وأحيانا كان يشكل من هذين المجلسين معا ومعهم رجال الدين من الدرجة الأولى ، ويطلقون على المجلس بصورته هذه إسم مغستان .

وقد أطلق المؤرخون الروم إسم « سنـا » (مجلس الشيوخ) على مجلس الامراء والعظماء . وكان لهذا المجلس نفوذ قوى ، فى حين أنه لم يكن لمجلس المغستان مثل هذا النفوذ فى بعض الامور .

وإجمالا يجب القول بأن البارثيين حافظوا على النظم الآرية أفضل وأكثر نظرا لبعدهم عن بابل وأشور كما سبق أن ذكرنا ، ولذا فقد كان لرؤساء الاسر والطوائف صلاحيات أكثر ، وكان الملوك المحليون فى الواقع حكاما سابقين تعارضت اختياراتهم مع قدرات السلطنة فكانت تمر عند إنتخاب الملك الجديد فترات تمتد أحيانا لثلاثين عاما .

وقد تبين للباحثين من دراسة أحوال الدولة الأشكانية ومقارنتها بأحوال أوروبا فى القرون الوسطى وجود تشابه كبير بين هذا العصر وذاك العهد .

وهذا نفسه يبين أن النظم السياسية والإجتماعية عند الآريين كانت تتفق مع سائر الشعوب الهند وأوربية مثل الاسكندنافيين والجرمان وغيرهم فى العصور القديمة .

الديانة :

كان البارثيون يعبدون العناصر والشمس والقمر والنجوم ، وذلك أثناء معاشرتهم للسك . وعندما إختلطوا بالفرس والميديين كانوا يعبدون اهورا — مزدا . ولما كانت عبادة الشمس والزهرة (ناهيد) شائعة فى إيران ، فقد دخلت عبادتهما ضمن معتقدات البارثيين .

وبعد قدوم الإسكندر إلى إيران وإنتشار ديانة اليونان وحضارتهم ، دخلت عبادة بعض آلهة اليونان كذلك ضمن ديانة الملوك الاشكانيين . ولذا فإنه يجب القول بأن ديانتهم كانت مركبة كحضارتهم . والمعروف أن الديانة الخاصة بعبادة هرمزد لم تبق على صورتها الأولى بل إختلطت بمعتقدات أخرى ؛ فمثلا شاعت عند البارثيين — تقليدا لليونان — إقامة التماثيل لهرمز أو رسم صوره وبناء معابد وغير ذلك مما كان يخالف الديانة الزردشتيه عند الفرس .

شىء آخر كان يرى عند الاشكانيين ولم يكن له مثيل من قبل وهو عبادة الأجداد ؛ فقد أوصل ملوك الأشكانيين اشك الأول إلى مرتبة الإله ، ويوضح

ذلك أيضاً لقب إبى فانس — وهى كلمة يونانية — الموجود على نقود ملوك الأشكانيين . وكان البارثيون يعبدون أجدادهم أيضاً ، كما كانوا يعنون بحفظ صورهم فى المنازل . ولم يتقيد الملوك الأشكانيون بديانة الميديين والفرس ، ولم يعتنوا بالحفاظ عليها، إلا واحداً من الأشكانيين وهو بلاش الأول الذى تصدى لجمع الأوستا . وكان رجال الدين فى الدولة الأشكانية هم نفسهم (الموابذة) ، ويتولى الملك الأشكانى رئاسة رجال الدين ، غير أن القيــام بإجراء طقوس الديانة كان من شأن المغان .

وقد بلغ نفوذ الموابذة فى البداية إلى درجة أن المغستان كان يتدخل فى شئون الدولة ، وعندما استنكر ملوك الأشكانيين تدخلهم فى الأمور ، قللوا من نفوذهم بمرور الوقت بطريقة جعلتهم يفقدون أهميتهم .

ولم يكن عمل الموابذة ينحصر فى الأمور الدينيـة فحسب ، بل كان منهم الكثيرون يعملون أطباء أو مدرسين أو معلمين أو منجمين أو كتاب تقويم كذلك . وقد ذكر استرابون أنه كان يقال لرجال الدين فى ذلك الوقت الحافظين على بيت النار . وهذه العبارة ترجمة آثروان التى هى بفارسية اليوم (آتشبان = حارس النار) . ويستفاد مما ذكر أنه لم يكن لإيران دين رسمى فى عصر الأشكانيين ، وكما كان لبابل تأثير فى معتقدات الملوك فى العصر الهخامنشى ، فقد حلت اليونان محل بابل فى هذا العصر .

اللغة والخط :

لغة هؤلاء القوم أصلا آرية إيرانية ، ولكن دخلت فيهما كلمات سكائية ، وبها أسماء سكائية كثيرة . وهذه اللغه هى نفسها التى عرفت فيما بعد

باسم اللغة البهلوية[1] ، وهى منزلة وسطى بين اللغة البارسية القديمة وفارسية اليوم[2] .

انتشرت اللغة اليونانية أيضا فى البلاط البارثى وبين النبلاء منذ عهد الإسكندر وخاصة منذ عصر سيطرة السلوقيين وما تلاه .

وقد كتبت عبارات النقود الخاصة ببعض الملوك الأشكانيين باللغة اليونانية وخطها . وكان الأمراء الأشكانيون يعرفون اللغة اليونانية غالبا ، كما كانوا مطلعين على الأدب اليونانى . ويقال أن أردوان الأول كان يجيد هذه اللغة، وأن أرد الأول تعلم آدابها جيداً، وكتب تاريخا بها . ولما كان محبا لهذا العلم فإنه أمر بكتابة تاريخ العصر الهخامنشى طبقا المصادر الآشورية .

وكانت تقام فى بلاط الملوك الأشكانيين العروض المسرحيـــة والألعاب اليونانية وخاصة مصنفات أوريبيد[3] اليونانى التى كانت تلقى إقبالا منقطع النظير . ولكن ضعفت معرفة اللغة اليونانية ومنذ عهد گودرز وماتلاه ، ذلك لأن الخطوط اليونانية المكتوبة على نقود ذلك العصر لم تكن واضحة .

والخط فى العصر البارثى خط آرامى سريانى وليس خطا مسماريا ، والدليل على ذلك شيئان :

أولهما ، تلك النقود التى كتبت عليهـــا كلمات بهلوية بخط آرامى

---

(١) يرى علماء اللغة أن (برثو) وهو اسم هؤلاء الناس يتفق مع كلمة (برهو) طبقا للموازين العلمية ، وبدلت بعد ذلك الى (بلهو) و (بهلو) ، ولهذا أطلق النبلاء البارثيون على أنفسهم اسم بهلو وبهلوان ، وهم الذين كانوا ينسبون الى قوم بارت ، ومن ثم فان بهلوى وبهلوانى يعنى المنتسب الى البارثيين .

(٢) هناك فرق ضئيل بين البهلوية الاشكانية والبهلوية الساسانية .

3) Euripide.

(مثل نقود مهرداد الرابع وبلاش الأول والثالث والرابع والخامس وأردوان الخامس وغيرها) ، وثانيهما ، ثلاث نسخ خطية مكتوبة إكتشفت فى أورامان بكردستان فى سنة ١٩٠٩ م ؛ نسختان منها كتبتا بخط يونانى والثالثة كتبت باللغة البهلوية وبخط آرامى .

وقد كتبت هـــذه النسخ الثلاث على جلد غزال ، وترجع إلى عصر الاشكانيين[1] . ولكن لا يجب أن نتصور أن الخط المسمارى قد ترك كلية ، فقد عثروا على لوحات فى بابل ترجع الى العصر الاشكانى وهى بالخط المسمارى .

وعندما اتصل الأشكانيون بالروم كانوا يستعملون فى بداية الأمر اللغة اليونانية ، ولكن إزداد نفوذ لغة الروم وحضارتهم أيضا فى بلاط الاشكانيين بسبب توثق الصلات معهم وإقامة الأمراء الاشكانيين فى بلاد الروم بعد ذلك .

الصناعات والفنون :

لم يعثر حتى الآن على آثار معمارية ونقوش حجرية للملوك الأشكانيين باستثناء فقرة أو فقرتين ، ولم تكتشف كذلك نقوش حجرية باللغة البهلوية ترجع إلى عهد الاشكانيين .

وطبقا لدراسات علماء الآثار القديمة فقد بقيت عدة خرائب من عهد الأشكانيين هى كما يلى :

١ — خرائب معبد كنكاور الذى يشبه إلى حد بعيد المعابد اليونانية ، ويقال إنه كان معبد الـ « ديان »[2] الإلهة اليونانية .

---

(١) الارامييون شعب من اصل سامى كانوا يسكنون بين الشام الكبرى ودجلة ، وكانت للغتهم لهجتان شرقية وغربية أو كلدانية وسريانية . وقد راجت لغتهم وخطهم فى العصور القديمة فى اسيا الغربية وخاصة فى كلده والشام الكبـــرى . كما كتب العبريون بعض كتبهم بهذه اللغة . والخط الارامى مشتق من الخط العبرى . واللغة الارامية غير مستعملة الان ، غير أن بعض اهالى قرى الشام الكبرى يتحدثون بلغـــة قريبة من هذه اللغة .

2) Diane. كانت إلهة القمر

٢ — هناك معبد فى همدان أيضا إسمه اناهيتا أو ناهيد (أناهيتيز) ، وكانت تقام فيه آنذاك مراسم تقديم القرابين كما ذكر الروم . ويشبه أسلوب تشييد أعمدته واحدا من أساليب تشييد الأعمدة عند اليونان .

٣ — توجد خرائب فى الحضر (هاترا) على شاطىء دجلة (من الناحية الغربى) يصل نصف قطر دائرتها إلى ألف متر تقريبا ، وترى فيها أبنية إيرانية ولكن طاقاتها مبنية على الطراز الرومى .

٤ — قلد كودرز داريوش الأول فى بيستون وأشار إلى إنتصاره على مهرداد بنقوش حجرية بارزة ، وأيضا بكتابة كتبت باللغة اليونانية .

كما عثر بارون دو بود[1] فى سنة ١٨٤١ م على نقوش حجرية فى مضيق سا اولك بجبال بختيار ، يرجعها بعض الدارسين إلى العصر الاشكانى . ولم يصل إلينا شىء مهم عن الصناعات الأشكانية فى إيران سوى النقود . ولكن عثر على أشياء ترجع إلى العصر الأشكانى من حفريات مدينة تدمر[2] التى تقع فى الشام ، والتى كانت واسطة تجارية بين إيران وبحر المغرب ، وأيضا فى الهند وصناعات هذا العصر من حيث المجموع قليلة جداً ، وهى دون صناعات العصر الهخامنشى .

وتعتبر الفنون الحربية من فنون هذا العصر التى لا شبهة فيها ؛ وكانت رائجة عندالپارثيين جدا ،وخاصة الفروسية والرماية التى وجب على الشباب تعلمها . وشاع أسلوب حربى واحد لدى الفرسان الپارثيين يعرف بحرب الكروالفر (جنگ گريز) ، وقد سبق شرحه . ولم تكن لديهم خبرة بفن الحصار وإستعمال آلاته وأدواته ؛ إذ كانوا يحطمون آلات الحصار وأدوات الإستيلاء على القلاع التى يمتلكها الروم بعد الاستيلاء عليها ، ولم يكن جنود المشاة يقدرون قيمتها .

1) Baron De Bode

(٢) تدمر هى التى سماها اليونان بالمير ، وتقع أطلال هذه المدينة فى صحراء الشام ، وتدل الاثار على أنها كانت مزدهرة فى الماضى .

كما أنه لم ير فى هذه الفترة الجيش الدائم الذى كان موجودا فى العصر الهخامنشى .

أما بالنسبة لعلوم العصر الاشكانى ، فلا يمكننا ذكر شيء فى هذا الصدد ، إذ أنه لم تصلنا آثار بشأنها . ولكن لما كانت هناك أشياء كثيرة معتادة فى عصر الاشكانيين وبقيت كما هى فى عصر الساسانيين أيضا : فمن هنا يمكن إستنباط أن رجال الدين كانوا يعلمون الناس القراءة والكتابة والحساب كما هو الحال بالنسبة للعصر الساسانى .

التجارة :

كان لإيران الاشكانية تجارة جيدة نظرا لموقعها بين الصين والهند من ناحية وبين البلاد الغربية من ناحية أخرى . ويستفاد مما كتبه المؤرخون الصينيون أن سفارة قدمت إلى إيران للمرة الأولى فى عهد مهرداد الثانى الاشكانى (بين ١٢٠ و ٨٨ ق . م) ، كما أرسل سفيرا إلى إيران وبلاد الروم يدعى كان يينگ[1] من قبل القائد الصينى المعروف پان چا أو .

وقد انتقل هذا السفير من مدينة صددروازه (المائة بوابة) وهمدان حتى بابل ، وكان يريد السفر من خليج فارس حتى خليج العقبة عن طريق البحر ، ولكنه إنصرف عن ذلك . ويبدو أن الدولة الاشكانية لم تكن ترغب فى أن يعرف الصينيون الطرق البحرية . وبعد فترة قدم سفير للمرة الثانية ، ويذكر أن تا تسين - أى الروم - يريدون أن يتاجروا مع الصين عن طريق إيران . ولكن آنسيه - أى البارثيون - يمانعون ويريدون أن تكون تجارة حرير الصين بواسطتهم .

ونرى بعد ذلك ، ونظرا لهـــذه الممانعة ، إمبراطور الروم مارك أرل انطونيو[2] يرسل البضائع فى سنة ١٦٦ م كعظم الفيل والسلاحف إلى الصين

1) Kan-Ying
2) Marc-Aureie-Antoine

عبر الطريق الممتد من الهند إلى الصين . وتدل هذه المعلومات على أن إيران كانت واسطة التجارة بين الشرق والغرب ، ولم يرغب الأشكانيون فى فقدان هذا الموقع وتلك المنزلة . وكانت الجمارك تحصل فى ذلك العصر على الواردات .

النقود :

كانت النقود البارثية من الفضة والبرونز فقط . وقد دخلت النقود الذهبية فى عصرهم إلى إيران عن طريق التجارة فقط . ودخل إيران ذهب كثير فى عهد أردوان عن طريق الغرامة التى دفعها الروم لها ، وكانت النقود الذهبية الرومية تسمى آيورى[١] (مثل الدريك الهخامنشى بمعنى الذهبى) . ويقال لوحدة النقود الأشكانية درخم ، وهذه الكلمة يونانية . وكان وزن الدرهم يعادل أكثر من أربعة جرامات أو أقل أحيانا[٢] . وكانت هذه العملة تنافس الدينار الرومى فى آسيا الغربية كلها . والنقود الأشكانية فئة أربعة دراهم ودرهم واحد ، وعلى العموم فقد كانت النقود الاشكانية دون النقود الساسانية من الناحية الجمالية .

والألقاب التى إختارها الملوك الاشكانيون مختلفة جدا ، وكل منها تقليد لنقود دولة ؛ فمثلا الملك العظيم وملك الملوك تقليد للهخامنشيين ، والعادل والفاتح والملك[٣] من السلوقيين ، وإبى فانيس[٤] من اليونان . وقد أطلق الملوك الاشكانيون الاوائل على أنفسهم لقب محب اليونان[٥] ، وعلى وجه النقود صور الملوك الاشكانيين وقد جلسوا على العرش وأمسكوا فى أيديهم قوساً وتره . كما يوجد على بعض النقود صور للآلهة اليونانية . ويتضح مما سبق أن الفضة كانت أساساً لنقود إيران فى العصر الاشكانى .

---

(٣) Auri كان الاهيورى يزن من ثمانية الى أربعة جـرامات ونصف تقريبا .

(٤) اربعة اخماس مثقال تقريبا .

3) Dikaios, Nicatar, Theos

4) Epiphanes

5) Philhellene

الديانات الأجنبية .

نهج الملوك الأشكانيون سياسة التغاضى عن الديانات الأجنبية ، وكانت هذه السياسة من خصائص الآريين ، ولم تحدث فى عهدهم أية حروب دينية . وكان الأشكانيون يعطفون على اليهود بصفة خاصة ، ويحمونهم من الروم .

كما كانوا يغضون الطرف عن الديانة المسيحية وسائر الأديان . ووصل التسامح إلى درجة أنهم لم يمنعوا نشر الديانات الأجنبية داخل ايران. وذكروا عن بلاش الأول فقط أنه كان ينظر نظرة سيئة إلى نشر الديانات الأجنبية داخل حدود إيران ؛ وذلك نظرا لتعصبه . ولم يكن على وفاق مع اليهود ، بل كان يرغب فى إشتراك فرسان البارثيين فى مساعدة الروم فى حرب فلسطين .

النتيجة :

نستخلص مما ذكر حول حضارة البارثيين والأشكانيين أن حضارتهم كانت مركبة ؛ أى ترى فيها آثار من عادات السكائيين وأخلاقهم ودياناتهم. كما تركت الحضارة اليونانية بصمات من حيث الدين واللغة والخط وغير ذلك على ملوك الاشكانيين والنبلاء ورجال البلاط وذلك بعد مجىء الإسكندر إلى إيران . ومع وجود هذه الحضارة اليونانية فى إيران، فقد كانت سطحية ولم تؤثر فى البارثيين بعمق على الإطلاق .

الباب الخامس

عصر البارسيين (الفرس) الثانى

الفصل الأول

الملوك الساسانيون

مقدمة :-

كان ساسان سادنا لبيت نار أقيم فى إصطخر للزهرة (ناهيد) ، وكانت زوجته — رام بهشت — إبنة أحد ملوك الباز رنگيين الذين كانوا يحكمون فى نيسايه (سميت هذه المدينة باسم البيضاء، وذلك منذ إستيلاء العرب على فارس، نظرا لبياض جدرانها) .

وكان پاپك بن ساسان يحكم فى مدينة خير الواقعة على شاطىء بحيرة بختگان، وقد حصل لإبنه أردشير على رئاسة قلعة مدينة داراب من گوزهر البازرنگى، ومنذ ذلك الوقت بدأ إرتفاع شأن هذه الأسرة . ثم قتل پاپك گوزهر ونصب نفسه ملكا ، وطلب من أردوان الخامس لقب ملك لإبنه الأكبر شاپور ، فرفض أردوان .

ومع ذلك أطلق شاپور على نفسه لقب ملك بعد موت أبيه ، فأجبر أردشير على تبعيته . ولم يستمر ذلك طويلا إذ توفى شاپور تحت أنقاض قبو تهدم بقصر ملكه ، الذى كان يسمى باسم هماى ، فأصبح أردشير ملكا (٢١٢ م)[1] .

---

(١) يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن السنوات التى ذكرت حتى سنة ٣١٠ م بشأن تاريخ سلطنة ملوك الساسانيين تقريبية (نلدكه) .

الأول — أردشير الأول (آرت خشتر) :

كان أردشير يفكر فى سلطنة كبيرة بينه وبين نفسه ، إلى أن حان الوقت فى سنة ٢٢٣ م فرفع راية العصيان وقام بحملة على كرمان ، وهزم ملكها بلاش ، وجعل إبنه أردشير حاكما هناك ، ولهذا السبب عرفت كرمان لحقبة من الزمن بإسم (به اردشير) (كان العرب يسمونها بردشير) . ثم خضع له ملوك خوزستان وعمان بعد هزيمتهم .

وعندما رأى أردوان الأشكانى إرتفاع شأن أردشير توجه إليه بجيش كثيف ، وحاربه فى هرمزدگان بخوزستان ، فقتل أردوان (٢٢٤ م)[١] .

ويرجع نسب ساسان طبقا للروايات الفارسية إلى أردشير صاحب اليد الطولى[٢] ، أى أن جد جده ويسمى أيضا ساسان وهو ابن دارا كان معاصرا للإسكندر ، وهاجر من وطنه إلى الهند . ثم إن أحد أبناء ساسان (الجيل الخامس) قدم من الهند إلى فارس بعد مائتى سنة وتسمى أيضا ساسان فى عصر بابك وصار راعيا لأغنامه .وقد زوج بابك إبنته لملك فارس الخاضع لأردوان الأشكانى على أثر رؤيا كان قد رآها ، وجاء أردشير نتيجة هذا الزواج .

وهذه الرواية مشكوك فى صحتها ، أولا : لأنها لا تتفق مع التاريخ ، فقد مر أكثر من خمسمائة عام منذ إنقراض الأسرة الهخامنشية وحتى عصر بابك . ثانيا : إذا كان ساسان قد ذهب إلى الهند وبقى أولاده هناك ، فمن المستبعد جدا أن ... إيرانى بعد خمسة قرون ويعود ساسان المعاصر لبابك إلى فارس ويصبح

---

(١) ذكر البعض انه عام ٢٢٦ م .

(٢) يرى البعض أن المقصود بلقب اردشـــير دراز دست — الذى ترجمه بعض المؤلفين العرب أو اليونان القدماء ترجمة حرفية بمعنى الطويل اليدين أو طويل اليـد أو طويل الباع ، وعللوا ذلك بأن يده اليسرى كانت اطول من يده اليمنى ، أو أن يده كانت تصل الى ركبته عندما يكون واقفا — هو علو همته وقدرته .

(انظر مقالة الدكتور محمد معين : دراز دست — دراز انگل — ريوند دست . بمجلة روابط فرهنگ هند وايران — العدد ٢ و ٣ — ١٩٥١ كلكتا) . (المترجم) .

راعيا له . وقد رووا هذه القصة حتى يرجعوا نسب الساسانيين إلى الهخامنشيين (بالكيانيين الاسطوريين) . والاشكانيون كما رأينا كذلك يرجعون بنسبهم إلى أردشير الثانى الهخامنشى .

إستولى أردشير على طيسفون بعد سنتين من مقتل أردوان ، ودخلت إيران تحت حكم أردشير بعد ذلك . وبقيت أرمينية وكرجستان مستقلتين مؤقتا .

ذهب أردشير إلى الهند بعد إستيلائه على خراسان وبلخ وخوارزم وتوران ومكران ، فإستولى على البنجاب ووصل بالقرب من سيرهند ، وقدم ملكها (جونه) الجواهر والذهب والأفيال الكثيرة كجزية لأردشير ، فعاد أردشير إلى ايران وعقد العزم على حرب الروم بعد أن أرسى دعائم ملكه ، إذ إعتبر نفسه وارثا للهخامنشيين ، عبر أردشير الفرات سنة ٢٢٨ م ، وكتب إليه قيصر الروم اسكندر سور رسالة مذكرا إياه فيها بالهزائم التى حاقت بالپارثيين أيام ترجان وسبتيم سور[1] ، فإختار الملك أربعمائة رجل من الرجال الأشداء ذوى القامات الفارعة فى كامل أسلحتهم ومعهم جياد عليها سروج مذهبة ، وأرسلها إلى إمبراطور الروم ، وأجابه بقوله : « إن ما يمتلكه الروم فى آسيا هـــو إرث لى ، ويجب على الروم الإكتفاء بأوروبا والإنسحاب من آسيا ! فأمر اسكندر سور بالقبض على سفراء إيران وألقى بهم فى السجن ، وشغل بعد ذلك بالإستعداد للحرب وقسم الجيش الرومى إلى ثلاثة جيوش ، وكلف الجيش الأول بالإستيلاء على آذربايجان ، وتحرك الجيش الثانى ناحية شوش ، وتولى هو بنفسه قيادة الجيش الثالث . وأراد أن يغزو قلب إيران .

ولما كانت الصلة منقطعة بين هذه الجيوش ، فقد إستفاد أردشير من ذلك ، وهزم الجيش الثانى بكل قواته . ورغم أن الجيش الأول كان موفقا فى بداية الأمر إلا أنه أصيب بخسائر فادحة أثناء إنسحابه ، وانسحب الجيش الثالث بسرعة بعد هذه الهزائم .

---

1) Sptimus Severus.

ومن نتائج هذه المعارك أن وقعت نصيبين وحران تحت سيطرة أردشير . وكان فى إمكان أردشير أن يدخل سورية ، ولكنه رأى أن يتوجه إلى أرمينية أولا ، وقد قاوم خسرو ملك أرمينية مقاومة شديدة ، ولما لم يتمكن الفرسان من إضعاف مقاومته ، قتل أردشير ملك أرمينية بخدعة فى نهاية الأمر . واستولى على تلك البلاد بعد ذلك ، وفر ابن ملك أرمينية .

ولكى يستميل أردشير عواطف الشعب إلى جانبه ، قام بجمع الاوستا وأكثر من رجال الدين (المغان) وأشعل النار المنطفئة فى بيوت النار ، وجعل دين زرتشت هو الدين الرسمى لإيران ، ورقى رئيس رجال الدين الذى كان يلقب بالموبذان موبد[1] إلى أعلى منصب حكومى .

ولكى يحقق أردشير أهدافه إستفاد كثيرا من كراهية الناس لإسراف الملوك والأمراء المحليين فى شهواتهم وإستبدادهم فى العصر الاشكانى ، وأيضا من عدم رضاء رجال الدين ، فتعقب الامراء الاشكانيين بشدة وبدون رحمه ، وقتل كثيرا منهم ، وفر بعضهم إلى ما بين النهرين والهند وأفغانستان الحالية . وبقى عدد قليل منهم فى أماكن قليلة محصنة وكان أردشير على وفاق معهم (مثل جسنفس فى طبرستان) .

وتتلخص أعمال أردشير بالنسبة للشئون الداخلية[2] فيما يلى :

---

(١) تستعمل مؤبذان مؤبذ بدلا من مؤبذ مؤبذان فى اللغة البهلوية . اى يقدم المضاف اليه على المضاف .

(٢) يذكر صاحب مروج الذهب بعض الاصلاحات والتنظيمات التى قام بها اردشير فى مملكته فيقول : « رتب اردشير المراتب فجعلها سبعة افواج : فاولها : الوزراء ، ثم الموبذان ، وهو القائم بامور الدين ، وهو قاضى القضاة ، وهو رئيس الموابذة ، ومعناها القوام بأمور الدين فى سائر المملكة ، والقضاة المنصبون للاحكام . وجعل الاصبهبذيين اربعة : الاول بخراسان ، والثانى بالمغرب ، والثالث ببلاد الجنوب ، والرابع ببلاد الشمال . فهؤلاء الاربعة هم اصحاب تدبير الملك ، كل واحد منهم قد افرد بتدبير جزء من اجزاء المملكة ، فكل واحد منهم صاحب ربع منها ، ولكل واحد من هؤلاء مرزبان ، وهم خلفاء هؤلاء الاربعة .

ورتب اردشير الطبقات الاربعة من اصحاب التدبير ومن اليهم أزمة الملك وحضور المشورة فى ايراد الامور واصدارها . ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة الموسيقية .. » (أنظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ص ١٨٦ ج ١ طبعة القاهرة ١٩٦٦ م) (المترجم) .

١ — إيجاد المركزية وإبدال الملوك والأمراء المحليين بنبلاء البلاط ومنحهم ألقابا مختلفة .

٢ — جمع الأوستا الذى كان قد بدأ منذ عصر بلاش الأول ، وقد قدم تنسر - الذى كان هير بذان هيربذ - مساعدات معنوية لأردشير فى هذا العمل كما سيأتى فيما بعد .

٣ — جعل دين زرتشت دينارسميا والسماح لرجال الدين بتعقب المرتدين وفتح وصايا المتوفين وتقسيم التركات .

٤ — تقسيم الشعب إلى طبقات وتصنيف موظفى الإدارات .

٥ — إحياء جيش داريوش الأول الدائم .

٦ — تخفيف العقوبات ومنع قطع اليد .

وكان أردشير يعتقد :

١ — بأنه يجب أن تحل النظم والقوانين الواحدة محل الإباحية التى كانت شائعة فى عصر الأشكانيين .

٢ — أن الدولة والدين توأمان ولا يقوم أحدهما بدون الآخر .

الثانى - سابور الأول (شاه پوهر) :

جلس شاپور (سابور) على العرش بعد أبيه فى سنة ٢٤١ م . وفى بداية حكمه ثارت أرمينية وحران ، فقضى على ثورة أرمينية بسرعة . ولكن القضاء على ثورة حران كان يشكل صعوبة ، فقد سبق أن ذكرنا أن ترجان وسپتيم سور عجزا أمام أسوارها المحكمة ، وتركا المدينة وذهبا . وفى ذلك الوقت حدثت حادثة يسرت الأمر على سابور ، إذ أرسلت إبنة ملك حران رسالة إليه تخبره فيها أنها مستعدة لتسليم المدينة بشرط أن يتزوجها ، فقبل سابور هذا

الإقتراح . وخانت الإبنة والدها وسلمت المدينة ، ولكنها أعدمت بعد الإستيلاء على المدينة بأمر الملك كما ذكر المؤرخون[1] .

الحرب الأولى مع الروم : ـ

إستمرت هذه الحرب منذ عام ٢٤١ وحتى عام ٢٤٤م . فعندما رأى شابور إضطراب الأحوال الداخلية فى بلاد الروم حاصر مدينة نصيبين[2] وإستولى عليها ، واتجه بعد ذلك إلى ناحية بحر المغرب وإستولى على أنطاكية . ولم يمض وقت طويل إلا وصار گردين[3] إمبراطورا على بلاد الروم بعد منازعات داخلية ، فإتجه إلى ناحية الشرق بجيش جرار ، وهزم جيش إيران فى سورية فاضطر للإنسحاب .

وعبر الجيش الرومى نهر الفرات وإستولى على نصيبين ، ثم عبر نهر دجلة وحاصر طيسفون . وفى تلك الأثناء ثار الروم على گردين وقتلوه ، وتصالح فيليب العربى ـ الذى إغتصب العرش من بعده ـ مع شابور ، وترك الشرق ، وأصبحت أرمينية وما بين النهرين جزءا من إيران طبقا للمعاهدة التى عقدت بينهما .

الحرب الثانية ـ أسر فالرين[4] : —

إستمرت الحرب الثانية من سنة ٢٥٨ حتى سنة ٢٦٠ م . وفى هذه المرة عبر شابور نهر الفرات مرة أخرى بنجاح ، وإتجه ناحية أنطاكية ، فإستولى

---

(١) ذكروا أن شابور لم يكن يود قتلها فى بداية الامر ، ولكنه عندما علم بعد ذلك أن هذه الفتاة كانت قد نشأت فى عز ونعيم ومع ذلك خانت والدها ، أمر بقتلها بعد احساسه بالنفور منها والكراهية لها .

(٢) نصيبين Nissibin هى مركز اروستان ، وتقع على بعد ٢٥ فرسخا من المدينة الموصل الحالية .

3) Gordien

4) Valerien

على تلك المدينة . وهنا أسرع إمبراطور الروم فالرين — الذى كان عجوزا — لتحرير أنطاكية ، فاستردها وتقدم متعقبا جيش إيران حتى إدس . وهناك أعد سابور خطة للحرب بطريقة جعلت كل جيش الروم محاصرا ، كلما حاول الروم فتح ثغرة لهم لكى يفروا فشلوا ، وأسر الإمبراطور .

وقد أثرت هذه الحادثة تأثيرا غريبا آنذاك فى العالم . وزادت من عظمة الأسرة الساسانية وقوتها فى أنظار العالم زيادة عظيمة . وذكر الكتاب الأجانب المعاصرون أن سابور أجبر قيصر على خدمته ، وقيد يديه بالسلاسل ، وكان يضع قدميه على ظهره أثناء ركوبه .

وفى النهاية ، وبعد أن مات فالرين من شدة ما قاساه وعاناه . سلخ جلده وحفظه للذكرى . ويرى بعض الباحثين الجدد ومنهم يوستى[1] أن ما نسب إلى سابور كان عن طريق الكتاب المسيحيين (من رجال الدين) بسبب عدائهم للإيرانيين ، وليس له أساس من الصحة . ومن المسلم به أن سابور قد أجبر أسرى الروم على إقامة جسر شوشتر والسد المعروف باسم شادروان والمقام من حجر الجرانيت .

نصب شابور بعد هذا الإنتصار ممثلا شخصيا له من أهل أنطاكية إسمه سيرياديس[2] إمبراطورا على الروم ، وأعطاه لقب قيصر . وأجبر فالرين على السجود تكريما له . وبعدئذ عبر سابور نهر الفرات وإستولى على أنطاكية ، ثم توجه إلى ناحية آسيا الصغرى وإستولى على قيصرية مازاكا[3] ، ولكنه لم يؤسس نظاما فى الشام الكبرى ولا فى كاپادوكية وعمد إلى القتل والسلب ، ثم عاد إلى إيران محملا بالغنائم الوفيرة .

أصبح سابور فجأة وبعد هذه الفتوحات خصما لأذينـــة ملك تدمر[4]

---

(١) أساس فقه اللغة الايرانية .

2) Cyriadis

3) Caesrea Mazaca كانت فى كاپادوكيه

(٤) Palmyra تدمر هى نفسها بالمير عند اليونان ، وهى مملكة نبطية وعربيــة .

(٢٦٠ — ٢٦٣ م) ، ذلك أن تلك المدينة كانت تقع فى وسط الطريق المتجه من ما بين النهرين إلى دمشق ، وهى قلعة ينسب بناؤها إلى هادريان إمبراطور الروم . وقد صارت هذه المدينة المذكورة مدينة تجارية نظرا لما تتمتع به من موقع جغرافى بين مملكتين غنيتين وقديمتين هما ما بين النهرين وسورية . وعندما توجه سابور بجنده إلى سورية كتب أذينة (ادناتوس عند اليونان) ملكها رسالة إليه وأرسل له هدايا ، إلا أن سابور غضب من لهجة رسالته وقال : « من هو أذينة هذا ؟ ومن أى مملكة هو ، حتى يكتب لسيده رسالة بهذا الشكل ؟ يجب عليه أن يأتينى ويخر ساجدا صاغرا أمامى إعتذارا عما بدر منه » .

وأمر بإلقاء حاملى الهدايا فى نهر الفرات .وقد سبب هذا الغرور والتصرف الذى لاروية فيه من قبل سابور عناء عظيما ، ذلك أن أذينة تحين الفرصة وبمجرد أن سمع أن سابور إتجه من آسيا الصغرى إلى إيران محملا بغنائم لا حصر لها ، جهز جيشا من أعراب البادية وهجم على جيش سابور فى السهول التى لم يكن بها ماء ولا علف ، وأنزل به خسائر فادحة وإستولى على كثير من الغنائم ، وأسر بعض نساء سابور . ووصل جيش إيران فى نهاية الأمر إلى دجلة بعد عناء كبير وصعوبة بالغة ، وتخلص من تعقب أذينة له .

أعمال سابور فى وقت السلم :

من أعمال سابور بناء سد شادروان الذى بنى على يد مهندسى الروم وأسراهم على نهر كارون فى شوشتر (ربما عرف بسد قيصر لهذا السبب) ، وأيضا بناء مدينة سابور التى كانت تقع بالقرب من كازرون فى فارس،ومازالت خرائبها باقية . وينسب إليه أيضا بناء نيسابور فى خراسان وجندى سابور فى خوزستان

(بين شوشتر ودزفون)[1] . وذكر مؤرخو كرجستان أن شابور أرسل إبنه مهران لحكم كرجستان وأسس هناك أسرة السلاطين الخسرويين ، ثم إعتنق الدين المسيحى .

ويعتبر سابور واحدا من ملوك الأسرة الساسانية المشهورين ، وكان وسيما شجاعا صاحب عزم ، ومحبوبا من شعب إيران . ولكنه لم يفد إيران كثيرا بفتوحاته بالنسبة للسياسة الخارجية ، ذلك أن غروره كان يقضى على إنتصاراته أحيانا ، ويعتبره البعض دارا (داريوش) الأسرة الساسانية ، ولكن لا يوجد وجه للمقارنة بينه وبين ذلك الملك العظيم . وكانت حروبه لمجرد الكر والفر فى أغلبها ، وليس من أجل الاستيلاء على البلاد وحكمها .

ومع هذا فقد كان من حسن حظ الأسرة الساسانية أن ملكين من أوائل ملوكها ـ وهما أردشير وسابور ـ جعلا من هذه الأسرة أسرة عظيمة فى نظر العالم ، ووضعا دعائم راسخة للدولة الساسانية . وقد توفى فى سنة ٢٧١ م .

ومن الأحداث الهامة فى عصره ظهور مانى الذى أتى بدين أعلن مبادئه على الناس أثناء تتويج سابور (٢٤٢ م) . وسيأتى شرح هذا الدين فى موضعه .

الثالث ـ هرمز الأول (أئوهر مزد) :

جلس على العرش بعد أبيه ، وحكم سنة واحدة وإستدعى مانى الذى كان قد رحل عن إيران ، وحماه فى قصره فى دستكرد ورعاه . وتوفى سنة ٢٧٢م . ويقال أن هرمز كان شجاعا وأنه شارك فى حروب سابور مع الروم .

---

(١) كان اسم هذه المدينة أصلا « وه انتيوك شابور » أى مدينة شابور الافضل من مدينة انطاكية . ثم بدل هذا الاسم بعد ذلك الى وندى شابور وكندى وجندى شابور . ويقال أن هذه المدينة قد شيدت على ايدى أسرى المسيحيين الروم ، وكان سكانها من أهل انطاكية فى الغالب ، وهى فى العربية جنديسابور .

الرابع - بهرام الأول (وره ران) :

تولى الحكم بعد أخيه ، وحكم أربع سنوات . وقد طلبت زنوبيا ملكة تدمر — وهى زوجة أذينة والتى تولت الحكم من بعده — العون من بهرام نتيجة ضغط الروم على بلادها ، فاتخذ سياسة خاطئة ، إذ أرسل قوة صغيرة لمساعدة الملكة ، وكانت النتيجة أن دمرت تدمر، وغضب أورلين[1] امبراطور الروم أيضاً من تدخل إيران . ولما سمع بهرام أن الإمبراطور على وشك الدخول فى حرب مع إيران ، أرسل له عباءة فاخرة أرجوانية اللون وهدايا أخرى (اللون الأرجوانى من إختراع الفينيقيين ، وكانت له أهمية فى العالم القديم) .

ومع ذلك فقد عرف أورلين بعد قليل أن الدور قد جاء على إيران بعد تدمر ، فعمد إلى إثارة شعوب آلان حتى يغيروا على شمال إيران من ناحية قفقازية ،

وكان موقف إيران صعبا فى وجود ملك ضعيف الشخصية كبهرام . ومن حسن حظه وحظ الأسرة الساسانية أن قتل أورلين بعد دخوله بيزنطه (٢٧٥م) وسرعان ما مات بهرام كذلك .

وقد تم القبض على مانى بأمر هذا الملك ، وسلخ جلده وهو حى وعلق بسهمين فى جنديسابور وعرضوه لكى يشاهده الناس .

الخامس - بهرام الثانى (وره ران) :

جلس على العرش بعد أبيه (٢٧٥ م)، وكان فى بداية الأمر جبارا سفاكا للدماء . ولكنه غير من سلوكه بناء على نصيحة أحد الموابذة بعد ما ثار عليه الشعب طالبا خلعه . ومن أعماله إخضاع قبائل السك الذين كانوا قد إستقروا

1) Aurelien

فى سيستان وأفغانستان فى منتصف القرن الثانى ق . م ، كما سبق أن ذكرنا . واستولى بهرام بعد ذلك على بلاد أخرى فى الناحية الشرقية من إيران ، وكان يريد أن يواصل فتوحاته غير أن حروب الروم حالت دون ذلك ؛ إذ أراد إمبراطور الروم كاروس[1] أن يحقق مارسمه أورلين ، وبدأ حربه مع السارماتيين (سارماتها)[2] الذين كانوا يقيمون فى نواحى جبال القفقاز وفى جنوب روسيا الحالية ، ووصل إلى حدود إيران . ولما كان بهرام قد توجه بقواته ناحية الشرق ، وكان بعيدا عن الحدود الغربية لإيران ، فقد أرسل سفيرا إلى كاروس لكى يقوم بمباحثات حول استمرار السلام والصلح . فأجابه كاروس بقوله : « طالما أن ملك إيران لا يخضع فلن أترك القتال ، وسأجعل إيران جرداء لا شجر فيها كما خلت رأسى من الشعر » وبدأ القتال بعد ذلك ، فاستولى على ما بين النهرين وحتى طيسفون .

ولكن حدث فى تلك الأثناء رعد وبرق ، ووجد الإمبراطور ميتا بعد ذلك ولا يعرف هل صعقه البرق أو توفى لسبب آخر . وعلى أى حال ؛ فقد اعتبرت جيوش الروم هذه الحادثة علامة على غضب الله ، وثاروا طالبين العودة . وتوفى بهرام سنة ٢٨٢ م . وتوجد على نقوده صورة الملكة وابنها الشاب كذلك .

السادس — بهرام الثالث (وره ران)

جلس ابن هرمز على العرش ، ولكنه لم يحكم أكثر من عدة شهور ويعرفه هذا الملك باسم سكانشاه ، لأنه كان قد نصب حاكما على سيستان بعد الاستيلاء عليها فى عهد أبيه .

1) Carus.

(٢) يعتبر البعض أن السارماتيين من الشعوب الارية ، وعلى أى حال ، فلا شك فى أنهم من الجنس الهندوأوروبى .

السابع — نرسی (نرسه)

جلس بعد بهرام الثالث على العرش (٢٨٢ م)، واعتبره البعض إبن سابور، وعده البعض الآخر ابن بهرام الثالث، والرأى الغالب أنه ابن سابور . قام نزاع بين نرسى وأخيه هرمز حول عرش السلطنة فى بادىء الامر ، وإنتصر نرسى .

ومن الأحداث الهامة آنذاك تلك الحروب التى قامت مع الروم ، فقد كانت أرمينية تابعة لإيران منذ عهد أردشير ، غير أن الارمن لم يقبلوا أمراء الأسرة الساسانية نظرا لتعصبهم للديانة الزرتشتية .وعندما أصبح ديوكلتين[1] إمبراطورا على بلاد الروم فى سنة ٢٨٦م أخذ ينفذ سياسة كاروس ، وكان أول ما قام به هو تعيين تيرداد بن خسرو ملك أرمينية — الذى كان أردشير قد قتل والده — ملكا على هـذه البلاد ، وأرسله بجيش إليها ، فاستقبله الارمن بالترحيب . ولم يدم ذلك طويلا ، فقد أبعده نرسى من هناك ، وذهب تيرداد إلى ديوكلتين — الذى كان على درجة كبيرة من القوة فى ذلك الوقت . وطلب حمايته .

فأمر كالريوس[2] قائد جيش الروم فى الدانوب بالتوجه إلى سورية وتحريك الجيش الرومى ناحية إيران . ومن ناحية أخرى ، هجم نرسى على ما بين النهرين ، والتقى الجمعان فى سهول تلك البلاد بالقرب من حران . ونشبت معارك شرسة بين الطرفين ، ولم تسفر المعارك عن شىء خلال يومين .وفى اليوم الثالث هزم الفرسان الإيرانيون الجيش الرومى ، فتفرق ولم تسنح له فرصة الإنسحاب ، فألقى كالريوس وتيرداد نفسهما فى الفرات ونجيا بشق الانفس (٢٩٦ م) . وفى العام التالى وخلال فصل الشتاء (٢٩٧ م) أرسل ديوكلتين نفس ذلك القائد إلى إيران حتى يعوض هزائمه . ونظرا للتجربة التى خاضها كالريوس ، فقد تجنب الحرب مع فرسان إيران فى السهول والوديان ، وهاجم

---

1) Diocletien
2) Galerius

إيران من ناحية أرمينية ، وفاجأ الجيش الإيرانى ليلا وانتصر عليه . وكان من نتيجة ذلك أن جرح نرسى وهرب بصعوبة بالغة . وأسر كثير من النبلاء الإيرانيين ، فأرسل نرسى رسولا إلى كاريوس يطلب الصلح ، وقدم بعد ذلك رسول من عند الروم إلى نرسى وحدد شروطا صعبة للصلح ، هى :

أولا : تسلم الولايات الخمس الواقعة على الساحل الأيمن لنهر دجلة .

ثانيا : عدم تدخل إيران فى أرمينية ، والتنازل عن قلعة زنتا (الواقعة فى أذربايجان) بالبلاد المذكورة .

ثالثا : التصديق على أن كرجستان تحت حماية الروم . وتأتى أهمية هذا الشرط من أن الكرجيين كانوا يسيطرون على مضيق داريال بين جبال القفقاز وكان سكان الشمال يستطيعون الإعتداء على حدود إيران بموافقتهم .

رابعا : الإعتراف بأن نهر دجلة هو الحد الفاصل بين الدولتين .

خامسا : أن تكون نصيبين هى المكان الوحيد الذى يتم فيه تبادل البضائع التجارية بين إيران والروم . (حذف هذا الشرط نزولا على رغبة نرسى) .

وأسماء الولايات المذكورة هى .

١ — أرزون ٢ — مك ٣ — زابده ٤ — رحيمه .
٥ — كاردو أو كردو[1] . وأصبح دجلة حدا بين الدولتين طبقا لهذه المعاهدة (٢٩٧ م) .

---

1) Arzanene, Moksoene, Zabdicence, Rehimene, Corduene.

ذكر ماركوارت أسماء الولايات الخمس هكذا : أرزن ، انكل ، سفن ، زابده ــ كردو (ماركوارت ــ دولة ايران) .

وأدى جوار الروم إلى وقوع آذربايجان وطيسفون تحت التهديد .

لم يسبق لإيران عقد مثل هذه المعاهدة السيئة مع دولة الروم فى أى وقت، سواء فى عصر الأشكانيين أو بعد ذلك . ولم يتمكن نرسى فيما بعد من الحكم عقب عقد هذه المعاهدة ، فترك الحكم ومات بعد قليل كذا (٣٠١ م) .

الثامن — هرمز الثانى (أثو هرمزد)

جلس على العرش بعد أبيه . ولما كان محبا للعدل فقد سعى لنشره ، وزاد فى تعمير إيران .

غير أن مدة حكمه كانت قصيرة (٣٠١ — ٣١٠ م) . وقتل فى إحدى المعارك مع العرب فى سنة ٣١٠ م، إذ كان العرب قد إستولوا على البحرين[1]، وإعتدوا من هناك على حدود إيران ؛ وتوجد على نقوده صورة الملكة .

التاسع — آذر نرسى (آذر نرسه)

تولى الملك بعد أبيه . وأدت قسوته وسفكه للدماء إلى إعدامه على يد كبار رجال الدولة ، كما فقأوا عينى إبنه (٣١٠ م) . ولم يكن هناك من يجلس على العرش من زوجة شرعية فى العائلة المالكة ؛ فقد هرب هرمز أخو الملك المقتول من سجنه وذهب إلى بيزنطة .

ولم يرغب عظماء إيران فى إنتخابه كملك بسبب أن عاداته وأخلاقه كانت يونانية . ومن ثم إنتظروا ولادة طفل لإمرأة هرمز الثانى ، وبمجرد أن أعلن الموبد أنه سيكون ولدا إعتبروه ملكا، وعلقوا التاج فى مخدع الملكة ، وأصبح الجنين صاحب تاج وعرش .

---

(١) كانت البحرين ولاية تقع فى شرق جزيرة العرب على شاطىء الخليج ، وهى تسمى الان باسم الحساء . وقد سميت جزيرة البحرين بهذا الاسم فى القرون اللاحقة .

العاشر — سابور الثانى (شاه پوهر) — الكبير

حكم سابور لمدة سبعين عاما ، منها عدة شهور قبل أن يولد . وقد تولى الملك زمام الامور فى سن السادسة عشرة من عمره وكانت إيران حتى ذلك الوقت قد نهجت فى سياستها الخارجية أسلوب الحيطة والروية والدفاع ضد الإعتداءات التى حدثت على حدودها ، والتى كانت تحدث أحيانا من ناحية البحرين ، وأحيانا أخرى من ناحية مابين النهرين أو الشمال ، وتهدد أيضا طيسفون نفسها .

وكان أول ما قام به سابور من أعمال أن سير سفنا فى الخليج ، فخذل عرب البحرين وأصابهم بنكبات . ويروى أنهم كانوا ينقبون اكتاف الاسرى بأمر سابور ويمررون بها حبلا ، ولهذا السبب عرف بإسم ذى الاكتاف[1] . غير أن الباحثين المعاصرين يعتقدون أن نسبة هذا العمل لسابور غير صحيحة ، وأنه لقب بهذا اللقب لانه كان عريض المنكبين ، وعندما نسى السبب فى تلقبه بهذا اللقب فيما بعد ، إختلقوا هذه الرواية حتى يوجدوا سببا[2] .

الحرب الاولى مع الروم :

كان وضع سابور صعبا بعد تسوية الامور مع العرب ؛ ذلك لانه إذا لم يحارب الروم سيكون عرضة للإضطرابات الداخلية والسخط ، وإذا قام بذلك فإنه سيصير طرفا فى مقابل إمبراطور كقسطنطين الذى كان جادا نشطا ، ويعتبر أفضل قائد فى عصره . ولكى نتفهم الاحداث لابد لنا أن نتذكر أن الدين المسيحى كان الدين الرسمى للروم فى ذلك الوقت (مرسوم ٣١٣ المعروف بمرسوم ميلان) ، وصار قسطنطين نفسه بعد أن إعتنق هذا الدين

(١) أطلق عليه الايرانيون لقب ذى الاكتاف لانه كان ينقب اكتاف الاسرى من العرب وذلك فى حربه معهم . فسموه هو به ستبان . ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب (ص ١٩٢ ج ١) : وخلع بعد ذلك اكتاف العرب ، فسمى بعد ذلك سابور ذا الاكتاف . (المترجم) .

(٢) يوستى — أساس فقه اللغة الايرانية .

نصيرا مخلصا له وناشرا إياه ، وإعتبر حماية المسيحيين المقيمين فى إيران ضمن مهامه أيضا . ومن هنا أضاف خصومة دينية إلى جانب الخصومة القومية التى كانت موجودة بين الإيرانيين والروم فى كل آسيا الغربية . ومن حسن حظ سابور أن تطورت الأمور ، ورأى نفسه قادرا على حرب الروم ، فقد توفى قسطنطين عدوه اللدود (٣٣٧ م) ، وغضب أهل أرمينية على الملك تيرداد أيضا بعد قيامه بنشر الدين المسيحى ، ولم يكن خلفاؤه الذين خلفوه بعد موته أقوياء (٣١٤ م) .

وأدت تلك الأوضاع إلى قيام الحرب مع الروم ،وبدأها سابور ،وإستمرت هذه الحروب إثنى عشر عاما دون أن يحصل أى من الطرفين على نتيجة حاسمة (٣٣٨ — ٣٥٠ م) .

وفى تلك الأثناء ، وقعت حوادث فى الولايات الشرقية إضطر سابور على أثرها إلى ترك حصار نصيبين والذهاب إليها (٣٥٠ م) . والحادثة التى إقتضت حضور سابور إلى البلاد الشرقية الإيرانية هى هجوم الهون على حدود إيران .

إستمرت حروب سابور مع الهون البرابرة سبع سنوات (٣٥٠ - ٣٥٧م) ، وخرج من هذه الحروب منتصرا .وفى هذه المرة التى قصد فيها بلاد الروم ثانية كان قسم من الهون مع ملكهم كرومابات ضمن جيشه كذلك ، وقد كان لإنتصار سابور هذا أهمية كبيرة فى الحفاظ على الحضارة الإيرانية[١] .

<u>الحرب الثانية مع الروم</u> — (٣٥٩ — ٣٦٣) — عندما كان سابور مشغولا بحرب الهون ، إستفاد ملك أرمينية من هذه الظروف ؛ فتزوج إبنة أحد عظماء الروم عن طريق إمبراطورهم ، وصارت هذه الزوجة الرومية ملكة

---

(١) يطلق اليونانيون اسم خيونيت على الهون ، ولكنهم يعرفون فى التاريخ باسم الهون . وقد شكلوا بلاء عظيما على أوروبا ، وكانت كارثتهم على أوروبا تماثل كارثة المغول على ايران وسائر البلاد . وكان اتيلا ملكهم يقول : « اينما يطأ جوادى الارض بقدمه فلا ينبغى أن ينبت نبات » .

وعلى أثر ذلك خرجت أرمينية مرة ثانية من تحت سيطرة إيران ، وفى تلك الأثناء التى كان فيها سابور مشغولا بالحرب على الحـــدود الشمالية الشرقية الإيرانية سمع أن إمبراطور الروم يرغب فى أن تبدل الهدنة إلى صلح دائم وثابت ، فكتب رسالة بهذا المعنى إلى إمبراطور الروم يقول فيها : « تحيـــة وسلاما من أخى الشمس والقمر الملك سابور إلى أخيه القيصر كنستانسيوس . إن كتابك يشهدون على أن المناطق الواقعة بين نهر إستريمون (إستروماى حاليا) وسواحل مقدونيا كانت ملكا لأجدادى فى الماضى ، وإذا كنت أريد منك إعادة كل هذه البلاد فإننى بذلك لا أتجاوز الحد ، ولكن روح المسالمة والإعتدال هى التى دفعتنى إلى الإكتفاء بإسترداد أرمينية وما بين النهرين اللتين إستوليت عليهما من جدى بدون وجه حق . وأفيدكم علما أنه إذا عاد رسولى بدون الحصول على النتيجة المرجوة ، فإننى سأدخل معك فى الحرب بكل ما أملك من قوة بعد مرور الشتاء » . ولكى يمنع قيصر الروم وقوع الحرب ، أرسل رسله إلى البلاط الإيرانى . ولم يتحقق الهدف المنشود ، ففى سنة ٣٦٠ م بدأ سابور الحرب فاستولى على قلعة آمد الحصينة والتى تعرف الآن بديار بكر بمشقة بالغة . ثم إستولى على بزابد[1] (بازبدى) ، ولم يستطع كنستانسيوس عمل شىء نظرا لاشتغاله بالشئون الداخلية. وعندما صار جوليان[2] إمبراطورا على بلاد الروم إقتفى على الفور أثر سياسة ترجان الخاصة بإيران ، فجمع جيشا كبيرا فى سنة ٣٦٣ فى سورية . وأرسل سابور رسولا إليه ، فرده القيصر بخشونة بعد أن كان قد استعد تماما ، ووصل عدد أفراد جيشه إلى مائة ألف جندى . ودخل جوليان مع العرب فى مباحثات بحيث يحافظ فرسانهم على طرق المواصلات ، ويقوموا بعمليات ضد فرسان إيران ، لكنه لم يعطهم نقودا وقال على الإمبراطور المحارب أن يكون لديه الحديد لا الذهب . ولهذا إختلف العرب معه فى الباطن ، ورغم ذلك عبر امبراطور الروم بنجاح نهر الفرات لما كان له من قوة كبيرة ، واستولى على بعض مدن ما بين النهرين ومنها مدينة

---

(١) يطلق العرب على بزابد بازبدى ، وكانت تقع فيما بين النهرين .

2) Julien.

فيروز سابور . وتقدمت السفن الرومية من الفرات إلى دجلة عن طريق قناة رئيسية ، وكان عددها يصل إلى ألف ومائة سفينة . وعبر الجيش الرومى إلى الساحل الشمالى للنهر المذكور .

وعلى شاطىء دجلة نشبت معركة للمرة الأولى بين الفريقين ، فقد أرادت حامية طيسفون أن توقف زحف الروم بأفيالها الحربية . ولكن جوليان هجم ليلا على الساحل الأيسر لنهر دجلة بعد أن تفادى الأفيال . وبعد أن إستولى الروم على مواقع حصينة فى الطرف الأيسر للنهر المذكور وقعت المعركة،وقاوم الإيرانيون إثنى عشرة ساعة ثم إحتموا بطيسفون ، ووقعت غنائم كثيرة فى أيدى الروم .

أراد جوليان فى بادىء الأمر حصار طيسفون ، لكنه عندما وجـــد أنها حصينة إنصرف عن ذلك ، وأمر بحرق كل السفن الرومية فى نهر دجلة ، وإنسحب إلى كردستان . وبمجرد أن علم جيش إيران بانسحاب الروم قرر تعقبهم ، ووقع الروم فى مشكلة بسبب المؤن ، فقد قطع الإيرانيون خطوط إتصالهم . وهنا أدرك جوليان قيمة المساعدة التى كان يمكن أن يقدمها العرب للروم . ولم تسفر الحرب عن شيء فى اليومين الأولين . وفى اليوم الثالث هاجم الإيرانيون الجيش الرومى من المقدمة والمؤخرة ، وفى الوقت الذى كان فيه جوليان يتنقل من موقع إلى موقع لقيادة جيشه ، رماه أحـــد الجنود الإيرانيين بحربة فقتله . وبعد موته إنتخب أحد كبار رجال الدولة الرومية وهو جوفيان[1] ليتولى قيادة الجيش . وكان جل همه إخراج الجيش الرومى من منطقة هجمات الجيش الإيرانى . وكانت هذه الهجمات متصلة وشديدة إلى درجة أن الجنود الروم لم يجدوا بدا من عبور نهر دجلة سباحة . فألقوا بأنفسهم فيه .

وبعد أن تعب جيش إيران من الحرب مع الروم أمر سابور بعقد صلح معهم ، فقبله الروم بترحاب شديد . وكانت شروط الصلح كما يلى :

---

1) Jovien

أولا : عودة الولايات الخمس التى سلمت إلى الروم فى عهد نرسى إلى إيران.

ثانيا : عودة نصيبين إلى إيران وكذلك الحال بالنسبة لسنجار .

ثالثا : أصبح القسم الشرقى من ما بين النهرين مرتبطا بإيران .

رابعا : إعتراف دولة الروم بأن أرمينية خارجة عن منطقة نفوذ الروم (٣٦٣ م) .

وقد أعطت هذه المعاهدة — التى كانت ذات فائدة عظيمة لإيران — مكانة عظيمة لسابور فى التاريخ .

ذلك أن المؤرخين يعتقدون أن إيران لم تكن قد بلغت مثل هذه المرتبة العالية منذ عصر الإسكندر وحتى ذلك الحين . ولهذا السبب ، ولفتوحات سابور الأخرى ، أطلقوا عليه لقب الكبير ،

وعز على الروم إسترداد الولايات الواقعة فى تلك الناحية من دجلة ، وخاصة ضياع نصيبين التى كانت تعد قلعة حصينة للروم فى الشرق . هذه القلعة التى صارت — كما سنذكر — منطلقا لعمليات الإيرانيين الحربية الهامة فى حروبهم ضد الروم . وبدأت من جديد حروب سابور مع الروم بعد قليل ، فلم يبق جوفيان فى منصب الإمبراطور إلا لفترة قصيرة ، وقسم والن سين[1] إمبراطورية الروم بعد موته إلى قسمين ، وخص نفسه بالقسم الغربى ، وعهد بالقسم الشرقى إلى أخيه والنس[2] . ولما كان جوفيان هو الذى عقد المعاهدة السابقة الذكر ، فضلا عن كونها مهينة للروم ، فقد راعى والن سين بنودها فى الظاهر ، ولكنه كان يود إلغاءها فى الباطن . ومن ناحية أخرى تعجل سابور تنفيذ المعاهدة ، فشب النزاع والعداء مرة أخرى بين إيران والروم حول

---

1) Valentien

2) Valens

أرمينية وكرجستان ،ودخل سابور ووالن سين فى حرب إستمرت عدة سنوات دون نتيجة تذكر . وفى النهاية تعب الطرفان فى سنة ٣٧٦ م وقررا ألا يتدخل أحدهما فى شئون دولتى أرمينية وكرجستان ويسيطر عليهما .

توفى بعد ذلك سابور فى سنة ٣٧٩ م بعد حكم دام سبعين عاما ، وترك لخلفائه دولة إيران القوية التى تغلبت فى عهده على كل المشكلات التى تعرضت لها : فقد توقفت إعتداءات العرب والهون والكرجيين على حدود إيران ، وعادت الولايات التى كانت قد إنتزعت منها أيام جده . وكان لصد الهون أهمية كبيرة جدا لإيران ،فهم أنفسهم الذين إنتزعوا شعوب اليوئه چى والسك من مواطنهم وأبعدوهم إلى آسيا الوسطى ،وهم أنفسهم بدو الصحراء الأجلاف الذين ضغطوا على شعوب أوروبا الشرقيـــة والوسطى أى شعوب القوط الشرقيين[1] والقوط الغربيين[2] وغيرهم . ونتج عن ذلك هجرة كبيرة لشعوب الجرمان وغيرهم فى أوروبا ، كما أدى فى النهاية إلى إنقراض دولة الروم الغربية ذات الألف عام ، وينسب إلى سابور بناء مدينة سابور فى المرة الثانية .

الحادى عشر — أردشير الثانى (ارت خشتر) .

جلس على العرش بعد أبيه (٣٧٩ — ٣٨٢ م) ، وكان أردشير ضعيف الشخصية ، ولكنه كان حسن الطبع والخلق . ومن الحوادث التى وقعت خلال حكمه أنه ألغى كل الضرائب ، ومن هنا عرف بإسم أردشير الخير . وخلع فى السنة الرابعة بسبب رغبته فى تقليل نفوذ النبلاء العظيم .

الثانى عشر — سابور الثالث (شاه پور) .

جلس سابور بن سابور الثانى على العرش بعد أردشير (٣٨٢ — ٣٨٨ م).

---

1) Ostrogoths.

2) Wisigoths.

وأهم الحوادث التى حدثت فى عصره تقسيم أرمينية ، فقد إستفاد الروم من ضعف أردشير بعد وفاة سابور الكبير ، وأجلسوا على عرش أرمينية أحد الامراء الأشكانيين ويعرف بإسم ورزدات[1] ، وهو الذى قتل الوزير الذى عينه الروم . وثار أخوه مانويل[2] ضده ، وطلب العون من أردشير ،فأرسل له جيشا لمساندته . وأدى هذا العمل وغيره من الحوادث الأخرى إلى إشتداد النزاع بين إيران وبلاد الروم حول أرمينية ، ولكن طلبت الدولتان الصلح فى هذه المرة ، لأن أردشير لم يكن يميل للحرب ، كما كانت دولة الروم مشغولة بالشعوب المسماة بالقوط[3] ، هذه الشعوب التى إعتدت على أراضى الروم الشرقية (على أثر ضغط الهون على الشعوب الأوربية) . وأدى ذلك إلى إنتهاء المباحثات التى كانت قد بدأت أيام أردشير الثانى ، وقبل الطرفان فى النهاية تقسيم أرمينية ، فقسمت هذه البلاد — التى كانت موضع نزاع وسببا فى حروب بين إيران والروم لعدة قرون فى العصر الأشكانى وفى هذا العصر — بطريقة جعلت القسم الأكبر منها جزءا من إيران والقسم الأصغر (الغربى) جزءا من امبراطورية الروم ، سوى أنه قد عين لحكم القسمين أمراء أشكانيون من قبل إيران وبلاد الروم (٣٨٤ م) .

الثالث عشر — بهرام الرابع (ورهران) :

جلس على العرش بعد أخيه (٣٨٨ — ٣٩٩ م) . ويعرف هذا الملك بإسم كرمانشاه ؛ لأنه كان واليا على كرمان أيام أبيه . وفى عهده ثار خسرو والى أرمينية الإيرانية ، فقد عهدت إليه دولة الروم بحكم أرمينية الروم أيضا ، وكان أن اتفق خسرو هذا مع تئودس[4] إمبراطور الروم على الخروج عن طاعة

1) Varazdate
2) Manuel
3) Goths
4) Theodose

إيران . فأرسل بهرام جيشا إلى أرمينية ، وأحضره إلى إيران ، وحبسه فى قلعة فراموشى[١] . ونصب أخاه الذى يدعى بهرام سابور بدلا منه . وقد قتل بهرام أثناء الإضطرابات التى حدثت فى صفوف جيشه .

وذكر البعض أن تقسيم أرمينية يرجع إلى عهده، ويعتقدون أن هذه الحادثة حدثت فى عام ٣٩٠ م[٢] .

وفى تلك الأثناء قسم تئودوس إمبراطورية الروم إلى قسمين (٣٩٥) : القسم الشرقى ، وهو الذى عرف بالروم الشرقية أو بيزنطه . والقسم الغربى ، وهو الذى يعرف بالروم الغربية .

وكانت القسطنطينية عاصمة القسم الأول وروما عاصمة القسم الثانى . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا جاورت الروم الشرقية[٣] إيران الساسانية .

الرابع عشر — يزدگرد الأول (يزدكرت)

جلس إبن سابور الثالث على العرش فى سنة ٣٩٩ م[٤] ، ويطلق عليه فى الروايات الإيرانية لقب الأثيم (بزه كار) ، غير أن المؤرخين الاجانب يقولون أنه كان ملكا ذا إدراك طيب ومروءة . وقد سمى بالأثيم لأنه أراد الحد من نفوذ العظماء ولم يفسح المجال أمام تعصب المغان الدينى .

وقد دخلت إمبراطورية الروم الشرقية تحت حماية يزدگرد ، فعندما أحس أركاديوس[٥] إمبراطور بيزنطه بدنو أجله ، وكان ولى عهده تئودوس مازال

(١) كانت قلعة فراموشى تقع فى « ركل كرد » شرق شوشتر ، وسميت بهذا الاسم لانه لم يكن يذكر اسم المحبوسين بها مطلقا أمام الملك (راولين سن) .

(٢) نلدكه — دراسات تاريخية حول ايران القديمة .

(٣) ان لفظ (رومى) الذى استعملوه ويستعملونه هو بهذا المعنى .

(٤) يعتبره نولدكه ابن سابور الثانى .

5) Arcadius

طفلا فى المهد ، ولكى يجلس إبنه على العرش دون عقبات، ويحفظ الامبراطورية الشرقية من خطر الحروب مع إيران ، أوصى بها ليزدگرد فى وصيته ، وطلب منه حماية الإمبراطورية . وبمجرد أن اطلع يزدگرد على محتوى الوصية أرسل عالما عظيما مجربا يدعى آنتيوخوس إلى القسطنطينية حتى يعلم تئودوس ويربيه، وأعلن لمجلس الشيوخ فى بيزنطه أن عدو الامبراطور الصغير هو عدو الملك .

كبر تئودوس الثانى فى رعاية يزدگرد وجلس على العرش ، ويقال أن يزدگرد لم ينقص من فتوته ومروءته تجاه بيزنطه فى أى وقت طوال حياته ، ولم تسبب إيران أى أذى لهذه الدولة . وحتى بعد أن أرسل الإمبراطور رسوله إلى بلاط حاميه طالبا رعاية المسيحيين المقيمين فى إيران ، فقد إستقبل يزدگرد السفير المذكور — وكان من رجال الدين ذوى الدرجة الرفيعة — إستقبالا حارا ، وعدل من سلوكه تجاه المسيحيين، وأصدر أوامره بمنح الحرية لمسيحى إيران فى بناء الكنائس والعبادة كما أمر المسيح (٤٠٩ م) .

وفى تلك الأثناء ، كانت دولة بيزنطه تعانى بشدة من ضغوط شعوب قوية فتية فى الشمال ، وهى تتكون من طوائف مختلفة وتهاجم دائما القسم الشرقى والغربى من بلاد الروم نتيجة ضغط الهون عليها . كما سقطت مدينة روما عاصمة دولة الروم الغربيـــة ذات الألف سنة فى يد آلاريك عام ٤١٠ م . ويعتقد المؤرخون أن يزدگرد إستطاع فى ذلك الوقت الاستيلاء على بقية ما بين النهرين والشام الكبرى وآسيا الصغرى كذلك ولكن حب يزدگرد للصلح والمودة التى أظهرها آركاديوس تجاهه منعت قيام الحرب بين إيران وبيزنطه .

وتعد مدينة يزد من إنشاء يزدگرد : ولا يعرف محل وفاته . وقد توفى طبقا لرواية إيرانية بالقرب من نهر سو (چشمه سبزنيشابور) من رفسة فرس الماء . فى حين يظن البعض أنه مات نتيجة مؤامرة (٤٢٠ م) .

وبعد يزدگرد أراد إبنه سابور — الذى كان يحكم فى أرمينية — أن يجلس مكان أبيه على العرش . ولكن لم يمض وقت طويل إلا وقتله كبار رجال الدولة وأجلسوا على العرش أحد أقرباء يزدگرد ويدعى خسرو .

الخامس عشر — بهرام الخامس (گور) :

شب بهرام عند النعمان ملك الحيرة[1] فى قصر الخورنق[2] ، وجلس على العرش بمساندة المنذر بن النعمان . وطبقا للرواية الإيرانية فإن الأمر إستقر على إنهاء النزاع بين بهرام وخسرو على عرش السلطنة بان يوضع التاج بين أسدين، ومن يلتقطه من هذين المتنافسين يصبح ملكا ، فوفق بهرام . وفى عصر هذا الملك هاجمت شعوب جديدة من بدو الصحراء الولايات الشمالية الشرقية لإيران وباختر (بلخ) ، ولمزيد من الإيضاح لابد أن نذكر أنه فى سنة ١٦٣ ق . م ضغطت شعوب اليوئه چى على السك الذين كانوا يعيشون بين جيحون وسيحون

---

(١) كانت الحيرة مدينة تقع على بعد فرسخ من الكوفة ، واسمها ارامى بمعنى الخيام . وينسب بناؤها لبخت النصر . وكان الملوك اللخميون يحكمون هناك ايام الساسانيين وكانوا تابعين لايران . وقد قضى كسرى برويز فى سنة ٦٠٢ على هذه الاسرة وعين حاكما هناك . وسقطت الحيرة فى يد المسلمين ، وهى من ناحية المبانى اقل من الكوفة ، وقد اندثرت تماما قبل القرن العاشر الميلادى او الرابع عشر الهجرى .

(٢) يقال أن بهرام كان ينشد الشعر بالعربية نظرا لنشأته بين العرب فى الحيرة، ومن شعره عندما ظفر بخاقان وقتله قوله :

اقــول له لــمـا فضــضت جمـــوعه
كانك لم تســمع بصـولات بهرام
فانى حـامى ملك فاوس كلهــا
وما خير ملك لا يكون له حـام

وقوله ايضا :

لقــد علم الانام بــكل أرض ... بانهم قد اضـحوا لى عبيـدا
ملكت ملوكهم وقهـرت منهـم ... عـزيزهم المســود والمسـودا
فتلك أســودهم تقعى حــذارى ... وترهب من مخــافتى الـوروادا
وكنت اذا تشــاوس ملك بأرض ... عبأت له الكتــائب والجنــودا
فيعطينى المقـــادة أو أوالى ... به يشــكو السلاسل والقيــودا

(مروج الذهب ص ١٩٨ ج ١) (المترجم) .

وطردوهم إلى باختر ، ثم أخذوا منهم باختر فى سنه ١٣٠ ق . م ، فاتجه السك إلى البلاد المجاورة لها من ناحية الجنوب . وقد أخضعت طائفة من اليونه چى تسمى « كويشان » طوائف أخرى فى العصور التالية ، وأقامت دولة عرفت باسم « كوشان » ، وأقام الروم علاقات معهم لكى يسببوا متاعب لإيران .

وفى تلك الأثناء (٤٢٥ م) أغارت شعوب من بلاد ما وراء جيحون على بلاد كويشان من جديد ، وكانت هناك صلة قرابة بين هذه الشعوب وشعوب اليونه چى ، ويسميهم الصينيون باسم (يزا) والروميون (هفتــاليت) والمؤرخون الإيرانيون باسم الهياطلة . ومن المعتقد أن هذه التسمية الرومية والإيرانية لهم مأخوذة من كلمة يتاليت بمعنى الرئيس ، كما سموهم أيضا بالهون البيض .

وكان الهياطلة قوما أقوياء أشداء ، وقد سبب ظهورهم فى هذه الناحية من جيحون وإحتلالهم لباختر (بلخ) ذعرا فى الشرق (٤٢٥ م) ، وإضطرب الإيرانيون من هجماتهم .

ولكى يخفى بهرام حركته ناحية شمال إيران وشرقها توجه أولا إلى آذر — بايجان ، ثم تحرك فى جوف الليالى ، فوصل بسرعة محيرة إلى الهياطلة ، ودخل فى حرب معهم فى طليعة الصباح ، فقتل خاقانهم وإستولى على غنائم كثيرة . ثم تعقب الهياطلة حتى نهر جيحون ، وعبر النهر المذكور ووجه إليهم ضربة كانت من الشدة بحيث أنهم لم يتجهوا ناحية إيران مرة أخرى طوال حكم بهرام . وتم تزيين بيت نار آذركشتاسب المشهور بمدينة شيز[1] بتاج خاقان الهياطلة الذى كان ضمن الغنائم .

---

(١) شيز هى نفسها كنزك ، وكانت لاذربايجان فى ذلك الوقت عاصمتان : كنزك واردبيل ، وكنزك هى تخت سليمان الحالية .

الحرب مع بلاد الروم الشرقية :

كان السبب فى قيام هذه الحرب — كما ذكر مؤرخو اليونان — هو ما كان يتعرض له المسيحيون المقيمون فى إيران من أذى ، وفرارهم من تعصب المغان ، وذهابهم إلى بيزنطه ، فطلب بهرام تسليمهم . ولما علم تئودوس أنهم سيتعرضون لعقوبات شديدة إمتنع عن تسليمهم ، فأمر بهرام بحبس العمال الروم الذين كانوا يعملون فى صناعة الذهب والفضة ومصادرة أموالهم فى إيران . وعلى أثر ذلك تضاعفت الأزمة ، وإنتهت بقيام الحرب .

دخل مهر نرسى ، وهو من عظماء الطبقة الأولى فى إيران ويصل نسبه إلى ويشتاسب والد داريوش الكبير (دارا) ، فى حرب ضد جيش بيزنطه قرب نصيبين، ولكنه لم يحقق إنتصارا . عندئذ أسرع بهرام لمساعدة نصيبين . وبمجرد أن علم القائد الرومى بهذا أحرق كل أدوات الحصار ومعداته وإنسحب إلى الأراضى الرومية . وحاصر بهرام تئودوسيوپوليس التى تعرف اليوم باسم أرزروم[1] ، ولكنه لم ينجح فى السيطرة عليها .

إستمرت الحرب بعد ذلك فى السنة التالية (٤٢٢ م) ،ورغم أن الإيرانيين لم يوفقوا فيها إلا أنهم سرعان ما عوضوا خسائرهم . وتعب الروم فى نهاية الأمر فطلبوا عقد صلح ،وتم عقد معاهدة مدتها مائة عام كان من بنودها حرية الديانة المسيحية فى إيران وحرية الديانة الورتشتية فى الروم . وطبقا لشرط آخر من شروطها تعهدت دولة الروم بدفع مبلغ سنوى لدولة إيران لرعاية الحاميات القوية فى قلعة داريال بالقفقاز ، حتى يمنعوا بذلك إعتداءات سكان الشمال على حدود إيران والروم . ولم تنفذ المادة الخاصة بحرية الديانة المسيحية بسبب

---

(١) كانت هذه المدينة تسمى فى البداية باسم كارين ثم تحول الى كالاك . وفى منتصف القرن الخامس الهجرى خرب السلاجقة مدينة ارزن الواقعة فى شرق هـــذه المدينة ، وهاجر سكانها الى كالاك وسميت ارزن الروم ، ثم صارت بعد ذلك ارز الروم وأرزروم ومن ثم فان اسم هذه المدينة هو ارزروم ، (ارضروم) .

معارضة المنان . وتوفى بهرام سنة ٤٣٨ م ، ويقال أنه سقط فى مستنقع . وقد أطلقوا عليه لقب بهرام گور لأنه كان مغرما بصيد حمار الوحش . وقد نظم نظامى الگنجوى كتاب « هفت گنبد » عن هذا الملك[١] . وكانت الهزيمة التى حاقت بالهياطلة على يد بهرام ذات أهمية كبيرة بالنسبة لإيران فى ذلك الوقت .

وفى عهده طلب عظماء أرمينية تعيين حاكم ، لأنهم لم يرغبوا فى أن يكون ابن بهرام سابور ملكا على أرمينية ، وأن تصير هذه البلاد إحدى ولايات إيران . وطبقا للروايات الإيرانية ، توجه بهرام إلى الهند بعد إنتصاره على الهياطلة ، فسلم إليه ملك الهند ولايتى السند ومكران فى مقابل إبعاد خطر الهياطلة الذين كانوا يشكلون خطرا عظيما على هذه البلاد . وأحضر بهرام معه من هناك إثنى عشر ألف شخص من اللوريين[٢] للعزف والغناء فى إيران .

---

(١) نظم الشاعر نظامى الكنجوى هذه القصة فى عام ٥٩٣ هـ ، وجعل بطل منظومته من بين ملوك الفرس القدماء وهو بهرام كور أو بهرام الخامس ، وصوره من ناحيتين ، ناحية عامة تتعلق بحروبه وفتوحاته ، وناحية خاصة تتصل بحبه وزواجه وحياته العائلية ، وربط بين الناحيتين ربطا وثيقا . وتسمى أيضا «هفت بيكر» اى الصور السبع ، وهى الصور التى اكتشفها بهرام فى غرفة سرية فى قصره ، وقد تبين له أنها صور سبع أميرات من بلاد مختلفة يتميزن بالجمال والحسن ، فلما رأى صورهن وقع فى حبهن جميعا ، فلما مات أبوه وتولى العرش مكانه ، كان أول ما فعله أن جد فى طلب هؤلاء الاميرات من ابائهن ، واستطاع أن يحقق رغبته بالزواج منهن جميعا . وقد أسكن كل واحدة من هؤلاء الاميرات السبع فى قصر مستقل ، جعله فى لونه يمثل اقليما من الاقاليم السبعة التى ينقسم اليها الكون ، ثم أخذ فى زيارتهن بالتناوب فى سبع ليال متتالية ، وتحتفى به كل أميرة خير احتفاء بأن تسرد له ليلة مبيته عندها جملة من الحكايات الممتعة كالتى نجدها عادة فى قصة ألف ليلة وليلة .

أنظر نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة للدكتور عبد النعيم حسنين ص ٣٢٣ وما بعدها ، وتاريخ الادب فى ايران من الفردوسى للسعدى لبراون ــ الترجمة العربية ص ٥٢١ . (المترجم) .

(٢) لورى أوكولى تعنى طائفة من الهنود الراقصين والمغنين الذين قدموا الى ايران فى عصر بهرام كور ، ويقال لهم بالفارسية كذلك لولى . (المترجم) .

ولا نعرف مدى صحة هذه الروايات ، ولكنها تبين وجود علاقات بين إيران والهند فى ذلك العصر .

السادس عشر — يزدگرد الثانى (يزدكرت) :

جلس على العرش بعد أبيه ، وقد منعته غارات الهياطلة على الولايات الشمالية والشرقية الإيرانية من الإهتمام بأمر الروم . وفى ذلك الوقت كانت الديانة المسيحية قد إنتشرت فى أرمينية ، وأراد يزدگرد أن يجعل الزرتشتية دينها حتى لا تنفصل عن إيران ، ولكن الخط الذى كان قد إخترعه ميسروب الأرمنى (٣٩٧ م) قوى أسس القومية لدى الأرمن ، وشجعهم على المقاومة والصمود .

وقد نشر وزير إيران مهر نرسى إعلانا رفض فيه مبادىء الدين المسيحى ، وكتب كبار رجال الدين الأرمن إعتراضا على هذا الرفض ، وثار بعد ذلك الأرمن .

وهنا أسرع يزدگرد إلى أرمينية بعد أن أنهى حروبه فى الشرق مع الهياطلة ونشبت حرب دموية فى آوارائير ، وقتل قائد جيش الروم واردان مامى كنى ، وأسر زعيم رجال الدين الأرمن مع عشرة من كبار القساوسة . وساد الهدوء بعد ذلك وأشعلت النيران فى بيوت النار . وكانت الردة التى حدثت عن المسيحية وإعتناق الدين الزردتشتى ناتجة عن عدم تأصل الدين المسيحى بين عامة الشعب فى ذلك الوقت . ومن أحداث سلطنة يزدگرد تلك المعاهدة التى عقدها مع الروم الشرقية ، وتعهد تئودوس بموجبها بعدم اقامة تحصينات بالقرب من الحدود الإيرانية ، وقبل كذلك دفع مبلغ سنوى حتى ترعى إيران حامية قوية فى دربند (قفقازية — على شاطىء بحر الخزر) حتى تمنع سكان الشمال من الإعتداء على حدود إيران والروم الشرقية . ولم يوفق يزدگرد فى حروبه مع الهياطلة ذلك التوفيق الذى كان لبهرام گور ، ولكنه رغم ذلك وفق فى منع غاراتهم على حدود إيران . وقد إستمرت هذه الحروب من سنة ٤٤٣ حتى سنة ٤٥١ م .

السابع عشر — هرمز الثالث — (أهُو رمزد) :

جلس على العرش بعد أبيه ، لأن أخاه الأكبر فيروز كان فى سيستان بعيدا عن العاصمة (٤٥٧ م) ، وعلى أثر هذا الخبر ذهب فيروز إلى خان الهياطلة وإستعاد العرش من أخيه بمساعدته .

الثامن عشر — فيروز الأول (پيروز)

جلس على العرش بعد أخيه (٤٥٩ م) ، وفى عهده حدث قحط كبير فى إيران ، وإستمر عدة سنوات . ولكن فيروز أدار البلاد بحكمة ؛ إذ خفف الضرائب ووفر المؤن والغلال من خارج البلاد للشعب ، وقرر مساعـــدة الأغنياء للفقراء .

وفى ذلك العهد نشأ الإحتفال بعيد المطر (آب ريزگان)[1] كتذكار للأمطار التى سقطت .

ولم تقم الحرب فى عهده ضد بيزنطه ، إذ شغلت الدولتان كلتاهما بشعوب الشمال القوية التى أغارت على بلادهما ، فقد أغار الهياطلة على إيران وأغار الهون وغيرهم على بلاد الروم الشرقية . وحدث أن إستفاد الآرانيون (الألبان)[2]

---

(١) هو عيد قديم عند الايرانيين يحتفلون به فى الثالث عشر من شهر تير ، وهو عيد رش الماء ويروى الكرديزى فى كتابه « زين الاخبار » سبب الاحتفال بهذا العيــد فيقول : « ·· وسبب ذلك أن الامطار امتنعت عن ايران فى عهد فيروز بن يزدجرد جد انو شيروان العادل · فذهب فيروز الى بيت النار المسمى باذرخوره وتعبد كثيرا وقدم الصدقات للفقراء · وتضرع لله تعالى وتوسل اليه كثيرا الى أن سقطت الامطار ·· » (المترجم) ·

أنظر زين الاخبار ص ٢٤٧ طبعة بنياد فرهنك ايران ·

(٢) كانوا من أريى ايران ، وسكنوا فى المنطقة الواقعة بين نهر كورا وبحــر الخزر ودربند وأرس ، وسماهم الاوربيون بالالبان أيضا · ولذلك لا يجب الخلط بين هذه الشعوب وبين ألبان شبه جزيرة البلقان أو شعب ارناؤوطستان ، فهم ليســـوا من أريى ايران بل هم شعبة مستقلة من الفروع الهندية الاوربية ·

من الحرب التى وقعت بين هرمز وأخيه فيروز ، فتمردوا ثم خضعوا من جديد لإيران نتيجة مابذله فيروز .

حروب الهياطلة :

بعد أن فرغ فيروز من هذه المشاكل إتجه إلى النواحى الشرقية من إيران حتى يشتبك فى حرب مع الهياطلة ولكنه لم يوفق ، فطبقا للروايات الإيرانية رضى ملك الهياطلة ، الذى يسميه بعض المؤرخين آخ شنواز ويسميه البعض الآخر خشنواز ، بالصلح بشرط أن يزوجه ملك إيران إبنته . فقبل فيروز ولكنه أرسل له جارية بدلا من إبنته ، وأدرك خشنواز تلك الخدعة ، فطلب من ملك إيران أن يرسل له عددا من كبار الإيرانيين لتعليم جنوده وإعدادهم للحرب . عندئذ أرسل فيروز ثلاثمائة من كبار رجال الدولة ، فقتل خشنواز بعضهم وأصاب الباقين بعاهات وأعادهم إلى فيروز مع رسالة يبلغه فيها بأن هذه الفعلة هى الرد على الخدعة التى قام بها الملك . وهكذا بدأت الحرب الثانية بين الهياطلة وفيروز .

هجم فيروز هذه المرة من ناحية جرجان فأسر . وتفصيل ذلك كما جاء فى الروايات الإيرانية التى ذكرها الطبرى أن خشنواز سحبه بالخدعة إلى واد ليس له مخرج ، وعندما دخل فيروز بجيشه هذا الوادى سد مدخله . ولم يكن هناك بد أمام فيروز سوى بدء مباحثات الصلح ،وقبل خشنواز الصلح الأبدى بشرط أن يخر ملك إيران صاغرا أمامه على الأرض . وكان قبول هذا الشرط من جانب فيروز أمرا صعبا جدا ، لكنه لما لم يجد بدا من ذلك قبل وقال له أحد الموابذة مطيبا خاطره : إن هذه الحركة من جانب الملك تعنى عبادته للشمس . وفى النهاية غضب فيروز من سلوك خشنواز المتسم بالإهانة ،فصمم على الخروج من هذا الشرك .

ولما كان قد إتفق فى المعاهدة، وكذلك أقسم فيروز على ألا يتجاوز المنارة، فقد إنتزعوا هذا العمود بأمر الملك وحركوه فى مقدمة الجيش . وبهذه الطريقة

توجه فيروز إلى بلخ بجيش كبير وخمسمائة فيل ، ولكن الهياطلة سدوا عليه الطريق وقالوا لجنوده إنهم إذا حاربوا فإن القسم الذى أقسمه ملك إيران بألا يتجاوز تلك المنارة سيمنعهم . ولهذا إنفصل نصف جنود فيروز عنه ، وبدأ الحرب بالنصف الباقى وسقط مع جنوده فى خندق كان خشنواز وجنوده قد حفروه على رأس الطريق وأخفوه ، ولقوا جميعا حتفهم (٤٨٣ م) .

وأحداث هذه الواقعة متناقضة ، وأغلبها يشبه الأساطير ، فمثلا إذا كان فيروز قد حوصر فى واد فكيف تأتى له جمع خمسمائة فيل ، وإذا كانت الأفيال معه فلماذا لم يستول عليها خشنواز بعد حصار فيروز ؟ شىء آخر ، إذا كان جيش خشنواز قد سد مدخل هذا الوادى ، ولم يكن له مخرج فكيف تسنى لفيروز الذهاب إلى بلخ ؟ . كذلك تبدو مسألة المنارة شيئا خرافيا . وحقيقة الامر يجب أن تكون على النحو التالى : أغار فيروز على الهياطلة من ناحية كركان ولم يوفق ، فأراد أن ينسحب بعد ذلك ، فضل الطريق فى صحراء آخال الحالية بدون ماء ولا علف ، وحوصر بعد ذلك فى موضع ما وقتل أثناء القتال .

ولا يجب أن تكون مسألة إرسال جارية إلى خشنواز بدلا من أخت فيروز صحيحة كذلك ، ولهذا السبب إختلقوا هذه الرواية وهى أن تزويج خان الهياطلة غير المتحضر من إبنة ملك إيران كان أمرا عسيرا على الإيرانيين .

شيد فيروز سورا فى كركان إمتد من بحر الخزر على إمتداد نهر كركان من الناحية الشمالية حتى يكون سدا فى مقابل الهياطلة . وتعرف بقاياه اليوم بإسم سد الإسكندر .

وفى عهد فيروز ثارت أرمينية . وإنتخب لحكمها ملك يدعى ساهاك ، ويرجع سبب هذه الثورة إلى تعصب المستخدمين الإيرانيين ومعاداتهم للدين المسيحى ، ولحق الكرجيون بالارمن أيضا ، غير أن القائد الإيرانى زر مهر قاد جيشا على نفقته إلى أرمينية وذلك فى غياب فيروز ، وقاتل ساهاك وقتله . وخمدت الفتنة مؤقتا لكن الاوضاع الحقيقية لهذه البلاد لم تكن على ما يرام .

التاسع عشر — بلاش (ولگاش) :

حكم بعد أبيه (٤٨٣ — ٤٨٧) . وقد أمر حاكم سيستان سوخ بالدخول فى مفاوضات مع خشنواز وعقد صلح معه . ولكى يوفق هذا الحاكم فى مفاوضاته أعد جيشا ثم بدأ المفاوضات .

ووافق خشنواز على إعادة الأسرى والغنائم التى كان قد غنمها من جيش فيروز مع فيروز دخت إبنة فيروز وزوجاته ، وعلى عقد الصلح مع إيران بشرط أن تدفع مبلغا سنويا .

وقبل البلاط الإيرانى هذا الإقتراح (٤٨٣ — ٤٨٥ م) . ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا المبلغ كان يدفع لمدة عامين . وإهتم بلاش بشئون أرمينية بعد استرداد الأسرى ، وطلب واهان قائد الأرمن من الملك أن يعلن حرية الدين المسيحى فى أرمينية ، لكن بلاش لم يوافق فى بداية الأمر . وفى غمرة هذه المشاكل تعرض بلاش لكارثة حرب أهلية ، ذلك أن أخاه زارن طالب بعرش السلطنة . فأسرع واهان بكل قواته لمساعدة الملك . وكان أن قبل بلاش رغبة واهان بعد أن إنتهى من هذه الحرب ، وصار الدين المسيحى دينا رسميا فى أرمينية وكرجستان . وأصبحت هاتان الدولتان حليفتين لإيران سرا .

العشرون — قباد الأول (كوات) :

قباد هو إبن فيروز . أراد أن يستولى على العرش أيام حكم بلاش لكنه لم يوفق .

وهرب إلى خشنواز ، فاستقبله خان الهياطلة بحفاوة بالغة ، وأعد له جيشا بعد ثلاث سنوات لكى يحارب بلاش . لكن بلاش مات فى تلك الأثناء (٤٨٧ م) .

وقبل عظماء إيران تولى قباد للعرش، وقد حكم هذا الملك مرتين خلال سنتى ٤٨٧ و ٥٣١ م، وأهم أحداث عصره ما يلى :

إهتم قباد فى بداية الأمر بشعوب الخزر، وهم شعوب من الجنس الأصفر الذين إختاروا الإقامة على السواحل الغربية لبحر الخزر، وإشتغلوا بالتجول فى الصحراء والاغارة على البلاد المجاورة لهم، وكانوا غالبا مايفدون إلى وادى نهر كورا (كوروش القديم)، فدخل قباد معهم فى حرب وإنتصر عليهم وقتل عددا كبيرا منهم، واستولى على غنائم لا حصر لها .

ظهور مزدك — خلع قباد وعودته إلى الحكم :

كان مزدك بن بامداد من أهالى نيسابور (يعتقد البعض أن مزدك من مكان تعرف أطلاله اليوم باسم تخت جمشيد) . وقد جاء هذا الشخص بدين سيأتى الحديث عنه فى موضعه، وخلاصته أنه يجب أن تكون الأموال والنساء شركة، وقد قبل قباد دينه فى أول الأمر بهدف الحد من نفوذ النبلاء ورجال الدين . ولكن ضاعت هيبته بعد ذلك بين الناس، فإجتمع النبلاء ورجال الدين على أثر ذلك وخلعوه، وأجلسوا أخاه جاماسب على العرش . وبلغ الغضب بالناس إلى درجة أنهم أرادوا قتله بادىء الأمر، لكن جاماسب منعهم من هذا التفكير وحبسه فى قلعة فراموشى — النسيان — (٤٩٨ م) .

هرب قباد من محبسه بمساعدة زوجته وذهب إلى الهياطلة، ثم عاد إلى إيران بمساعدتهم . ولما لم يقاومه جاماسب، جلس على العرش من جديد (٥٠١ م) .

ولم يتبع مزدك فى هذه المرة رسميا . وقد ذكر البعض أنه كان يؤمن به سرا، لكن سلوكه بعد فترة يكذب هذا .

الحرب مع بيزنطة :

كان قباد قد تعهد فى مقابل مساعدة الهياطلة له بدفع مبلغ إضافى، ولكن

لم يكن بالخزانة ما يكفى لهذا. وفى هذه الظروف تذكر قباد أنه يجب على دولة الروم الشرقية أن تدفع مبلغا سنويا للمحافظة على الحامية القوية فى دربند طبقا للمعاهدة الأخيرة التى عقدت بين يزدگرد الثانى وتئودوس إمبراطور بيزنطه ومدتها ستون سنة ، ولم تدفعه فى وقت الصلح . لذا طالبهـــا بالأقساط وتملل آناستاس[1] إمبراطور بيزنطه بأنه طالما أن إيران لم تطالب بهذا الحق فى حينه فإن مرور الوقت يسقط حقها . وعلى أثر هذا الرد بدأت الحرب بين الدولتين ، ولكى لا يعطى قباد مجالا للعدو حتى يعد نفسه دخل بسرعة مدهشة أرمينية الروم ، وحاصر ارزروم واستولى عليها ، ثم استولى بعد ذلك على آمد (ديار بكر) أيضا ، واشتبك فى معركة مع جيوش بيزنطه وهزمها . وما كاد يقترب من عقد صلح مع الروم بشروط صعبة إلا ووصله خبر هجوم الهياطلة على شمال شرق إيران ، فاضطر إلى التوجه إلى هذه الناحية . وبمجرد أن علم الروم بما يواجهه من مشاكل حاصروا آمد ونصيبين . وأخيرا إلتقى سفير من قبل قباد بالروم ، وعقد هدنة لمدة سبع سنوات ، ودفعت بيزنطه مبلغـــا إلى إيران وأعادت آمد[2] .

وفى سنة ٥٠٦ م قبلت دولة الروم الشرقيـة دفع مبلغ سنوى لدولة إيران للحفاظ على الحامية القوية فى قلاع القفقاز . ثم إتجه قباد إلى الهياطلة فحاربهم لمدة عشر سنوات ، وانتصر نصرا مؤزرا أبعد خطرهم عن إيران بعد ذلك (٥٠٣ — ٥١٣ م) .

الحرب الثانية مع بيزنطه :

بعد أن فرغ قباد من حرب الهياطلة إتجه إلى بلاد الروم الشرقية ، ذلك أن كرجستان ثارت على إيران فى ذلك الحين ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن

---

1) Anastase

(٢) بلغ المبلغ الذى دفع لايران الى الف ليبرا ذهبا ، والليبرا تزن خمسة وستين مثقالا حاليا .

قباد إتبع السياسة السابقة للبلاط الإيرانى بالنسبة لتعقب المسيحيين وتقييدحرية دينهم التى كانت قد منحت لهم فى عصر بهرام كور ، وأدت هذه السياسة إلى لجوء كركين ملك كرجستان إلى الروم . وكان الروم قد إستفادوا من قبل من اشتغال قباد بحربه مع الهياطلة، فأقاموا قلاعا على حدود إيران (منها مدينة دارا بالقرب من نصيبين) فاعترض الملك ، لكن الإمبراطور لم يعطه جوابا شافيا .

تحالف بعد ذلك جوستين[1] مع الهون الذين كانوا يقيمون فى شمال القفقاز ضد إيران ، وإستمال إلى جانبه أيضا لازيكا (كان القسم الغربى لكرجستان الحالية على شاطىء البحر الأسود يعرف بإسم لازيكا) وفى سنة ٥٢٦ م دخلت الجيوش الإيرانية كرجستان ولازيكا واحتلت هذه المناطق .

قدم الروم أيضاً إلى أرمينية إيران ، ولكنهم لم يوفقوا هناك ولا فى مابين النهرين . فقامت الحرب من جديد بعد سنتين وهزم بى ليزار[2] قائد بيزنطه الشهير . ونتيجة لهذهالظروف أضاف جوستنيان[3] ألفين من الجنود علىالجيش الرومى ، وأخذ جيشا متطوعا من الشعوب الشمالية المعروفة باسم (ماساژت) وإستعد لحرب جديدة .

ذهب القائد الإيرانى فيروز مهران إلى دارا ، وهناك نشبت الحرب بين الفريقين ، فأظهر رماة السهام الإيرانيون مهارة فائقة ، وعندما نفذت سهامهم قاتلوا الروم وجها لوجه ، فإنتصروا على ميمنة الجيش الرومى وميسرته . غير أن الماساژتيين كانوا يعضدون الروم فى المرتين، فانسحب الإيرانيون ، وكانت خسائر الروم كبيرة لدرجة أن بى لى زار لم يتعقبهم .

---

1) Justin
2) Bilisare
3) Justinien

وقد كانت لهذه الحرب أهمية كبيرة رغم أنها إنتهت بإنتصار الروم فى الظاهر ، ذلك أنها أثبتت أن جيش بيزنطه كان ضعيفا بالنسبة لسابق عهده ، ومن المؤكد أنه كان سيهزم لولا مساندة الماساژتيين له . والواضح أن الإيرانيين كانوا قد تقدموا فى فن الحرب بالنسبة للعصور السابقة . ولهذا السبب أثارت مقاومة الإيرانيين وإنضباطهم العسكرى دهشه بى لى زار القائد البيزنطى الشهير .

وفى سنة ٥٣١ م توجه جيش إيران إلى سورية، وقطع بى لى زار الطريق على الإيرانيين بجيشه المكون من طوائف رومية وغير رومية. فأدى ذلك إلى نشوب معركة فى كالينيكوس[1] هزم فيها الجيش الرومى . غير أن الإيرانيين لم يستفيدوا أى فائدة تذكر من هذه المعركة ، إذ سرعان ما وصل خبر موت قباد ، فتحركت الجيوش الإيرانية إلى ناحية دجله .

والخلاصة أن حروب قباد مع الروم لم تؤد إلى نتيجة تذكر ، ومن ثم ظل الطرفان على أوضاعهما التى كانا عليها قبل الحرب . وعموما يجب القول بأن الحروب التى قامت بين إيران والروم أو العكس منذ عصر قباد وماتلاه قد أضعفت دولتين قويتين كانتا صاحبتا نفوذ وسيطرة فى العالم آنذاك ، ومهدت السبيل للفتوحات العربية .

أتباع مزدك :

ثار أتباع مزدك فى أواخر حكم قباد وأجبروا الملك على ترك الحكم لإبن من أبنائه يدعى كيوس[2] ، لأنه كان قد وعد بإعلان الديانة المزدكية دينا رسميا .

---

1) Callinicus

(١) ذكر المؤرخون الاجانب اسمه : فثاسوارسا · ويعتقد الباحثون انه تصحيف ليثشخوار شاه وانه لقب · وپتشخوار جبل من جبال البرز بين سارى ودامغان ·

وقد أظهر قباد شعورا طيبا فى بداية الأمر، ولكنه غافل أتباع مزدك بعد ذلك ودعاهم إلى إحتفال وقتلهم جميعا بمساعدة إبنه خسرو (كسرى انوشيروان فيما بعد) ماعدا مزدك الذى فر (٥٢٩ م) .

وتوفى قباد فى سن الثانية والثمانين من عمره (٥٣١ م) ، وكان إعتناقه لدين مزدك لخدمة سياسية وهى الحد من نفوذ النبلاء ورجال الدين . ولما وصل قباد إلى مراده بعد ذلك قضى عليهم ، ويقال أن أحدا من ملوك الساسانيين لم يشيد مدنا بقدر ماشيد هو ، ومن هذه المدن مدينة كازرون فى فارس ومدينة كنجه فى قفقازية . وقد بدأ فى عهده كذلك حصر الأملاك بهدف تعديل الجباية ومنع إعتداءات موظفى الدولة وظلمهم ، وأتم ذلك أنو شيروان .

الحادى والعشرون — خسرو الأول انو شيروان العادل (خسراو آنوشك ربان) .

يقول الطبرى : عندما فر قباد وذهب إلى الهياطلة ، تزوج إبنة دهقان فى نيسابور وولد له منها خسرو . وكان قباد يحبه حبا جما ، ذلك لأن مولده صادف موت بلاش وإنتهاء الحرب الأهلية ، فتفاءل بهذه المصادفات . ولما كان لقباد أبناء آخرون أقرب لعرش السلطنة من خسرو ، فقد رأى فى أواخر حياته أن يودع إبنه خسرو عند جوستين إمبراطور الروم حتى يجلس على العرش بعد موته بمساعدة القيصر ، وذلك كما فعل من قبل إمبراطور الروم اركاديوس الذى أودع إبنه تئودوس عند يزدكرد الاول وأقدم على ذلك لتحقيق هدفه .

لكن الإمبراطور رفض طلبه، ويرجع السبب فى ذلك إلى إحتمال توفر ظروف الإستفادة للروم فى المستقبل ، وحينئذ يضطر الامبراطور للتضحية بالسياسة فى سبيل الوفاء بوعده ، كما حدث ليزدكرد فى مثل تلك الظروف . وظل الأمر على هذا المنوال إلى أن توفى قباد ، واشتعل النزاع بين خسرو وأخويه كيوس وجام على العرش . الا أن عرش السلطنة وتاجها كانا من نصيبه بسبب مساعدة

مهبود الذى كان وزيرا ، وسرعة تصرف خسرو . ويجب تقسيم أعمال خسرو الهامة إلى قسمين :

السياسة الداخلية :

أولى خسرو إهتماما بالغا فى بداية الامر الى اخراج ايران من حالة اضطراب الفكر واعادتها الى حالتها الطبيعية . وذلك أن مذهب مزدك كان قد انتشر فى أنحاء ايران ووجد له أنصارا الى حد انقسام الناس الى فريقين أحدهما مزدكى والثانى غير مزدكى حتى فى أرمينية المسيحية ، ودب النزاع بينهما فرأى خسرو ضرورة اتخاذ ما يلى :

أولا : القضاء على مزدك وأتباعه وإزالة الاسباب التى أدت إلى تقدم هذه الديانة ، ومن ثم قام بالقضاء على زعيم هذه الديانة وأتباعه من ناحية ، وبعمل إصلاحات هامة من ناحية أخرى . وكان مزدك قد بقى سالما بعد فراره فى عصر قباد ، ولكن قبض عليه بأمر خسرو وقتل مع عدد كبير من أتباعه . وعندما علم خسرو بعد ذلك أن من أسباب إنتشار هذا الدين وتقدمه سنوات القحط التى حدثت أيام فيروز وإعتداءات عمال الدولة على الشعب وسيطرة النبلاء ورجال الدين وتفوذهم الكبير ، قام بإصلاحات بدأها بتعديل الضرائب . والخلاصة فإنه على أثر الإصلاحات التى تمت بجهد خسرو وكفاحه أمر بأن تكون الضرائب عشر المعلوم ثم خفضها ثانية ، وسيأتى بيان ذلك فى موضعه .

ثانيا : أرسل القضاة إلى الولايات لكى يحققوا فى شكاوى الناس ويحولوا دون ظلم عمال الدولة .

ثالثا : قسم إيران إلى أربعة أقسام لسرعة تنفيذ الاحكام ومنع نفوذ الاقوياء وعين على كل قسم حاكما ذا كفاءة عالية . ويطلق على كل قسم من

هذه الأقسام پادگس[1] وعلى الحاكم إسم پاذگس بان .

رابعا : حول الجيش غير النظامى إلى جيش دائم ، وقرر للجند والقادة رواتب ومؤن .

وكان الملك بالإضافة إلى هذه الإجراءات يحقق فى المسائل القضائية بنفسه وكانت الأحكام التى يحكم بها تنفذ على وجه السرعة فى أنحاء إيران .

وبعد أن قام خسرو بإصلاح حال الجيش والبلاد إتجه إلى المعارف كما سيأتى فى موضعه .

أما عن أمن البلاد ، فبالإضافة للحروب التى خاضها خسرو ضد سكان الصحراء كالهياطلة والخزر وغيرهم وأدت إلى خضوعهم له أو هزيمتهم على يديه ، فإنه شيد قلاعا وأسوارا متعددة للحيلولة دون هجماتهم مثل سد دربند[2] فى قفقازية وقلاع گرگان وأترك وغيرها .

ومن أعمال خسرو أيضا عنايته الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة ، فقد أعطى الزراع الأرض والبذور والحيوانات المستأنسة حتى تتقدم الزراعة ، وأمر بأن يتزوج كل رجل حتى يزداد عدد السكان ، كما عاقب المتسولين والمتشردين ، ومهد الطرق لإزدهار التجارة ، وإستقبل المسافرين الأجانب بترحاب ومودة . ولما كان خسرو قد أمن بأعماله راحة إيران ورفاهية أهلها ، لذلك سمى بأنوشه روان (الروح الخالد)[3] .

---

(1) Padhgos

(٢) كانوا يسمون سد دربند فى العصر الأسلامى باسم باب الابواب .

(٣) يذكر المسعودى أن انو شروان كان يدعى كسرى الخير وأن الشعراء قد ذكروه فى اشعارهم ، ومن هؤلاء عدى بن زيد العبادى الذى قال :

اين كسرى خير الملك أنوشر	وان ؟ أم أين من قبله سابور
لم يهبه رب المنون فولى الما	ك عنه قبابة مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف	ف فالوت به الصبا والدبور

مروج الذهب ص ٢٠٢ جـ ١ . (المترجم) .

السياسة الخارجية :

عندما جلس خسرو على العرش ، لم تكن الأوضاع تستدعي أى خصومة مع بلاد الروم الشرقية مطلقا . فقد كان خسرو يعلم تماما أنه يجب القيام بالاصلاحات الداخلية بادىء ذى بدء ، وأن يعيد البلاد إلى حالتها الطبيعية وكذلك الحال بالنسبة لجوستنيان إمبراطور بيزنطه الذى كان مشغولا بشئون إيطاليا وأفريقيا ، وكان قائده أو بى لى قد تقدم تقدما عظيما ، لذا لم يكن يود أن يصبح طرفا مع إيران فى المشرق . فعقدت الدولتان معاهدة بالشروط التالية:

١ — أن تدفع دولة بيزنطة مبلغا سنويا لدولة إيران ، وأن ترعى دولة إيران حامية قوية فى دربند والأماكن الأخرى فى القفقاز[1] (تجنبت دولة الروم إحتواء المعاهدة على مثل هذه المادة ، إذ تصورت أن دفع مبلغ سنوى لإيران يعتبر نوعا من الجزية) .

٢ — أن يبقى كل ما كان تحت سيطرة الطرفين من ولاية لازيكا قبل حرب قباد مع الروم الشرقية كما هو . (هكذا كانوا يسمون كرجستان الغربية الحالية وكانوا يسمونها قديما بإسم كاشيد) .

٣ — يمكن للروم حكم مدينة دارا ، ولكن لا ينبغى جعلها مركزا لقواتهم فى ما بين النهرين .

٤ — أن تتحد إيران وبيزنطة (٥٣٢ م) .

وقام جوستنيان بعد هذا الصلح بفتوحات فى إيطاليا وأفريقيا ، وأحرز إنتصارات عظيمة على يد قائده الشهير بى لى زار .

---

(١) كان هذا المبلغ احد عشر الف ليبرا ذهبية ، والليبرا تزن ٢٢٥ جراما او ٦٥ مثقالا تقريبا .

فكر خسرو فى المكاسب التى حصلت عليها الروم ، وكان يعتقد أن قوة الامبراطورية الشرقية تشكل خطرا على إيران ، فأراد فى بادىء الأمر أن يطلب تعويضات من جوستنيان ، ولكنه إنصرف عن هذا التفكير لأنه كان يشكل مانعا دون تنفيذ هدفه الأصلى وهو الحيلولة دون قوة بيزنطة ، فقرر الحرب .

الحرب الأولى مع بيزنطة .

كان لابد من وجود سبب لقيام الحرب ، وسرعان ماتوفر لخسرو هذا السبب ، إذ حدث نزاع بين الملكين العربيين الحارث بن جبلة والمنذر بن النعمان . وكان الأول ملكا على غسان وتحت حماية الروم الشرقية ، وكان الثانى حاكما على الحيرة وهو من ملوك اللخميين ويتبع إيران . فتدخل جوستنيان فى النزاع القائم بينهما ، وجعل من نفسه حكما دون الرجوع إلى دولة إيران . واستفاد أنوشيروان — الذى كان يبحث عن ذريعة — من هذه القضية ، فعبر دجلة بجيش جرار ، وهجم على ما بين النهرين . ثم عبر الفرات بسرعة واتجه ناحية الشام ؛ واستولى على أنطاكية التى كانت عروس مدن آسيا الغربية . وأحضر من هناك غنائم كثيرة ، فاضطربت دولة بيزنطة التى كانت مشغولة بالحرب فى أماكن أخرى . وكانت هذه الضربات مفاجئة لها . وبدأت مفاوضات الصلح بعد ذلك من جانب الروم ؛ وقبل أنوشيروان إقتراحهم بعد أن كان قد وصل إلى تحقيق مراده . واشترط للصلح ما يلى :

أولا : أن تدفع دولة بيزنطة خمسة آلاف ليبرا ذهبا (٣٢٥٫٠٠٠ مثقالا من الذهب) كغرامة للحرب .

ثانيا : أن تدفع إلى إيران مبلغ خمسمائة ليبرا من الذهب سنويا لرعاية قوات الحامية فى قلاع القفقاز (٥٤٠ م) .

ولم يدم هذا الصلح أيضا ؛ وبدأت الحرب من جديد فى لازيكا كما سيأتى .

ويقال أن مدينة أنطاكية حازت إعجاب أنو شيروان إلى درجة أنه أقام مدينة مشابهة لها على يد اليونانيين بالقرب من طيسفون (المدائن) ، عرفت بإسم (به از انديو خسرو)[1] .

الحرب من أجل لازيكا :

نظرا لجوار إيران وبيزنطة للازيكا فقد كان يحس نفوذ كلا الدولتين هناك تماما ، وكانت بلاد الروم قد عينت حاكما على مدينة پترا[2] (على شاطىء البحر الأسود) ، وعندئذ حدد حاكم هذه المدينة التجارة ، فثار ملك لازيكا ضد الروم لأنه لم يرض عن هـــذا التصرف ، وطلب العون من إيران . فإغتنم أنو شيروان هذه الفرصة لكى يصل بحدود إيران إلى البحر الأسود ، وهناك يؤسس قوة بحرية ويهدد القسطنطينية عند الروم .

وكان أن جهز جيشا على الفور ودخل لازيكا وحاصر مدينة پترا واستولى عليها . ورغم أن هذه الولاية كانت خاضعة لإيران ، إلا أن سلوك الإيرانيين الزرتشتيين مع الأهالى المسيحيين أوجد عداء بينهم مما أضر بأهداف أنو شيروان وبعد عدة سنوات من الحرب وبعد ما تعب الطرفان ، إلى جانب أعمال أنو شيروان الهامة فى الأماكن الأخرى ، فقد إستقر الأمر على عقد هدنة لمدة خمس سنوات ، وبدلت هذه الهدنة فى سنة ٥٦٢ م بصلح مدته خمسون سنة بالشروط التالية :

١ — أن تتخلى إيران عن لازيكا وتعيدها إلى الروم ، وتتعهد دولة الروم بدفع ثلاثين ألف قطعة ذهبية سنويا ولمدة خمسين عاما لإيران فى مقابل هذا[3] .

٢ — أن يتمتع مسيحيو إيران بالحرية فى دياناتهم ، ولكن ليس من حقهم الدعوة لدينهم .

---

(١) اى مدينة خسرو وهى افضل من انطاكية .

(٢) باطوم الحالية كانت تسمى بترا .

(٣) تصور الطبرى ان دفع هذا المبلغ سنويا يعتبر جزية .

٣ — أن تحتفظ إيران بحامية فى قلعة دربند بالقفقاز .

الحرب مــع الهياطلة :

إستفاد أنو شيروان من صلحه مع بيزنطة ، فأغار على مملكة الهون البيض . ولكى يضمن نجاحه تحالف قبل ذلك مع الترك ضدهم . ولا نعلم كيفية هذه الحروب ، وما نعلمه هو أن ملك الهياطلة قتل أثناءها ، وأن هذه المملكة قسمت بين إيران وبين خاقان الترك ، بحيث صار نهر جيحون هو الحدود الشمالية الشرقية لإيران ، وصارت باختر وطخارستان (فى شرق باختر) وزابلستان ورخج جزءا من إيران (فى حدود ٥٥٧ م تقريبا) .

ويعتقد البعض أن ممتلكات إيران فى الهند خرجت عن سيطرتها مؤقتا بسبب ضغط الهون ، وعادت إليها فى ذلك الوقت . ومن ثم يعتبرون السند والپنجاب ضمن بلاد إيران آنذاك .

ولكى يؤمن أنو شيروان تنفيذ هذه المعاهدة تزوج إبنة خاقان الترك . ولما كان إسم الترك يذكر للمرة الأولى ، فلابد من بيان أن الترك كانوا طائفة من الهون . وكانت هذه الطائفة التى تعرف باسم (آسنا) قد هاجرت إلى الغرب هربا من ضغط إمبراطور الصين فى سنة ٤٣٣ م ، وإنقسمت إلى قسمين فى أزمنة لاحقة ، فإختار القسم الشرقى الإقامة فى الأراضى الواقعة بين مغولستان وجبال الأورال ، واحتل القسم الغربى المناطق الواقعة بين جبال آلتاى وسيحون . وكلمة ترك مأخوذة من الجبل الشبيه بقبعتهم ، التى تسمى فى التركية دورك[1] . ويدعى ملكهم خاقان ، وتومن[2] هو أول خاقان للترك ، وقد توفى سنة

1) Durk
2) Tumen

٥٢٣ م تقريبا . ويسمى خاقان الترك الذى عاصر أنو شيروان بإسم مكان خان[١] (٥٥٤ م) .

الحرب مع الخزر :

توجه فى ذلك الوقت أنو شيروان إلى الخزر ، إذ أنهم قاموا بالإعتداء على الولايات الواقعة على حدود إيران ، وإنتهت الحرب معهم بإنتصار الإيرانيين أيضا . ولكى يبث أنو شيروان الرعب والخوف فى قلوبهم قتل آلافا منهم ، وإستولى على غنائم كثيرة .

السيطرة على اليمن :

لجأ أحد أمراء أسرة حمير التى كانت تحكم فى اليمن إلى البلاط الإيرانى فى عهد أنو شيروان وطلب العون منه لإسترداد التاج والعرش الذى ضاع منه ؛ ذلك أنه فى أوائل القرن السادس الميلادى حكم الحبش المسيحيون بلاد اليمن ، ودعم القائد الحبشى أبرهه حكمه هناك بعد قيامه بعدة فتوحات ، وأقام كنيسة فى صنعاء . وسر إمبراطور الروم لهذه الأوضاع بينما غضب لذلك أنو شيروان فكان ان استفاد انو شيراون من لجوء الأمير المذكور وأرسل من يدعى وهرز بجيش للإستيلاء على اليمن . وتقدم هذا القائد بنجاح من الخليج حتى اليمن فاستولى على عدن ، وطرد الجيش من اليمن (٥٧٠ م)[٢] .

إستقرت بعد ذلك أسرة حمير وخضعت لإيران ؛ وبقى بها وهرز وجنوده الإيرانيون ، وإختلطوا بالأهالى ، وسموهم العرب فى العصر الاسلامى بالأبناء .

---

2) Mokan Khan

(٢) هناك اختلاف حول تاريخ هذه الحادثة بين الباحثين ، كما أن بعضهم قد جعل تاريخها فى سنة ٥٧٦ م .

الحرب مع الترك :

قوى الترك بعد أن استولوا على قسم من مملكة الهياطلة ، وأرسل ديزابول[1] خاقان الترك سفيرا فى سنة ٥٦٧ م إلى بلاط إيران لعقد معاهدة إتحاد بينهما . فغضب أنو شيروان من تصرفه هذا غضبا شديدا ، وتوفى بعد ذلك سفير الترك (من المعتقد أن أنو شيروان دس له السم) ، وغضب خاقان الترك على أثر هـــذه الحادثة وأرسل سفيرا إلى بيزنطه ، وذهب سفير من القسطنطينية إلى الخاقان أيضا (٥٦٩) .

وبدأ الترك يغيرون على حدود إيران ، ولكنهم إنسحبوا بمجرد أن توجه جيش ايران إلى تركستان . ولما رأى ديزابول فيما بعد أنه لم يستطع مواجهة إيران فى ميدان الحرب عاد فأرسل سفيرا إلى إمبراطور الروم ، وحرض دولة الروم الشرقية على نقض معاهدتها مع إيران (٥٧١ م) . وأثرت تحريضات خان تركستان فى بلاط الروم ، إذ كان الطريق ممهدا ، ذلك لأن امبراطور بيزنطه جوستين الثانى كان قد أصابه قلق شديد بسبب فتوحات أنو شيروان خارج ايران ، وخشى من تأثير قوة ايران فى التوازن ، كما أن أنو شيروان كان قد بلغ من العمر سبعين عاما فى ذلك الوقت ، فظن القيصر أن ملك ايران لن يقوى على القيادة بسبب شيخوخته ، وستكون مدة الحرب قصيرة . ومن ثم نقض معاهدة عام ٥٦٢ ، وحاصر الجيش الرومى نصيبين (يمكن اعتبار رغبة دولة الروم فى إمتلاك كل أرمينية وأيضا كرجستان من ضمن دوافع هذه الحرب) .

الحرب الثالثة مع بيزنطه — (٥٧٢ — ٥٧٩ م) بمجرد أن علم الملك بنقض المعاهدة ومحاصرة نصيبين ، تولى قيادة الجيش بنفسه على خلاف ما كان يتوقعه إمبراطور الروم وعبر دجلة بسرعة فائقة ، وأسرع لمساعدة نصيبين وطرد جيش الروم من هناك ، حتى تقدم إلى مدينة دارا وحاصر هذه المدينة .

1) Dizabul

وهنا أغارت على سورية قوة طائرة[1] قوامها ستة آلاف من خيرة الفرسان بقيادة آذرمهان ، وأشعلت هذه القوة أطراف أنطاكية وخربت مدينة آپارما ثم عادت . ولحقت بجيش إيران أسفل قلعة مدينة دارا (٥٧٢ م) .

وفى سنة ٥٧٣ خضعت قلعة دارا لجيش إيران . فبجانب آلات الحصار وأدواته التى إستخدمها أنو شيروان للسيطرة عليها ، قطع الماء عن المدينة ، فاضطرت القلعة للتسليم . وأحدث سقوط مدينة دارا أثرا عظيما فى عالم ذلك الوقت . إذ كانت هذه المدينة قلعة الروم الحصينة فى الشرق ، وكانت السيطرة عليها تبدو من الأمور المحالة . وأدى هذا الإنتصار إلى عدم قدرة جوستين على الحكم بعد ذلك ، فترك الحكم وخلفه كونت تى بريوس[2] . وحينئذ فهم أن الأسد العجوز ما زال قويا وخطيرا .

بعد أن جلس الإمبراطور الجديد على العرش لم يجد بدا من عقد هدنة مدتها عام مع أنو شيروان . وقد إشترى هذه الهدنة بمبلغ خمس وأربعين ألف قطعة نقود ذهبية ، وشغل بجمع جنود من الرجال الأشداء الأقوياء من سكان سواحل نهرى الرين[3] والدانوب[4] ، ولكنه لم يجرؤ على الدخول فى حرب مرة أخرى بعد إنتهاء مدة الهدنة . ومن ثم جدد الهدنة لثلاث سنوات أخرى ، وقبل أن يدفع لإيران مبلغ ثلاثين ألف قطعة نقود ذهبيه كل عام . ذهب أنو شيروان بعد ذلك إلى أرمينية إيران وإستولى عليها ، ثم دخل أرمينية الروم . وهناك هزم

---

(١) طائرة (طيار) استعملت هنا استعمالا استعاريا ، والمقصود بها الفارس الذى يحمل أسلحة خفيفة ، ويتحرك من مكان لاخر بسرعة . وكان هـــذا النوع من الفرسان يقوم بعمليات حول الجيش الاصلى فى العهود القديمة تمهيدا للهجوم ولبث الذعر فى قلوب السكان ، واجبار العدو على تقسيم قواته .

2) Conte Tiberius

3) Rhin

4) Danube

هزيمة جزئية من كورس[1] السكافى الذى كان فى خدمة قيصر الروم مع عدد كبير من السك . ولكنه سرعان ما عوض هذه الهزيمة . إذ هاجم أطراف جيش الروم ليلا بالمشاعل المشتعلة وهزمه ، ثم عاد إلى إيران فى عام ٥٧٦ م لقضاء الشتاء . وأنزل أنو شيروان بالجيش الرومى هزيمة فادحة ، وشغل الطرفان بالحرب فى السنوات التالية دون أن يحصل أى منهما على نتيجة حاسمة . فعبر أنو شيروان — الذى كان يتعرض لهجمات جيش الروم — نهر دجلة لتجهيز معدات الحرب ، ودخل طيسفون وسرعان ما قضى نحبه[2] .

صفات أنو شيروان :

يعتبر المؤرخون الشرقيون انو شيروان أعظم ملك فى إيران القديمة ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن ملوكا مثل كوروش وداريوش الكبير قد دخلوا فى طى النسيان . لكن هذا لم يحدث لأنو شيروان خاصة بعد أن عرفت الآن أوضاع إيران القديمة وأحوالها[3] . أما عن كونه أعظم ملك فى ملوك الأسرة الساسانية ، فهذا أمر لا شك فيه ، والتاريخ يبين أنه نادرا ما تجتمع صفات القيادة وخصائص إدارة الدولة فى شخص واحد . ويمكن أن نقول بشأنه أيضا أنه كان ملكا عادلا وحازما ، محاربا وإداريا ، قائدا ومديرا ، وتتضح صفاته هذه من أعماله التى ذكرت فى هذا الفصل وما سيأتى ذكره فى الفصل التالى أيضا .

وصلت الأسرة الساسانية فى عصره إلى أوج عظمتها ؛ فقد هزمت أباطرة

---

1) Kurs

(٢) يستفاد من المصادر الرومية أن دولة الروم قبلت أن تصرف النظر عن أرمينية ايران وكل كرجستان وأن تعقد معاهدة صلح . ولكن لم تسفر المباحثات عن نتائج بسبب موت انوشيروان .

(٣) والثابت الان أن كوروش هو أعظم ملوك ايران الاقدمين ، فهو الذى ذكرته التوراة ثم القران وهو الذى أعلن وثيقة حقوق الانسان وهـــو منشىء الامبراطورية الايرانية . (المراجع) .

الروم ودفعوا لها الغرامات ، وزالت دولة الهياطلة من الوجود . وتأدب أهل الخزر البرابرة ، واستقر أتراك جيحون فى مواطنهم ، وتم اجلاء الحبش عن اليمن التى خضعت لإيران . ومن ناحية أخرى ، فإن الإصلاحات التى قام بها الشئون الداخلية فى إيران نفخت فى إيران روحا جديدة ، واطلع الإيرانى للمرة الأولى على العلوم اليونانية . والجدير بالذكر أيضا أن أنو شيروان كان آخر نجم لمع فى أفق إيران القديمة ، إذ أن إيران الساسانية إتجهت بسرعة من بعد موته إلى التدهور نتيجة تخبط خلفائه ولأسباب أخرى .

ولم يمض وقت طويل إلا وإنقرضت دولة أردشير بابكان وبدأ عهد جديد لإيران .

وعلى هذا ، فإن أنو شيروان العادل هو آخر ملك جسد فى شخصه عظمة إيران القديمة[1] .

وطبقا لما تذكره الروايات الإيرانية فإن بزر جمهر (بزرگ مهر) هو الشخص الذى قدم مساعدات قيمه لأنو شيروان فى الإصلاحات التى قام بها فى البلاد . وقد كان بزرجمهر فى بداية الأمر معلما لهرمز بن انو شيروان ، وعندما شاهد الملك علمه ولياقته إختاره للوزارة . وقد رويت حكايات كثيرة بشأن حكمة عقل هذا الوزير وكفاءته لا يمكن أن يضمها هذا المختصر . ويقال أن بزر جمهر قتل فى عهد خسرو پرويز وبأمره[2] .

---

(١) يقول دارمستتر : ان انوشيروان كان واحـــدا من هؤلاء الذين يتميزون بالوجاهة ، وهو يعد فردريك ايران الكبير .. ومن الجائز أن يكون انوشيروان اقل دهاء من فردريك ، الا انه ترك فى مضمار الحضارة آثارا نافعة واكثر دواما ،فعنه ظهر الفردوسى فى ايران ، وعندنا (فى فرنسا) ظهر لافونتين وفى أوربا ظهر الشطرنج .

(٢) كان بزرجمهر وزيرا لانوشيروان طبقا لما ترويه المصادر الشرقية ، ولكن الباحثين الاوربيين لم يتمكنوا من ابداء رأى قاطع فى هذا الصدد ، لانهم لم يتيقنوا من انه شخصية تاريخية .

الثانى والعشرون — هرمز الرابع (اهور مزد) :

تولى الحكم بعد أبيه (٥٧٩ م) . وتعاقبت الحروب التى كانت قد بدأت فى عهد أنو شهروان ، ولكن لم يصل اى من الطرفين إلى نتيجة حاسمة . ذلك لان كلا الطرفين كان يعطى أهمية كبيرة للإستيلاء على دارا . وفى سنة ٥٨٨م عندما كان جيش إيران فى حرب مع الروم ، وصل خبر هجوم الترك على الحدود الإيرانية ، إذ كان خاقان التركستان قد رأى كراهية الشعب لهرمز واشتغال جيش إيران بالحرب ، فأراد أن يستفيد من هذه الظروف . وكان وضع هرمز سيئا ، إلا أن قائدا إيرانيا شهيرا يدعى بهرام چوبين (رئيس أسره مهران) أسرع إلى ناحية التركستان ومعه نفر قليل من الجيش ، ودخل فى معركة طاحنة مع الخان الكبير فقتله ، ثم دخل معركة أخرى مع الترك وأسر إبن الخان الكبير وإستولى على غنائم كثيرة . ويقال أنه إحتاج لمائتين وست وخمسين جملا لحل الذهب والجواهر التى استولى عليها . وكان خاقان التركستان قد إستخدم فى تلك الحرب الافيال والأسود الحربية ، ولكنها إرتدت نتيجة سهام الرماة الإيرانيين ، وعادت إلى مواقع جيش الترك . وقد إستفاد القائد الإيرانى من الإضطراب والفوضى اللذين حدثا فى جيش الخصم ، فأنزل بهم هزيمة ساحقة ، حتى أنهم قبلوا دفع ضريبة سنوية لإيران (٥٨٨م) .

وأصاب القلق هرمز بعد هزيمة الترك وإنتصار بهرام ، فأرسله لحرب الروم فى لازيكار (٥٨٩م) وهنا هزم بهرام ، وبدلا من أن يمد له هرمز يد العون سر بهزيمته ، وأرسل له علبة بها أدوات الحياكة وملابس النساء . فغضب جنود ايران من سلوك هرمز هذا تجاه قائدهم ، واتفقوا مع جيش ايران الذى كان يحارب فى ما بين النهرين ، وتحركوا الى ناحية طيسفون حتى ينتقموا من هرمز وأرسل هرمز جيشا لمنعهم من ذلك ، ولكنه انضم للمتمردين كذلك . وعندما وصلت هذه الانباء الى العاصمة ثار الشعب وفر هو ووقع فى يد بيستام (ويستاخم) الذى كانت تربطه به صلة قرابة وقتل عام ٥٩٠ م .

وبالنسبة لهرمز يجب القول بأنه ذكرت روايات تبين ماله وماعليه ، بمعنى أنهم اعتبروه سفاكا وعادلا فى نفس الوقت . ومن ثم يعتقد بعض الباحثين أن هذا الملك كان يريد الحد من نفوذ العظماء ، وعدم إعطاء مجال الدهان ليتعصبوا للدين ، وكان نفس هذا الحسم باعثا على وصفهم له بأنه سفاك ، فقد قيل مثلا أن المغان طلبوا منه إيذاء المسيحيين ، لكنه رفض إقتراحهم بسخرية وإستهزاء قائلا : كما أن عرش ملكنا لا يقوم على قاعدتين فقط ويلزمه قاعدتان أخريان ، فكذلك لا تستقيم حكومتنا إذا آذينا المسيحيين وأتباع المذاهب الأخرى ، وجعلناهم أعداء لنا . ارفعوا أيديكم عن أذيتهم والإضرار بهم ، وافعلوا الخير معهم حتى يروا أعمالكم الطيبة فيتبعونكم »[١] .

الثالث والعشرون — خسرو الثانى المعروف بكسرى پرويز (خسراو — اپرويز) .

جلس خسرو على العرش بعد أبيه ، وكتب رسالة إلى بهرام چوبين يدعوه للحضور إلى بلاطه ويعده بأعلى منصب فى الدولة ، فأجابه بهرام بانه يجب عليه الذهاب إليه ، وطلب الصفح . وحاول خسرو إستمالته مرة أخرى ولكنه فشل . وأخيرا أعد جيشا وذهب قاصدا إياه فهزم وفر . وبعد أن عبر نهر دجله دخل سيرسز يوم[٢] التى كانت تابعة لبيزنطة ، فاستقبله الروم بإحترام ، وطلبوا الإذن من القسطنطينية فحضر موريس[٣] إمبراطور بيزنطة وإعتبر خسرو إبنا له وفى حمايته إلى أن يعود إلى عرش إيران بشرط أن يعيد إلى دولة بيزنطة أرمينية إيران مع مدينة دارا فى مقابل تلك المساعدة . توجه خسرو بعد ذلك إلى ايران بجيش رومى ، وكان بهرام چوبين قد دخل طيسفون بعد هزيمة

(١) يقول نولدكه : كم يجب أن يسبب هذا الكلام خجلا للمسيحيين الذين كانوا يتعقبون اتباع الاديان الاخرى .

2) Circesium

3) Maurice

خسرو وجلس على العرش ، وما أن شاع خبر مجيء خسرو مع جيش الروم إلا وتزعزعت مكانته .

وفى سنة ٥٩١ م عبر خسرو دجله ، وهزم بهرام فى تلك المعركة التى نشبت بين الجيش الرومى والآذربايجانى من ناحية وجيش بهرام من ناحية أخرى ، وفر هاربا إلى خاقان تركستان . ودخل خسرو بعد هذا النصر طيسفون وجلس على العرش . ثم سمح لجنود الروم بالعودة محملين بالهدايا الكثيرة . وقبض على كل من تسببوا فى خلع والده وقتله ، وقضى عليهم . ويرجع السبب فى هزيمة بهرام إلى عدم مساندة أكثر كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش له ، إذ أنهم كانوا يعتقدون أن الساسانيين فقط هم الذين يستطيعون أن يخلفوا الهخامنشيين .

حروب كسرى پرويز مع بيزنطة :

إستمرت هذه الحروب من سنة ٦٠٣ حتى سنة ٦٢٧ م ، وقد حدثت على النحو التالى :

كانت العلاقات بين البلاطين ودية فى عهد موريس ، غير أنه قتل فى سنة ٦٠٣ م وقدم إبنه إلى ايران محتميا بملكها ، ولم يعترف بفوكاس[1] إمبراطورا حفاظا على حقوق الإمبراطور المقتول . وبدأت الحرب بين الدولتين على أثر ذلك ، فدخل كسرى بجيش جرار مابين النهرين ، وتقدم منتصرا وحاصر مدينة دارا واستولى عليها بعد ثلاثة شهور (٦٠٥م) . ثم إستولى على آمد (ديار بكر) وإدس (الرها) وحران وسائر المواقع الرومية الحصينة . وعبر جيش ايران نهر الفرات بعد ذلك ، وأغار على المنطقة القريبة من بيروت الحاليـــة . ومن ناحية أخرى ، هاجم جيش إيرانى آخر كاپادوكية من ناحية أرمينية ، وأغار على فريكية وولايتين أخريين فى آسيا الصغرى وتقدم فيها إلى درجة أصابت أهالى القسطنطينية بالذعر والإضطراب .

---

1) Phocas

وتميزت الأوضاع فى دولة بيزنطة آنذاك بالفوضى والإضطراب ؛ فلم يتمكن فوكاس من عمل شىء فى مواجهـــة فتوحات كسرى ، وتسبب ضغط الإيرانيين فى ذعر بلاد الروم الشرقية واضطرابها ، مما أدى الى ظهور أزمة . وعلى أثر هذه الأحداث ، جاء هراكليوس — الذى يعرف فى تاريخ ايران ومصر بإسم هرقل — من افريقيا الى القسطنطينية بسفن ، وتولى زمام الأمور بمساعدة الشعب (٦١٠ م) .واستمر كسرى فى فتوحاته ، فأغار فى سنة ٦١١م على الشام واستولى على أنطاكية ودمشق ، ثم استولى على بيت المقدس بمساعدة ست وعشرين ألف يهودى ، وأرسل صليب عيسى الى ايران . وقد تركت هذه الفتوحات المتواصلة التى قام بها كسرى أثرا غريبا على عالم ذلك الوقت وخاصة الإستيلاء على بيت المقدس واحضار الصليب الذى لم يكن هناك شىء أكثر قدسية منه فى نظر العالم المسيحى .

ولم يكتف كسرى بهذه الفتوحات بل أرسل واحدا من قواد ايران ويدعى شهر براز بجيش الى مصر فعبر الصحراء التى تفصل بين الشام ومصر ودخل الإسكندرية التى كانت مدينة تجارية مشهورة فى ذلك الوقت (٦١٦ م) .

وقد أحدث هذا الفتح الذى قام به القائد الإيرانى تأثيرا عظيما فى العالم آنذاك ، ذلك أن مصر كانت قد خرجت من تحت سيطرة ايران لقرون عديدة وكان الملوك الساسانيون يريدون دائما أن يمدوا حدود ايران الى تلك الحدود التى كانت عليها أيام الهخامنشيين .

ومن ناحية أخرى ، فى سنة ٦١٧م عبر قائد ايرانى شهير آخر كاپادوكية واستولى على ولايات آسيا الصغرى واحدة تلو الأخرى ، ووصل الى كالسدن (١) (خالقدون) بالقرب من القسطنطينية .

وهناك التقى هرقل بالقائد الإيرانى ، وفكر فى الصلح ، وأرسل رسولا الى

---

1) Chalcedoine

كسرى پرويز لإجراء مباحثات بهذا الصدد . لكن المباحثات لم تسفر عن شيء ؛ ذلك لأن فتوحات كسرى أصابته بالغرور والتكبر ولم يحضر مباحثات الصلح فحسب بل ألقى الرسول فى السجن ، وهدده بالقتل وسأله : لماذا لم يحضر هرقل مقيدا بالأغلال أمام عرشه . وسرعان ما إستولى على كالسدن (خالقدون) ، ووصلت ايران الى حدودها التى كانت عليها أيام الهخامنشيين تقريبا (٦١٧ م) .

أما عن أحوال بيزنطة فى ذلك الوقت فقد كانت غاية فى السوء ، اذ تم الاستيلاء على أرمينية الروم والمدن والقلاع الرومية فى ما بين النهرين وعلى كل بلاد آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر . وكانت القسطنطينية أيضا موضع تهديد من قبل ايران والآوار ، وكانت شعوب الآوار — التى سببت المتاعب للروم الشرقية من ناحية الشمال — تريد الإستيلاء على هذه العاصمة الكبيرة عن طريق البر . ووصلت أحوال بيزنطة السيئة فى هذا الوقت الى درجة أن هرقل كان يريد فى بداية الأمر الهرب من العاصمة والذهاب الى قرطاجنة ، لذا فقد حمل خزانة الروم من القسطنطينية[1] ، غير أن رجال الدين والشعب منعوه من ذلك ، وقبل فى النهاية البقاء والإنفاق من خزائن الكنائس ونفائسها على اعداد الجيوش .

حروب هرقل :

عبر هرقل بجيوشه فى سنة ٦٢٢ م بوغاز هلس پنت (الدردينل حاليا) ،

---

(١) وقعت هذه الخزانة فى يد قائد كسرى برويز وسميت باســم فىء الرياح (كنج باداورد) .

يقول المستشرق كريستنسن عن هذا الكنز : « عندما حاصر الفرس الاسكندرية حاول البيزنطيون ان ينقذوا نفائس المملكة ، فجمعوا خزائنهم وذخائرهم فى سفن كثيرة ، فلما لجت فى البحر عصفت الرياح فسيرتها الى صفوف الايرانيين حتى ظفــر بها شهربراز وقبض عليها كلها وبعثها الى المدائن فتعجب منها كسرى وسر بها ، وقــد سميت كنج باد اورد اى فىء الرياح) .

انظر ايران فى عهد الساسانيين ـ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ص ٤٤٧ .

(المترجم)

ودخل درايسوس[1] اليابسة . وقامت معركه بينه وبين شهر براز بالقرب من أرمينية . انتهت بانتصار الروم ، وعاد هرقل إلى القسطنطينية بعد ذلك . وفى العام التالى تعاون مع شعوب شمالية كالخزر وغيرهم وهاجم إيران من ناحية لازيكا ، فأسرع خسرو بجيش قوامه أربعون ألف جنـــدى إلى شيز (الواقعة فى آذربايجان) ، وأمر جيشه بالإسراع لملاقات العدو ، إلا أن هرقل دخل معهم فى الحرب قبل أن تتجمع جيوشهم وانتصر عليهم .

ثم قام بالإغارة على مدن إيران وخرب بيوت النار (٦٢٣ م) ، ومنها بيت نار آذر گشناسپ .

وفى العام التالى ، أراد كسرى أن يهجم على أران ويحطم قوات هرقل ، فأمر جيوشه الثلاثة بالإسراع إلى هناك . لكن هرقل سبقه ودخل أرمينية ، وقبل أن تتجمع جيوش إيران دخل فى حرب مع كل منها على حدة وانتصر عليها .

حصار القسطنطينية :

أراد كسرى برويز — الذى كان قد أصابه الذعر من فتوحات قيصر الروم — أن ينزل ضربة قاضية بالروم ، وإستخدم آخر مسعى له لتحقيق هذا الهدف ، فكون جيشين : أحدهما تحت قيادة شاهين الذى حاصر القسطنطينية واتحد مع الآواريين للإستيلاء عليها ، والثانى ويقوم بعمليات ضـــد هرقل (٦٢٦ م) . وترك هرقل قوات للمحافظة على القسطنطينية واتجه بنفسه الى لازيكا . وهاجم من هناك تفليس ، ولكنه لم يوفق . ودخلت حامية القسطنطينية فى معركة مع شاهين وإنتصرت فى معركتها نظرا لأن رياحا عاتية هبت فى مواجهة جيش ايران ، وكانت تلقى بالتراب على وجوه الجنود ، فردتهم واستعادت مدينة كالسدن (خالقدون) . ومات شاهين كمدا بعد هذه المعركة بسبب غضب كسرى عليه .

---

(١) هذا هو نفس المكان الذى كان ميدانا للحرب بين الاسكندر وداريوش (دارا)

وأغار الآواريون على القسطنطينية كذلك، ولكنهم لم ينجحوا فى الإستيلاء عليها لأن الإيرانيين لم يتمكنوا من مساعدتهم . ويرجع السبب فى عدم نجاح ايران فى هذه المعارك الى فقدان قواتها البحرية ، فى حين أن هرقل استفاد فى كل المعارك المذكورة من سيطرة بيزنطة على البحار .

معركة دستكرد :

وفى سنة ٦٢٧ م توجه هرقل قاصدا دستكرد ، وكان هذا المكان يقع على بعد عشرين فرسخا من طيسفون تقريبا ، وكان مقاما لكسرى . وحدثت معركة بين الجانبين بالقرب من نينوى القديمة ، ورغم أن القائد الإيرانى قد قتل فى هذه المعركة ، الا أن جيش ايران صمد الى أن انسحب فى نهاية الأمر الى خنادقه . واتجه بعد وصول الامدادات الى ناحية قناة نهر براز وجعلها خندقا له واستعد للحرب . لكن الخوف استولى على كسرى فى هذه الظروف ؛ فترك جيش ايران على أثر ذلك وفر هاربا . ومع كل هذا قاوم جيش ايران الى أن تجمعت قواته ، وانضم اليه مائتا فيل حربى . وعندما رأى هرقل بعد ذلك ثبات جيش ايران وصموده، غير من خطته الأولى التى كان يريد بها تعقب كسرى ومحاصرة طيسفون ، وذهب الى كنزك (٦٢٧ م) .

خلع كسرى پرويز وقتله :

أدت هزيمة كسرى فى دستكرد وفراره على وجه الخصوص الى ثورة العظماء والشعب فى طيسفون ، وزاد من نفور الناس منه اساءته لشهر براز والإهانة التى وجهها الى نعش شاهين . ويقال أن كسرى قتل كل قواده الذين فشلوا فى حروبهم ، وكان يريد قتل شهر براز أيضا ، فى حين أن شهر براز وشاهين كانا محبوبين جدا بسبب فتوحاتهما السابقة . وأدت كراهية الشعب له الى خلعه عن السلطنة والزج به فى سجن مظلم الى أن قتل بعد حين (٦٢٨م) . وكانت لشيرويه (قباد فيما بعد) — كما يقال — يد فى هذه المسألة ، اذ كان

كسرى يريد تنصيب مردان شاه وليا العهد وهو ابنه الأصغر من سيدة سريانية تدعى شيرين . ووصل نفور أعداء كسرى منه وكراهيتهم له إلى حد أنهم قطعوا رأس إبنه مهرداد أمام عينيه . ومن أهم أحداث سلطنة كسرى فيضان نهرى الفرات ودجلة الذى جعل منطقة ما بين النهرين مستنقعا ، وانتشر وباء الطاعون الذى تسبب فى وفاة عدد كبير من الناس .

صفات كسرى پرويز :

يعتبر كسرى پرويز أشهر ملك ساسانى بعد أنو شيروان ، وقد بقيت حكايات عن قصوره الشاهقة ومنازل حريمه وأبهة بلاطه ، كما ذكر كتاب العصور الإسلامية وشعراؤها فى قصصهم أو فى شعرهم أنه لم يكن لأحد من الملوك الساسانيين السابقين مثل ما كان له من الخزائن والكنوز والزينة . وذكر المؤرخون أن عدد زوجات هذا الملك وصل إلى ثلاث آلاف زوجة ، هذا بالإضافة إلى أن قصر حريمه كان يضم عدة آلاف من الجوارى اللاتى كن يقمن بالغناء والعزف(١) .

ومن هنا يمكن إدراك كم كانت ميزانية البلاط الإيرانى آنذاك ، وإذا أخذنا فى الإعتبار أن كسرى پرويز كان يقول فى سجنه وفى مقام الدفاع عن نفسه أنه ضاعف محتويات خزائن إيران إلى أربعة أضعاف ، ونضيف إليها ما صرف على الحروب التى دامت خمسة وعشرين عاما مع بيزنطة ، فإنه يمكن بسهولة معرفة ما تحمله الشعب الإيرانى فى عصره . وقد أضعفت حروبه مع الروم قوة إيران ، ففى السنوات الأولى للحرب أحرز كسرى إنتصارات ،

---

(١) تاريخ الطبرى – ذكر بعض المؤرخين ان عدد نساء قصره كان يتراوح بين عشرة الاف واثنتى عشر الفا . وكانت اشهر زوجاته مريم ابنة موريس قيصر بيزنطة وشيرين السريانية ، وهى التى قتلت نفسها عندما اراد قباد الثانى ان يتزوجها بعده .

وكانت هذه الإنتصارات نتيجة خبرة الجيش الإيرانى ومرانه فى عصور الملوك السابقين ، وللإصلاحات التى قام بها أنو شيروان فى شئون الجيش ، وكذلك لخبرة قائدى إيران الشهيرين فى ذلك الوقت شهر براز وشاهين ولياقتهما . وعلى أثر هذه الإنتصارات جاء الوقت الذى إستطاع فيه أن يمن على هرقل ويقبل إقتراحه الخاص بالصلح . ويعقد معاهدة بشروط مرضية ليصل بإيران إلى حدودها الطبيعية التى كانت تصل إلى البحر الأسود ونهر الفرات (أى أن تنضم إلى إيران لازيكا وكذلك بقية أرمينية وما بين النهرين) . لكن كسرى پرويز لم يدرك هذه الأمور بسبب غروره وتكبره ، وبدد قواته عبثا فى البلاد المختلفة وكان الحفاظ عليها أمرا صعبا بالنسبة لإيران فى ذلك الوقت نظرا لعدم وجود بحرية قوية . ووصل الأمر إلى أنه عندما هاجم هرقل إيران من ناحية الشمال قضى على الجيش المدرب بسبب الحروب المستمرة التى خاضها ، ومات أحد قائدية المشهورين كدا لعدم إعترافه بأفضاله ، أما الآخر فأصبح معذبا بائسا .

كان كسرى پرويز ملكا ضعيف الشخصية متكبرا ظالما ، ينساق وراء شهواته ، ناكرا للجميل ، وقضى مده حكمه فى الحروب . والواقع أن حروبه لم تقدم شيئا لإيران ، بل إنها أضعفتها إلى أبعد الحدود ، وجرتها إلى التدهور بسرعة عجيبة .

الرابع والعشرون — قباد الثانى — (كوات)

جلس على العرش بعد خلع أبيه ، وكان إسمه شيرويه ، إلا أنه عرف بعد جلوسه على العرش بإسم قباد . ومن أعماله الصلح مع بيزنطة ، فقد تعبت إيران وبلاد الروم الشرقية من الحروب المتصلة ، وبمجرد أن طلب قباد الصلح وافق هرقل وتقرر الصلح بالشروط التالية :

١ — أن يعيد كل طرف من الطرفين ما أخذه من أراضى غيره ، وأن يتبادلا الأسرى .

٢ — أن يعيد الإيرانيون صليب المسيح الذى أخذوه من بيت المقدس، وقد أقيمت الإحتفالات فى بلاد الروم الشرقية لعودة الصليب (٦٢٩م)[1].

أولى قباد بعد ذلك إهتمامه الشئون الداخلية لبلاده : فأوقف دفع الضرائب التى كان قد فرضها سلفه، وأطلق سراح المسجونين، وعطف على كل من أصابه ظلم أو إجحاف على يد پرويز. ولكن سرعان ما أصبح معلوما أن هذه الاجراءات التى قام بها لم تكن بحسن نية، بل أراد بها تثبيت مكانته. وإذ لم يمض وقت طويل إلا وقتل كل إخوته ومات هو أيضا بسبب الطاعون الذى كان قد إنتشر فى إيران. وكانت مدة حكمه سنتين وعدة أشهر.

الخامس والعشرون — أردشير الثالث (أرت خشتر):

تولى الملك بعد قباد إبنه أردشير الذى كان طفلا فى السابعة من عمره، وهنا فكر شهر براز — الذى رفض إطاعة أوامر قباد، كما أنه لم يرد آسيا الصغرى وسورية ومصر إلى الروم — فى الإستيلاء على العرش. ولكى يستميل هرقل إلى جانبه قبل أن يعيد البلاد المذكورة إلى الروم، ويدفع مبلغا من المال كذلك، فتحالف هرقل معه وأقام علاقات طيبة.

إستولى شهر براز بعد ذلك على العرش، لكنه لم يتمكن من الإحتفاظ به أكثر من شهرين، إذ خرج عليه كسرى بن قباد فى خراسان. وبالتالى ثار عليه جنود بهرام. ولم يمض وقت طويل حتى قتل على أيديهم.

وقد حدثت فى هذين الشهرين حادثتان هامتان هما : الجلاء عن آسيا الصغرى ومصر وسورية وإعادتها إلى بيزنطة. وإستيلاء الخزر على أرمينية (٦٢٩م).

---

(١) يحتفل حتى الآن بيوم استرداد الصليب، وهذا اليوم يوافق ١٤ سبتمبر ويعرف بعيد ارتفاع الصليب Exaltation De La Sainte Croix

تولى الحكم بعد شهر براز كسرى الثالث حفيد هرمز الرابع ، وحكم من بعده جوان شير بن كسرى پرويز (٦٢٩ م) . ثم حكمت من بعدهما بوراندخت إبنة كسرى پرويز[1] .

وعندما رأت أنها لا تستطيع الحيلولة دون تدهور إيران وهزائم جيشها ، تركت الحكم بعد سنة وخمسة أشهر . وحكم بعد ذلك كشناسب برده أخو كسرى الثالث ، وتولت ملك إيران من بعده آزرميدخت إبنة كسرى وأخت بوراندخت لفترة ، وخلعت بواسطة رستم فرخ هرمز والى خراسان . ثم حكم البلاد إثنى عشر شخصا خلال أربع سنوات ، وكان كل منهم يخلع بعد فترة أو يقتل .

وذكر الباحثون أسماء الذين جلسوا على العرش بعد آزرميدخت كما يلى : هرمز الخامس (٦٣١ م) ، كسرى الرابع (٦٣١ م) ، فيروز الثانى (٦٣١م) كسرى الخامس (٦٣١ م) ، يزد كرد الثالث (٦٣٢ م) .

والأولان من أحفاد كسرى پرويز ، أما التاليان لهما فهما من أحفاد كسرى الاول أنو شيروان .

ومن الأحداث الخاصة بالسياسة الخارجية فى عصر تلك الحكومات ذلك الصلح النهائى الذى عقدته بوراندخت مع هرقل وأخذت فيه إيران نصيبين .

---

(١) كتبها البعض بوراندخت ، ويجب أن تكتب بهذا الشكل : بوراندخت بواو مجهولة ، اى تقرأ مثل واو كلمة (دوران) .

الخامس والثلاثون — يزدجرد الثالث — (يزدكرت) :

جلس على العرش فى سنة ٦٣٢ ،ولا يعرف نسبه على وجه التحديد ،ويقول الطبرى أنه كان إبنا لشهريار (أى حفيد كسرى پرويز) ، وأن أمه كانت زنجية . وقد إضطروا إلى توليته الحكم عندما لم يجدوا أحدا من الأسرة الحاكمة . وحينما وصل يزدكرد إلى الملك تجلت آنذاك كل آثار التدهور والإنحطاط ، بالإضافة إلى أن يزدكرد كان شابا غير محنك ، ولم يكن هناك من يساعده من أفراد الأسرة الحاكمة بعد مقتل قباد .

نهوض العرب نحو إيران

مقدمة :

كانت شبه الجزيرة العربية — كما سبق أن ذكرنا أثناء حديثنا عن تاريخ عيلام — تخرج منذ زمن سحيق أقواما مرة كل عدة قرون ، فيستولون على البلاد المجاورة ويشكلون حكومات .

ومن هؤلاء الشعوب السامية الأصل التي هاجمت بلاد السومريين والأكاديين في عصور موغلة في القدم ، وأسست دولا في رأس الخليج وما بين النهرين . وقد توجه الكلدانيون الذين قدموا إلى ما بين النهرين ، والآراميون الذين أغاروا على بابل وآشور في القرن الثالث عشر ، إلى الشام بعد ذلك . وجاء الدور على العرب من بعدهم ، فاتجهوا منذ زمن بعيد ناحية سورية وكلدة القديمة وما بين النهرين ، وأقاموا دويلات في بلاد العرب الشمالية المجاورة لسورية ونهر الفرات (مثل الحيرة وغسان وغيرهما) .

وكانت هناك مناطق كثيرة يقيم فيها العرب في كلدة القديمة وما بين النهرين لكن النهضة الحقيقية والعظيمة للعرب خارج شبه الجزيرة العربية هي التي بدأت بعد ظهور الإسلام ، أي منذ الربع الثاني من القرن السابع الميلادي . وقد واجه المسلمون في فتوحاتهم العظيمة هذه دولتين مشهورتين في ذلك الوقت وهما اللتان كانتا تسودان العالم أنذاك[1] ، إحداهما إمبراطورية الروم والثانية إمبراطورية إيران . وكان السبيل ممهداً أمام فتوحات المسلمين في ما بين الدولتين ، ذلك أن كلا منهما كانت في حالة من التدهور بسبب ما عانته من الحروب المتصلة والدائمة

---

(١) فردريك زاره — صنائع ايران القديمة .

التى خاضتها مع الأخرى ، حتى أصبحت فى الرمق الأخير . أما العرب فكانوا قوما أشداء إعتادوا تحمل مشاق الرحال فى الصحراء العربيـــة ومصاعبه ، وإعتنقوا دينا أوجد بينهم مبادىء المساواة والإخاء وشجعهم على التضحية بالنفس والفداء إلى أقصى الدرجات، وجعل جزاء من يقاتل ويقتل الجنة العالية . وإذا تجاوزنا ما حصل عليه الفاتحون أثناء فتوحاتهم من خزائن هاتين الدولتين القديمتين من غنائم وذخائر لا تحصى ولا تعد ، فإن الفتوحات العربية فعلت شيئا لم يسبق له مثيل ، إذ قضت على الإمبراطورية الساسانية وفقدت الامبراطورية البيزنطية كل ممتلكاتها تقريبا فى آسيا وإفريقيا ، وأقام المسلمون دولة إمتدت من ماوراء سيحون إلى جبل طارق . وهنا يبرز سؤال ، وهو : ماذا كانت حالة إيران فى ذلك الوقت ؟ ويمكن وصف ذلك بإختصار فيما يلى :

فقدت إيران آنذاك كل الأشياء التى تميز بها المسلمون ، وتميزت بما يلى :

١ — الإضطرابات العقائدية نتيجة تشتت المذاهب والأديان كما سيأتى فى الفصل الثانى من هذا الباب .

٢ — الإضطرابات السياسية والنفوذ الكبير الذى كان يتمتع به العظماء ورجال الدين ، وعدم وجود ملك مجرب قوى الإرادة يتولى زمام الأمور ويقوم بالإصلاحات . وأفضل دليل على هذا الوضع هو تغيير إثنى عشر ملكا خلال أربع سنوات (٦٢٨ — ٦٣٢ م) .

٣ — ضعف الجيش وتمزقه نتيجة حروب كسرى پرويز التى لا طائل منها .

٤ — فقر الشعب وضيقه بسبب دفع الضرائب التى فرضها عليه پرويز ، وإجبار أفراده على دخول الجندية .

٥ — تدهور الزراعة والتجارة والصناعة نتيجة تفشى الظلم والجور .

واقعة ذى قار :

رغم أن العادة جرت على إعتبار معركة القادسية المعركة الأولى للعرب

مع إيران فى ذلك الوقت ، ولكن إذا أخذنا فى الإعتبار نتائج المعركة ، فإننا نعتبر معركة ذى قار هى أول معركة لهم مع الإيرانيين . أما عن كيفية وقوع هذه المعركة ، فقد حدث أن سمع كسرى پرويز أثناء حربه مع الروم أن النعمان ملك الحيرة له إبنة رائعة جميلة ، فأراد أن يتزوجها ولكن النعمان رفض بسبب دسيسة . فغضب كسرى وقرر إرسال جيش لتأديبه . وبمجرد أن علم النعمان بهذا ذهب إلى بنى شيبان وأودع ممتلكاته عند رئيسهم ، وقدم إلى كسرى طالبا الصفح والإعتذار ، لكن كسرى لم يقبل وقتله ثم طلب بعد ذلك من شيخ الشيبانيين كل أموال النعمان فامتنع ، فأرسل كسرى جيشا مكونا من الإيرانيين والعرب قوامه أربعون ألف رجل حتى ينفذ أوامره ، وحدثت عدة معارك بين الجيشين الإيرانى والعربى ، وإنتهى الأمر بأن فر العرب الذين كانوا فى الجيش الإيرانى أثناء معركة ذى قار وهزم الجنود الإيرانيون وقضى عليهم . ورغم صغر هذه المعركة إلا أن لها نتائج هامة ، ذلك أن العرب عرفوا لأول مرة أنه يمكن التغلب على جيش إيران وهزيمته بحملات جريئة (يعتقد نولدكه أن هذه المعركة حدثت بين ٦٠٤ و ٦١٠ م ، ولكن بعض الباحثين الآخرين يذكرون أنها حدثت فى سنة ٦١١) .

موقعة ذات السلاسل [1] :

توجه خالد بن الوليد قائد المسلمين الشهير ناحية الشمال فى عام ١٢ من الهجرة (٦٣٣ م) . ودخل منطقة تقع بالقرب من الخليج والكويت الحالية ، وهى حدود إيران آنذاك ، وتعرف باسم الحفير . وهناك طلب من هرمز حامى حدود تلك المنطقة الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية ، وعلى أثر ذلك طلب هرمز من خالد أن يتحاربا رجلا لرجل أى يتبارز القائدان ، فقتل هرمز على يديه .

(١) لما كان تاريخ الفتح الاسلامى مرتبطا بالعصور الوسطى لتاريخ ايران ، فاننا اكتفينا فى هذا الكتاب بذكر الاحداث التى تتعلق بنهاية العصور الايرانية القديمة وقد سجلت الاحداث المذكورة طبقا لروايات العرب التى ذكرها الطبرى وابن الاثير ، ذلك انه لا توجد مصادر اخرى غير عربية بين ايدينا .

وهجم العرب بعد ذلك على الإيرانيين وإنتصروا عليهم . وقد أطلق على هذه المعركة إسم (جننگ زنجير) أو ذات السلاسل . ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم — كما ذكر الطبرى — أعدوا سلاسل حتى يقيدوا بها أسرى المسلمين (ذكر البعض أنهم قيدوا بها أرجل جنود إيران حتى لا يفروا من المعركة) . وسلك خالد بعد ذلك طريق ساحل الفرات وإتجه إلى أعلى ، ونشبت معركة ضارية فى أليس بين قوات إيران والمسلمين .

وعندما أخذ الطرفان يتبادلان النصر غضب خالد من مقاومة الإيرانيين وثباتهم وأقسم بأن يجعل من دمائهم نهرا جاريا . وإنتهى الأمر بأن إنتصر المسلمون نصرا مؤزرا ، وأوفى خالد بقسمه وقتل جميع الأسرى الإيرانيين[1] . ثم كان النصر حليف خالد أيضا فى مدينة رومية تعرف بإسم فيراز .

وحدث أن طلب فورا لقيادة جيش إسلامى فى مكان آخر ، وتولى المثنى بن حارثة الشيبانى قيادة الجيش بدلا منه . ويجب إعتبار معارك خالد بن الوليد مع الإيرانيين معارك حدود ، لأنه حارب فيها حاميات الحدود والمحافظين عليها .

موقعة الجسر . (١٣ هجرية) أدى تهديد المسلمين لحدود إيران إلى إستدعاء رستم فرخ هرمز حاكم خراسان من قبل البلاط الإيرانى ومنحه الصلاحيات الكاملة لحرب العرب ؛ فجهز جيشا وأرسله إلى الحدود تحت قيادة بهمن جادويه وعندما وصل هذا الجيش بالقرب من بابل أقام المسلمون قنطرة من القوارب بأمر أبى عبيدة مسعود الثقفى الذى كان يرأسهم ، وعبروا الفرات لكى يدخلوا المعركة مع الإيرانيين . وفى هذه المعركة سببت فيلة الجيش الإيرانى الحربية ذعرا وإضطرابا بين خيول المسلمين مما جعلها تعصى الفرسان الذين إمتطوا صهواتها ، وأدى ذلك إلى خلل فى صفوفهم . عندئذ إضطر العرب للحرب راجلين .

---

(١) ذكرت المصادر العربية أن مستشارى خالد قالوا له أن الارض نهيت عن نشف الدماء ولكى يبر بقسمه عليه أن يجرى الماء عليها وهكذا حقنت الدماء (المراجع) .

وحمل أبو عبيدة على فيل أبيض وأصابه بجرح ، فوطأه الفيل بقدمه . عندئذ صار النصر حليف الإيرانيين . وقتل قواد العرب . وكانت خسائر المسلمين فى هذه المعركة أربعة آلاف جندى ، ذلك أن ثلاثة آلاف جندى هربوا وعاد ألفان إلى المدينة . وتوفى المثنى بعد فترة متأثرا بالجرح الذى أصابه فى موقعة الجسر .. وكان من نتيجة هذه الهزيمة التى حاقت بالمسلمين أنهم تخلوا عن الساحل الأيمن لنهر الفرات والمناطق المجاورة ، غير أن هذه الولايات المذكورة عادت إليهم بعد الحروب التى قامت بين الايرانيين والمسلمين فى البويب والتى إنتصر فيها العرب (١٤ هجرية) .

وفى سنة ١٤ هجرية (٦٣٥ م) فرغ عمر من أمر الشام ، ولما كان من غير الضرورى أن يقيم جيش كبير فى سورية ، فقد إستعد للحرب مع إيران . وإختار سعد بن أبى وقاص للقيادة .

وأعد جيشا قوامه ثلاثون ألف جندى عربى ، كما أعد يزدگرد أيضا جيشا بقيادة رستم فرخ هرمز (أو فرخ راد) (وكان يتكون من مائة وعشرين ألف جندى كما رووا) . وفى نفس هذه السنة أرسل عمر رسله إلى البلاط الايرانى ، وكانوا إثنى عشر رجلا . وكان مظهرهم يدعو للاستخفاف عند دخولهم طيسفون . إلا أن يزدگرد إستقبلهم بحفاوة وإحترام ، لأن المسلمين كانو قد فتحوا دمشق فى ذلك الحين . وسألهم يزدگرد قائلا : ما هو هدفكم قالوا : يجب أن تقبل الاسلام أو تدفع الجزية . فنظر إليهم الملك نظرة إحتقار وأشار إلى ملابسهم قائلا : إنكم أناس تأكلون الحرباء ، وتقتلون بناتكم (كانت عادة بعض العرب قبل الاسلام ان يئدوا بناتهم) ، فاجاب المسلمون: لقد كنا فقراء جائعين ، ولكن الله أراد أن نغتنى ونشبع ، الآن وقد إخترت السيف ، فإنه سيكون الحكم بيننا وبينك[1] .

---

(١) يذكر الطبرى « أن رستم عير العرب بانهم اهل شقاء وجهد وان المغيرة بن شعبة رد عليه بان ما قاله اقل مما كانوا عليه قبل الاسلام ... فلم نزل كذلك حتى بعث الله فينا نبيا وانزل عليه الكتاب ... » الطبرى ج ٣ ص ٥٧٤ (المراجع) .

معركة القادسية والاستيلاء على المدائن[1] : (١٤ هجرية — ٦٣٥ م)

كانت القادسية تقع بالقرب من مكان عرف بعد ذلك بإسم كربلاء . وهناك إلتقى الجمعان، ونشبت معركة حامية الوطيس إستمرت أربعة أيام ، وكان النصر فيها حليفاً للإيرانيين خلال اليوم الأول بسبب الفيلة .فقد تمردت خيول المسلمين نتيجة الذعر الذى أصابها منها .

وفى اليوم الثانى وصلت الإمدادات إلى المسلمين من الشام ، فهزموا فرسان إيران وأنزلوا بهم خسائر فادحة قدرت بحوالى عشرة آلاف فارس .

وفى اليوم الثالث فقأ القعقاع بن عمرو — وهو قائد جيش الإمداد الذى كان قد وصل من الشام — عين فيل أبيض بحربة ، وفعل آخر نفس الشىء بفيل آخر ، فارتدت الفيلة ،وأصابت صفوف الجيش الإيرانى بالخلل والفوضى وفى مساء اليوم الرابع إنقسم المسلمون إلى مجموعات متعددة وأغاروا ليلا على الجيش الإيرانى ، ولم يتركوا مجالا له حتى يرتاح ، إذ إستمرت الحرب طوال الليل[2] .

وفى اليوم الرابع نشبت معركة شديدة ، وفى هذه الأثناء هبت ريح عاتية ألقت بتراب ميدان الحرب فى وجوه الإيرانيين ، وأدت إلى حدوث خلل وإضطراب شديدين فى صفوفهم . وإستفاد المسلمون من هذا الوضع ، وحملوا بشدة عليهم ، فمزقوا قلب الجيش الإيرانى ، وألقى رستم بنفسه فى الماء وسبح هاربا ، لكن مسلما يدعى هلال بن علقمة تعقبه وقتله ، ثم وضع رأسه على حربة وصعد على عرشه وصاح قائلا : قسما برب الكعبة لقد قتلت رستم » . بعد ذلك صمد الجيش الإيرانى من جديد ، ولكن وصل إمداد للمسلمين وهزم جيش إيران . وفى هذه الحرب سقط علم كاويان (درفس كابيـــان) فى يد المسلمين . ويروى أن جواهره كانت تساوى مائتى ألف تومان تقريبا بعملة اليوم ، لكن العربى الذى حصل عليه باعه بخمسة آلاف تومان .

---

(١) المدائن هى نفسها طيسفون . وقد أطلق العرب عليها اسم المدائن لانها كانت تتكون من ثلاث مدن .

(٢) تسمى هذه الليلة بليلة الهرير .

أعطى سعد بن أبى وقاص بعد هذا الإنتصار راحة لجنوده لمدة شهرين بأمر من عمر، ثم قام بالإستيلاء على البلاد الواقعة بين الفرات ودجلة . وفى سنة ١٦ هجرية تحرك قاصدا المدائن، فعرض عليه يزدگرد أن يعيد للمسلمين البلاد الواقعة ناحية دجلة ويعقد الطرفان صلحا، لكن سعد رفض هذا الطلب باستهواء . ومهما كان لموقعة القادسية من أهمية كبيرة من حيث الإنتصارات التى أحرزها العرب، إلا أن يزدگرد كان يملك وسائل الدفاع التى تمكنه من صد هجماتهم . ومن ذلك مثلا أنه يستطيع أن يعطل عبورهم لدجلة فترة، نظرا لعدم خبرتهم بصناعة السفن، لكنه لم يقدم على ذلك . وكذلك فبمجرد أن علم باقتراب المسلمين من دجله غادر طيسفون، وبعـــد أن إستولى سعد على وه اردشير (سلوقية) حدس أن فى دجلة مكانا غير عميق، فعبر النهر المذكور بجيشه . وأصيب العرب بالحيرة والدهشه بعد دخولهم طيسفون إذ شاهدوا عظمة هذه المدينة وثراءها وأبهتها، ووقعت فى أيديهم غنائم وذخائر لا تحصى[1] . ولم تكن أغلبية العرب تعرف الذهب، وكانوا يظنون الكافور ملحا . وإذا نحينا العرش والذهب والجواهر والأشياء النفسية وسجادة بهار ستان[2] التى أرسلت إلى عمر جانبا، فقد وصل نصيب كل عربى من الغنائم التى قسمها المسلمون إلى ألفين وخمسمائة تومان بعملة اليوم كما يقال، فى حين أن عدد المسلمين كان يصل إلى ستين ألف رجل .

---

(١) يصف ابن كثير فى كتابة البداية والنهاية (ج ٧ ص ٦٦ الطبعة الثانية ١٩٧٤ م) الغنائم التى غنمها المسلمون فى هذه المعركة فيقول : « واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد فى الدنيا أعجب منه . وكان فى جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفسية التى تحير الأبصار، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه، وكان مربعا ستون ذراعا فى مثلها، من كل جانب، والبساط مثله سواء، وهو منسوج بالذهب واللآلىء والجواهر الثمينة، وفيه مصور جميع ممالك كسرى، بلاده بأنهارها وقلاعها، وأقاليمها، وكنوزها، وصفة الزروع والأشجار التى فى بلاده . . . » (المترجم) .

(٢) سيأتى وصف هذه السجادة .

موقعة جلولاء :

أراد سعد فى بداية الأمر أن يتعقب جيش إيران ، غير أن عمر أمره بقضاء الصيف فى المدائن . وبعد فترة علم سعد أن يزدگرد جمع جيشا فى حلوان[1] ، وأنه بصدد الحرب ، فما كان منه إلا أن أرسل هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو مع إثنى عشر ألف رجل إلى هناك ، ونشبت معركة حامية بين الطرفين فى جلولاء[2] . ووصلت إمدادات لكلا الطرفين ، وإنتصر العرب مرة ثانية . وكان قائد الجيش الايرانى من أهل الرى ويدعى مهران (ذكر البعض أن إسمه خره زاد) . وأصاب العرب غنائم كثيرة بعد هذه المعركة ، فأخذوا من ميديا مائة ألف جواد أصيل (١٦ هجرية / ٦٣٧ م) .

وأراد سعد بعد ذلك أن يتعقب يزدگرد ، لكن عمر كتب له يخبره بأن بلاد ما بين النهرين كافية للعرب . وياليت كان هناك سد بين بلاد مابين النهرين والبلاد التى تقع ناحية الجبال (المقصود بالجبال جبال كردستان أو جبال زاگروس) حتى لا يتمكن الإيرانيون ولا العرب من عبورها . ومن ثم قام سعد بالاستيلاء على مدن ما بين النهرين (١٦ هجرية) .

وفى السنة التالية شيد المسلمون مدينتى الكوفة والبصرة (١٧ هجرية) ، فأقيمت الكوفة بالقرب من الحيرة القديمة ، وبنيت البصرة على أنقاض مدينة الابله . وبعد بناء هاتين المدينتين انحط شأن المدائن والحيرة .

إتجه المسلمون صوب البحرين لكى يغيروا على فارس عن طريق البحر وساحل الخليج ، وتقدموا منتصرين ، ولكنهم هزموا بعد ذلك . ومع أنه وصل لمساعدتهم إثنا عشر ألف جندى إلا أنهم إضطروا للعودة إلى البصرة . وشجع هذا النصر الذى أحرزه الإيرانيون آنذاك الهرمزان حاكم خوزستان

---

(١) كانت حلوان فى ذلك الوقت قلعة فى جبال كردستان (زاجروس) .

(٢) كانت جلولاء قريبة من حلوان .

على إخراج العرب من الأهواز، فقامت بينه وبين العرب معركة إستردوا بعدها الأهواز (١٩ هجرية = ٦٤٠ م) ، ولكن طال حصار شوشتر وخضعت هذه المدينة لسيطرة المسلمين بعد ١٨ شهرا فقط ، فذهب الهرمزان إلى عمر وقتل بعد ذلك فى المدينة على يد إبن عمر .

موقعة نهاوند : (٢١ هجرية = ٦٤٢ م) . كانت هذه المعركة آخر المعارك التى خاضها يزدگرد مع المسلمين، ذلك أنه إستغل توقف جيوش العرب فى ما بين النهرين واشتغالهم بالشئون الداخلية وأعد جيشا من جديد . ولما علم المسلمون بما يعده يزدگرد ، تحرك جيش بقيادة النعمان بن مقرن إلى حلوان ليهاجم الرى من هناك .

وهنا وصلت أخبار تفيد أن جيش يزدگرد فى نهاوند ، عندئذ أسرع النعمان إلى تلك الناحية مع ثلاثين ألف مقاتل ، ونشبت معركة نهاوند . ورغم تفوق الجيش الايرانى من ناحية الكم فقد إختار الحرب الدفاعية كما أمر بذلك قائده فيروزان ، وحارب الايرانيون خلف الخنادق ولم يحاربوا فى السهول إلا قليلا . ولذلك طالت الحرب وأوشكت مؤن الجيش العربى على النفاذ . وفى هذه الأثناء إصطنع النعمان حيلة ، إذ إنسحب معلنا أنه ذاهب إلى المدينة لوصول خبر وفاة الخليفة .

وعلى أثر هذا إنخدع فيروزان وتعقبه، ولكن بمجرد أن خرج جنود إيران من خنادقهم ووصلوا إلى المكان الذى أراده النعمان ، عاد المسلمون وحملوا عليهم بشدة حتى قضوا عليهم . وقتل النعمان خلال المعركة وحل محله حذيفة ، وانتهى القتال ، وقد سمى رواة العرب هذا الانتصار باسم فتح الفتوح .

الاستيلاء على ولايات إيران وموت يزدگرد :

بعد معركة نهاوند وخلال عشر سنوات خضعت اصفهان وفارس وآذربايجان (حتى دربند) والرى وسيستان ومكران وغيرها من الولايات للعرب ، غير أن كل ولاية من هذه الولايات والمدن جمعت جيشا ودخلت فى

حرب مع العرب سواء على حدودها أو فى داخلها ، وكانت الهزيمة من نصيبها . وحافظت طبرستان فقط على إستقلالها حتى منتصف القرن الثـــانى الهجرى (٧٦٩ م) ، وحكمت هناك أسرة السپهبديين[١] واستولى العرب على خراسان بعد إستيلائهم على سائر ولايات إيران .

وعلى العموم ، وكما يستفاد مـــا ذكره المؤرخون العرب ، فقد دخل الايرانيون فى معارك كثيرة مع العرب ، وصمدوا أمام المسلمين أكثر من الروم بمراحل كثيرة .

قتل يزدكرد بعد عشر سنوات من موقعة نهاوند* (٣١ هجرية = ٦٥٢ م) إذ إنتقل آخر ملك ساسانى بعد هزيمة نهاوند من الرى إلى أصفهان ، ثم إلى مكران . ثم إلى بلخ ومرو ، وأرسل رسولا إلى الصين طالبا العون من فغفور ، ولكن الصين إمتنعت عن تلبية طلبه نظرا لبعدها عن إيران ودخل يزدكرد بعد ذلك فى مفاوضات مع خاقان الترك الذى قبل فى البداية مساعدة يزدكرد ولكنه إمتنع بعد ذلك نتيجة عدم رضائه عن تصرفاته .

وعلم يزدكرد بسوء النية التى يبيتها له ماهوى مرزبان مرو ، ففر هاربا ولجأ إلى طحان[٢] بالقرب من مرو ليقضى الليل عنده ، ولكنه قتل يزدكرد طمعا فى ملابسه الفاخرة وجواهره ، ويقال أنه دفن فى فارس طبقا لبعض الروايات .

الأسرة الساسانية بعد موت يزدكرد :

بلغت مدة حكم هذه الأسرة فى إيران ٤١٦ عاما ، غير أن انقراضها لا يتفق مع وقت زوال الدولة الساسانية ؛ فقد ذكر المؤرخون الصينيون أن يزدكرد الثالث أرسل فى السنة السادسة عشرة من الهجرة (٦٢٨ م) رسله الى البلاط

---

(١) كانت هذه الاسرة من عائلة قارن پهلو البارتى .

(٢) يطلق الفردوسى على هذا الطحان اسم خسرو .

الصينى طالبا العون ، ولكن فغفور الصين إمتنع نظرا لبعد إيران . وبعد موت يزدگرد نصب إبنه فيروز الثالث نفسه ملكا على إيران ، وإعترف به فغفور على هذا الأساس .

وبقى فيروز بعد ذلك فى جبال طخارستان[1] لإعداد جيش يحارب به العرب ، وساعده ملك طخارستان الذى كان فى منأى عن العرب ، وإعترف به ملكا على إيران .

وفى سنة ٦٦١ م نظمت دولة الصين ممالكها الغربية ، وأنزلت هزيمة بأتراك تركستان أثناء ذلك ، وكونت دولة بإسم إيران وفوضت حكمها الى فيروز ، وكانت هذه المملكة تسمى (توى كيك) . ولا يعرف أين كانت . ولم يتمكن فيروز بعد فترة من البقاء فى توى كيك بسبب هجمات المسلمين، فذهب الى الصين وطلب من فغفور السماح له بإقامة بيت نار فى چان كان ، ولكنه سرعان ماقضى نحبه . وطبقا لما ذكرته المصادر الصينية كذلك ؛ فقد أقام أمراء من ايران علاقات مع الصين من بعده .

وذكر المؤرخون الصينيون أيضا أن ملك ايران أرسل فى سنة ٧٣٢ م (كيلى) النسطورى وسولا الى بلاط الصين، ولكنهم لم يذكروا اسم ذلك الملك.

ايران بعد موقعة نهاوند: دخل العرب بعد معركة نهاوند فى حروب ومعارك مع الايرانيين فى انحاء ايران المتفرقة ، ومع أن طبقة الحرفيين والعمال الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم لأهل المدن سرعان ماقبلوا حكم العرب بسبب عدم رضائهم عن تضييق المغان على بعض المكاسب والحرف ، بينما قاوم سكان القرى والعشائر والقلاع ، نظرا لأن مالكى الأرض كانوا غالبـــا من طبقة الأشراف ، ولم يستسلموا بسرعة للحكم العربى . ومثال ذلك ماحدث لقلعة أستو وند فى الرى التى قاومت حتى سنة ١٤١ هجرية ، كما بقى الملوك والأمراء المحليون فى بعض مناطق ايران عدة قرون بعد الغزو العربى ، ولم يتمكن الخلفاء الأمويون والعباسيون من السيطرة عليها تماما (مثل طبرستان وگيلان) .

---

[1] تقع طخارستان شرق بلخ وعلى شاطىء نهر جيحون .

ويجب أن يؤخذ فى الإعتبار كذلك أنه على الرغم من أن إيران فقدت إستقلالها فى ذلك الحين بسقوط الدولة الساسانية، إلا أن روح الرغبة فى إستقلال إيران ظلت حية ، وظل الخلفاء الأمويون يرسلون بجيوش تتكون من مائة ألف أو مائتى ألف جندى إلى إيران كل عدة سنوات وخلال أكثر من قرن لإخماد الثورات الايرانية . ورغم كل ما بذلوه من جهد، فإنهم لم يتمكنوا من القضاء عليها . وانتهت المعارك والمنازعات بين الايرانيين والخلفاء فى نهاية الأمر بإنتصار أولى ، اذ أطاح الايرانيون بخلافة بنى أمية وأسسوا خلافة بدلا منها كانت من حيث نظامها وادارتها شبيهة بالدولة الساسانية ، فأمنت نفوذ إيران فى بلاط الخلفاء العباسيين . ولم تنته الحرب الايرانية مع الخلفاء رغم وجود هذا التغيير المهم ، وأخذت الدلائل كلها تشير الى أن الايرانى لم يعد يحتمل بعد ذلك السيادة السياسية لبغداد، وعلى أثر ذلك الاحساس تأسست دويلات فى مناطق مختلفة من ايران كانت تعترف اسما بخلافة بغداد ، ولكنها كانت فى الحقيقة مستقلة (كالديالمة وغيرهم) . وبهذا النظام عاد استقلال ايران السياسى تدريجيا منذ أواخر القرن الثالث الهجرى تقريبا ، بعد أن كان قد ضاع بسقوط الدولة الساسانية ، ودخلت ايران مرحلة جديدة ، وشرح هذه الأحداث يدخل فى عصور أخرى من تاريخ ايران .

الفصل الثانى

الحضارة الإيرانية فى العصر الساسانى

المبحث الأول

طبقات الشعب — النظم الادارية — النقود — التجارة — العلاقات الخارجية

الطبقات : —

قسم شعب إيران إلى أربع طبقات :

١ — طبقة رجال الدين (آثروان) .

٢ — طبقة رجال الحرب (آرتشتاران) .

٣ — طبقة المستخدمين بإدارات الدولة أو الكتاب (دبيهران) .

٤ — طبقة الزراع والصناع (واستري يوشان وهتخشان) .

وتقسم كل طبقة من هذه الطبقات إلى أقسام أخرى ، ولكل منها رئيس يرأس مجموعة من المستخدمين مثل المفتش والمحاسب والناظر وغيرهم ممن يؤدون الأعمال الخاصة بالطبقة .

وكان رجال الدين ينتخبون من المغان ، ويقال للواحد منهم مؤبذ[1] ، ويطلق على رئيس الموابذة إسم الموبذان موبذ ، وهو الذى يفصل فى كل

---

(١) كانت كلمة مؤبذ فى الاصل مغوبات ثم تحولت الى مغ بت ثم الى مؤبذ .

الأمور الدينية فصلا نهائياً ويبت فيها وينتخب الملك ، ويعين بقية رجال الدين طبقا لرأيه . وستأتى القاب رؤساء سائر الطبقات[1] فيما بعد .

وترى كذلك تقسيمات فى عصر الساسانيين يعتقد الباحثون أنها ميراث من عصر البارثيين ، وأن الساسانيين حافظوا عليها . وعلى أية حال فهى كما يلى :

١ — طبقة الشهر داران (شترداران) ، أى الذين يحكمون البلاد مثل ملوك أرمينية والحيرة التابعين وغيرهم ، وحكام الولايات وحكام الثغور أو المرازبة (مرزبان ها) ويلقب الحكام (شهرداران) الذين ينتسبون إلى الأسرة الحاكمة بلقب ملك (شاه) .

٢ — طبقة ويس بوران (ويسپوهران)[2] ؛ وهذا الإسم يطلق على سبع عائلات ممتازة : ثلاث منها پارثية وتلقب نفسها بلقب پهلو ، وأربع عائلات

---

(١) تحدث تنسر فى كتابه عن طبقات الشعب الايرانى فى ذلك العصر بقـــوله · « اعلم ان الناس فى الدين أربعة أعضاء ، وقد ورد كثيرا فى كتب الدين ، بلا جدال او تأويل او خلاف او اقاويل ، ان هؤلاء يسمون الاعضاء الاربعة · ورأس هذه الاعضاء الملك · والعضو الأول هو أهل الدين · وهذا العضو أصناف ، فمنه الحكام والعباد والزهاد والسدنة والمعلمون · والعضو الثانى المقاتلة ، وهم قسمان : الفرســـان والرجالة ، وهم يتفاوتون بعد ذلك بمراتبهم واعمالهم · والعضو الثالث الكتاب ، وهم ايضا طبقات وانواع ، فمنهم كتاب الرسائل والمحاسبات والاقضية والسجلات والعقود وكتاب السير · ويدخل فى طبقتهم الاطباء والشعراء والمنجمون · والعضو الرابع المهنة ، وهم الزراع والرعاة والتجار وسائر أهل الحرف والناس فى عهد زاهر دائما ما حافظوا على هذه الاعضاء الاربعة ولم ينتقلوا من طبقة الى اخرى ·

ولا يجوز مطلقا أن ينتقل أحد من طبقة الى اخرى ، الا أن يلاحظ فى امرىء أهلية شائعة فان أمره يعرض على الملك ، بعد اختبار الموابذة والهرابذة اياه وطول مشاهدتهم له ، فاذا رأوه مستحقا أمر الملك بالحاقه بغير طبقته » · كتاب تنسر ص ٣٢ (المترجم)

(٢) يقال لطبقة ويس بور بربيد كذلك ، وهى كلمة أرامية بمعنى رئيس العائلة أو رب الأسرة ·

أخرى ، كانت تطلق على نفسها أيضاً لقبا بهلويا ، لانهم كانوا يعتقدون أن نسبهم يصل إلى البارثيين . ولرؤساء تلك العائلات مناصب خاصة متوارثة كما أسندت لهم بعض الوظائف الشرفية . ولم يكن محل إقامتهم يتغير (مثلا كانت أسرة قارن تقيم فى نهاوند ، وسورن فى سيستان ، وإسپنديار فى الرى ، وسپهبذ فى گرگان ، ومهران فى فارس) . وكانت هذه العائلات تملك أرضا وأملاكا واسعة لا تتدخل الدولة فى إدارتها ، ولكن لا يسمح لهم ببيعها ؛ أى أنها تنتقل من جيل إلى آخر .

٣ — طبقة العظماء (وزرگان)؛ وهى تشمل على كل من يتصدون للأعمال العامة بالمملكة . وأصحاب المناصب العامة كما يبدو هم :

(ا) كبير الوزراء (وزرك فرماذار) .

(ب) كبير الموابذة (مؤبذان مؤبذ) وهو الرئيس العام لرجال الدين .

(ﺟ) رئيس كتاب الملك (ايران دبير بذ) .

(د) السپهسالار أو القائد (ايران سپهبذ) .

(ﻫ) رئيس طبقة الزراع (واس ترى يوشان بذ) .

(و) رئيس طبقة التجار والمهنيين (هتخشان بذ) .

وكان هؤلاء يديرون شئون الدولة ، كما كان الاول ممثلا لملك والآخرون ممثلين للطبقات الاربع .

٤ — آزادان أو الاشراف (آزاتان) ؛ ليس معروفا من أين جاء لقب آزادان هذا ، ويقال أنه عند مجىء الإيرانيين إلى أرض إيران ، أطلقوا على أنفسهم لقب آزاد تمييزا لهم عن السكان الإصليين ، ودخل تحت هذا اللقب قسم من العظماء بعد ذلك ، وكانوا يعيشون فى الغالب داخل أملاكهم وأراضيهم ، وهم مستعدون للمشاركة فى الحرب عندما يتطلب الامر ذلك ،

كما كان بعض الأشراف يقيم فى البلاط ويصل إلى أعلى المناصب (مثل وه رزا).
وهناك لقب آخر هو الدهقان (دهكان) ، ويعتبر الدهاقنة من طبقة تلى طبقة النبلاء ، وكانوا يعيشون أيضاً فى أملاكهم وعملهم الرئيسى هو جمع الضرائب : ولأنهم كانوا على علم دقيق بالضرائب المحلية ، فلم يكن يستغنى عنهم ، وكانت لهم أهمية فى تاريخ إيران ، اذ يستفاد من دراسات الباحثين أنهم كانوا حلقة إتصال بين سواد الشعب والعظماء الآريين ، وانتشرت عن طريقهم فى المجتمع الصفات الحسنة التى اتصف بها العظماء من شجاعة أخلاقية وفتوة ، ورسخت به . ويعتقد بعض الباحثين أنه كان للعظماء الإيرانيين عيوب كثيرة ، ولكنهم كانوا أيضاً يتصفون بصفات لم تتوفر لدى أى أمة من الأمم القديمة حتى أمة الروم ، هذه الصفات هى الأدب والمروءة .

ولم يكن الزراع يستطيعون تغيير مواطنهم وسادتهم ، وتلقى على عاتقهم أعباء الخدمة العسكرية وأعمال السخرة اذا دعت الضرورة لذلك . وكان سكان المدن فقط هم الذين يدفعون ضريبة الرؤوس ويعفون من تأدية الخدمة العسكرية ويتم الإنتقال من الطبقة الأدنى الى طبقة العظماء بعد تدقيق وامتحان وبإذن من الملك .

النظم الإدارية :

كانت ايران قد قسمت قبل أنوشيروان الى عدة أقسام ، يحكم كل قسم منها حاكم ، وفى هذا العصر لم يكن يذكر لقب خشتروان ، وغالب الظن أنه اندثر على عهد الاشكانيين . وكانوا يسمون حكام الاقاليم أو الثغور بالمرازبة ، ويعطى للمرازبة ذوى الأهمية عرش من فضة ماعدا مرزبان حدود الخزر الذى كان عرشه من الذهب . ويلقب الحكام الذين ينتسبون الى الأسرة الحاكمة بلقب ملك ، وعندما دخل العرب ايران كان عدد الملوك قد وصل الى ستة وعشرين ملكا . وقد قسم انوشيروان كل ايران الى أربعة أقسام ، وأطلق على كل قسم منها پاذ كس وسماه باسم احدى الجهات الاربع :

الشمالى ـ أواختر ، الشرقى ـ خور آسان ، التى صارت خراسان فيما بعد ، الجنوبى ـ نيمروز ، الغربى ـ خور وران (أو : خوربران) . وعين على كل قسم من هذه الاقسام حاكماً يدعى پاذكس بان ، وهو الذى يعين الحكام ونواب الحكومة ، غير أن الجيش لم يكن تحت امرته . وينفذ الحكام تعليمات قائد الجند الذى لقب بالسپهبذ . وكان عدد هؤلاء القادة أربعة فقط . وفى بعض المناطق كان الحكام يعينون من قبل حكام المديريات (استندارها) ، وكانوا يديرون الأملاك الحكومية فى السابق . وفى أوائل العصر الساسانى ووسطه لم يكن للإصبهبذين أى تفوق على الحكومة الاقليمية غير أنه منذ زمن انوشيروان وحتى نهاية الأسرة الساسانية دخل حكام الاقاليم والثغور تحت إمرة الاصبهبدين ، وكانت إدارات الدولة تسمى بالدواوين [١] ، ويبدو أن الديوان وجد فى إيران منذ عصر الهخامنشيين .

المالية :

كان دخل الدولة الساسانية يأتى من نوعين من الضرائب ، اولا من الخراج أو الضرائب العقارية . ثانيا ، من الجزية (گزيت) ضريبة الرؤوس التى سميت فى العصر الإسلامى بالجزية . ولم يتغير النوع الأخير من الضرائب : بمعنى أنه كان يحدد مبلغ لكل قسم من أقسام المملكة ويقسم على عدد سكان القرية ، ويحدد خراج كل ناحية طبقا لدرجة خصوبتها ، وعلى كل قرية أن تدفع من سدس إلى ثلث محصولها حسب سنوات الرخاء أو القحط ، أو بالنظر

---

(١) كانت الدواوين على النحو التالى :

(أ) الشئون الحربية

(ب) الطرق ودوائر البريد

(جـ) الاوزان والمكاييل

(د) الضرائب

(هـ) النقـود

(و) ارسال المراسلات

(ز) محكمة العقوبات

(ح) الامتيازات الحكومية .

إلى المسافة بينها وبين المدينة ، واعفى من دفع الضرائب النساء والأطفال والشيوخ. أما من يدفعون ضريبة الرؤوس فهم من ليس لهم نسب ملكى وكذلك اليهود والمسيحيون . ولما كانت هذه الضرائب تقدر جزافا ، وأدت جبايتها إلى الظلم والإعتداءات المتكررة من قبل موظفى الحكومة ، ولما كان موظف الحكومة لا يحدد مقدار الضرائب التى يجب على الوارع أو المالك دفعها ، مما يعطل جنى المحصول ؛ لذا فقد فكر قباد فى إعداد نظام جديد للضرائب، أتمه أنوشيروان فيما بعد ،فمسحوا الاراضى الخصبة والمزروعة وجعلوا الكريب - وكان يعادل الفين وأربعمائة ذراع مربع بقياس اليوم - أساساً لضرائب الأرض ، أى أن يطالب بمقدار معين وعدد من الضرائب عن كل كريب[1] ، تحصل الضرائب على أربعة ، أقساط وكانوا يطلقون على القسط إسم (سى مرك) أو ذى الثلاثة شهور . وأعفيت المحاصيل التى لم تذكر فى هذا الهامش من الضرائب .

وكان هذا الإصلاح الضربي مع عيوبه سبباً فى سعادة الشعب ورفاهيته نظراً لما كان يقاسيه من عدم تحديد الضرائب وكثرتها فى العهود السابقة . وقد تم إصلاح جزية الرؤوس أيضاً فى عهد أنوشيروان ، إذ قسم الشعب من ناحية الملكية التقريبية إلى عدة طبقات ، وقرر لكل طبقة مبالـــغ لجزية الرؤوس[2] ، وأعفى من دفع هذا النوع من الجزية رجال الحرب ورجال الدين والكتاب والمستخدمون فى إدارات الدولة . وكانت جزيه الرؤوس تؤخذ من سن العشرين إلى سن الخمسين . ولتنفيذ القرارات المذكورة صدر الامر إلى قضاة الولايات بالإشراف على تنفيذها والتحقيق فى الشكاوى التى تقدم لتعدى موظفى الدولة ، وإطلاع العاصمة على هذا بإنتظام .

---

(١) هذه المقادير هى : درهم من القمح والشعير ، ثمانية دراهم من كرم العنب ، سبعة دراهم من البرسيم ، خمسة أسداس الدرهم من الارز . وكانوا يحصلون ضرائب عن أشجار النخيل والزيتون طبقا لعدد الاشجار : درهم لكل أربع شجرات نخيل ولكل ست أشجار زيتون .

(١) كانت الطبقة الاولى تدفع اثنى عشر درهما فى العام ، وتدفع الطبقة المتوسطة ثمانية أو ستة دراهم ، وتدفع بقية الاهالى أربعة دراهم .

كانت الضرائب إذن هى (أهم) موارد الدخل العادية للدولة الساسانية ، ولكن وجدت موارد دخل كبيرة كذلك للدولة كالغنائم الحربية والغرامات التى كانت تحصلها من بلاد الروم ، والهدايا التى كان يقدمها أثرياء المدن فى عيدى النوروز والمهرجان ، وعائد معادن الذهب وغيره . ويظن البعض أنهم كانوا يحصلون الجمارك فى ذلك الوقت ، ولكن هذا غير مؤكد . وقد وصل دخل الدولة فى عصر كسرى برويز إلى مائتين وأربعين مليونا من الدراهم تقريباً[١] .

الجيش :

كان الأساورة (الفرسان) يشكلون القسم الرئيسى من الجيش ، ويتكون الفرسان من :

أولا ـ الأساورة الخالدون[٢] ـ تذكار العصر الهخامنشى ـ ولا يعرف كم كان عددهم .

ثانياً ـ الأساورة المتطوعون ، وهم الذين كان يعدهم الملوك التابعون للخدمة ، ويرى بينهم كل أنواع الطوائف (من ديالمة وكيلكيين وبد وكركان وأرمن وغيرهم) .

ثالثاً ـ الأساورة الفدائيون « جان ايسپار » وهم جنود مأجورون .

وتتكون الأسلحة الدفاعية التى يستخدمها الفرسان من ترس وخوذة ودرع

---

(١) تعادل أربعين مليون تومان بعملة اليوم تقريبا ـ يرى يوستى أن الدخل المذكور يعادل ٢٩٤ مليون مارك ذهبا (أساس فقه اللغة الايرانية) .

(٢) كان لدى الساسانيين ، كما كان للاكمينيين ، فرقة من الفرسان المختارين تسمى (فرقة الخالدين) وهى تتكون كانموذجها الاكمينى ، من عشرة الاف رجل يحمل رئيسهم لقب (ورهر نيكان خوذاى) .

انظر ايران فى عهد الساسانيين ـ كريستنسن ص ١٩٨ . (المترجم) .

وجوشن وأشياء أخرى تغطى الرأس والصدر واليدين والقدمين وغير ذلك . وتغطى اجساد الخيول أيضاً بقطع الحديد .

أما الأسلحة الهجومية ، فكانت عبارة عن السهم والقوس والسيف والدبوس والبلطة والأنشوطة. وكان الفرسان المسلحون بأسلحه ثقيلة يحملون أسلحة هجومية ودفاعية ، وكانت ميزة الجيش الإيرانى فى العصر الساسانى ، والتى تميز بها عن نفس الجيش فى العصر الأشكانى ، هى إحتواؤه على الفرسان المسلحين بأسلحة ثقيلة . وقد مدح المؤرخون الروم واليونانيون رماة السهام الإيرانيين .

ولم يكن للمشاة أهمية تذكر ، فقد كانوا يجمعون القرويين ويعطونهم الأسلحة والتروس ويرسلونهم للحرب (لم تكن تدفع لهم مرتبات فى الغالب). ولما كانوا أحيانا يلقون بأسلحتهم ويفرون ، فقد إستخدموهم غالبا فى تأدية الأعمال البعيدة عن صفوف القتال . واستخدموا الفيله خلف الصفوف ، لأنهم كانوا فى حكم الذخيرة « أو القوات الإحتياطية » ، إذ كانوا يضعون فوقها أبراجا مليئة بالمحاربين. وكانت الفيلة ذات فائدة عظيمة فى الحروب التى قامت بين إيران والروم ، وإستخدمت أحيانا فى مقدمة الجيش لبث الذعر بين خيول فرسان العدو كذلك . وكانت راية الجيش هى علم كاويان « درفش كاويانى » (وهو تذكار من كاوه الحداد الأسطورى) ، ولهذا العلم إحترام كبير عند الايرانيين القدماء ، لأنهم إعتبروه علما خاصا بإيران . وقد زادوا بعد ذلك من طول هذا العلم وعرضه حتى أصبح طوله إثنين وعشرين قدما وعرضه خمسة عشر قدما فى أواخر العصر الساسانى ، وزين كله بالجواهر الثمينة .

وكانوا قبل الحرب يقومون بإجراء عادة دينية وهى صب الماء المقدس فى أقرب مجرى مائى ، ولابد من غسل السهم الأول بالماء المقدس ، وأحيانا وقبل أن يلتحم الجيشان كان القائد أو المحارب يطلب مبارزا ويصيح قائلا : « مرد ومرد » أى رجل ورجل ، وإذا كان الملك هو قائد الجيش وضعوا له

عرشا وسط الجيش ليجلس عليه ويعطى أوامره . ولم يكن الملك يقوم بالهجوم بنفسه عادة ، لكنهم ذكروا أن سابور الكبير ألقى بنفسه بين صفوف الأعداء .

وقد راجت فنون الحصار فى حروب العصر الساسانى مثل حفر الخنادق، وإقامة الأبراج ، واستخدام المنجنيق وسائر الآلات ، ونقب جدران القلاع والقاء الرصاص المذاب على رؤوس المهاجمين ، والاستيلاء على أدوات الحصار من العدو بواسطة الأنشوطة وغيرها . وكان الايرانيون يؤدون هذه الأعمال بمهارة ، ويطيعون الأوامر العسكرية طاعة عمياء . ويجب على قائد الجيش — بالاضافه الى خبرته العسكرية — أن يكون صلبا هادئا شديد التحمل .

وكان طعام الجيش يتكون فى وقت الحرب من الخبز واللحم واللبن ، وبلغ الحد الأقصى للمرتبات ٤٠٠١ درهما ، وهو الذى كان يدفع للقائد العام أى الملك [1].

القضاء .

كان القضاة يعينون من بين رجال الدين ، لما كان لهم خاصة من اطلاع وعلم بأصول التقاضى . وأحيانا كانوا يعينون من أفراد العائلات العريقة ، لكن تعيينهم يكون للحكم بين العظماء . وهناك قاض لكل ناحية . والدهقان فى القرية هو الذى يحقق فى القضايا . ويفصل فيها أحيانا . وبالاضافة لهؤلاء عين قاض لكل جيش . وقسمت الجرائم الى ثلاثة أنواع .

١ — جريمة فى حق الدين « ردة » .

---

(١) كان يجب على ذوى المناصب والافراد المرور فى عرض لاستلام مرتباتهم ، فاذا كانت ملابسهم أو أسلحتهم ناقصة لا تعطى لهم الرواتب . وذات يوم اضطر انوشيروان للعودة الى منزله لاستكمال ملابسه وأسلحته لكى يقبض مرتبه .

٢ — جريمة فى حق الملك كالخيانة والتمرد والطغيان والثورة والفرار من الجيش أثناء الحرب وما الى ذلك .

٣ — جريمة فى حق الأفراد ، أى التعـدى على الغير أو على أموالهم . وكانت عقوبتها شديدة ، لكن أنوشيروان خفف من العقوبات ؛ فالمرتدون كانوا يسجنون ويحاولون بالموعظة ردهم عن الدين الجديد ، فإذا نجحوا فى ذلك أطلقوا سراحهم ، وبالنسبة للجرائم التى تكون فى حق الملك ، فقد كان يصدر الحكم بالإعدام فى إثنتين منها فقط : الثورة والفرار من الحرب ، وأما جرائم النوع الثالث ، فلم يكن يصدر حكم بالإعدام بل يكتفى بعقاب المجرم ببتر عضو منه أو تغريمه . غير أن عقوبة السرقة كانت شديدة ، إذ كانوا يلقون باللص فى السجن مقيدا بالأغلال ويشنق بعد أن يقر ويعترف فى حضور القاضى .

ومن العقوبات الشائعة فى ذلك الوقت أيضاً قطع الآذان أو الأنف ، والصلب ، والرجم حتى الموت ، ولكن أنوشيروان خفف هذه العقوبات أيضاً وإكتفوا فى الجرائم التى كانت عقوبتها البتر بتغريم المجرم غرامة مالية فى المرة الأولى ، وإذا تكرر منه هذا الجرم كانوا يقطعون أذنه أو أنفه (كان قطع اليد ممنوعا) . وعندما كان يحدث شك فى إرتكاب المتهم للجريمة كانوا يستخدمون وسائل وهمية (وريه ـ ابتهال) ، فمثلا كانوا يجبرون المتهم على المرور بين نارين ، فإذا خرج سالما إعتبروه غير مذنب .

ومن مساوىء عقوبات العصر الساسانى إنتقال عقوبة الجانى إلى أسرته فيتعرض أفراد أسرته (وخاصة أقرب أقربائه) للعقوبة كذلك[١] . وكان الملك يستقر فوق موضع مرتفع وقد امتطى جواده أثناء التحقيق ، ويحقق فى شكاوى الناس . وفى أوائل العصر الساسانى كان الملك يعطى إذنا عاما مرتين

---

(١) الاعتقاد الغالب أن هذه العقوبة كانت تنفذ عند ارتكاب الجرائم السياسية .

كل عام إحداهما فى النوروز(١) والثانية فى المهرجان(٢)، ويعلن المنادون الناس قبل ذلك بعدة أيام حتى يحضر من كان له شكوى فى ذلك اليوم. وفى اليوم المذكور كان منادى القصر الملكى يصيح قائلا : « من يمنع أصحاب الشكاوى من الحضور سيسأل عن ذلك » .

---

(١) النوروز (روز نو) – أى اليوم الجديد – عيد أول العام ، أى اليوم الاول من شهر فروردين – وقد جاء فى كتاب « ايران فى عهد الساسانيين » لكريستنسن (ص ١٦٢) • عن النوروز : « انه كان من اكبر الاعياد الشعبية كما هو اليوم فى ايران ويسمى فى البهلوية نوك روز ، وهو يوم رأس السنة الذى يلى عيد فروردیکان مباشرة فى السنوات البسيطة • وقد جاء فى الدينكرد ، أن الملوك كانوا يسعدون رعاياهم فى جميع الولايات فى هذا اليوم السعيد ، وكان من يشتغل يستريح ويحتفل بالعيد • وقد عدد نص بهلوى حديث كل الحوادث الماضية والمستقبلة المتصلة بالنوروز منذ خلق أوهرمزد الدنيا ومنذ عهد المجد فى التاريخ الخرافى حتى نهاية الدنيا • وقد تحدث عن هذا العيد ، عدا البيرونى ، كتاب من العرب والفرس كما أن شعراء كالفردوسى ومنوجهرى قد تغنوا به ، انه عيد ربيعى قد حفظ بعض خصائص الزجموك Zagmuk الذى هو عيد البابليين القدماء • كانت الضرائب المجبية تقدم للملك فى النوروز ، وفيه يعين او يستبدل حكام الاقاليم ، وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار ويستمر العيد ستة أيام متوالية ، وفى هذه الايام يجلس ملوك الساسانيين للعامة ، ويقابلون العظماء وآل ساسان فى نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا ، وفى اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته ، والواقع أن اليوم الاول واليوم الاخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالا يحوى كل المظاهر الشعبية • وكانوا يصحون مبكرين فى اليوم الاول ويذهبون الى مجارى المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضا بالماء وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى • وكانوا فى الصباح ، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة يأكلون السكر ويلعقون العسل ثلاث مرات ، ويدلكون أجسامهم بالزيت ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا أنفسهم من الامراض والآفات » • (المترجم) •

(٢) يقول البيرونى فى كتابه الآثار الباقية (ص ٢٢٢ طبعة بغداد) : « شهر مهرماه، اليوم السادس عشر وهو روز مهر (أى يوم مهر) عيد عظيم الشأن ويعرف بالمهرجان ، واسمه موافق لاسم الشهر وتفسيره محبة الروح ، وقد قيل أن مهر هو اسم الشمس وانها ظهرت فى هذا اليوم للعالم فسمى بها والدليل على ذلك أن من ائين (عادة) الاكاسرة فى هذا اليوم التتوج بالتاج الذى عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها وفيه يقوم للفرس سوق ••• » (المترجم) •

وعموما ، فقد أصبح من المسلم به نتيجة دراسة الباحثين أنهم كانوا يولون إهتماما للعدالة والقضاء فى إيران القديمة ، وكانوا يحترمون منزلة القضاء ومقامه ويعينون فى هذه الوظيفة أشخاصا من ذوى المعلومات القضائية وممن يتصفون بالنزاهة والخبرة والتجربة ومن الممكن أن يتظلم الناس من حكم الملك إلى الملك نفسه ، وفى هذه الأحوال كان الملك ينزل من على العرش ويكلف الموبذان موبذ بالحكم ، فإذا كانت الشكوى فى محلها أرضى الشاكى وإلا فإنه ينزل العقاب به .

دوائر البريد :

جاء ذكر تنظيم هذه الدوائر فى نظم العصر الهخامنشى الإدارية ، وقد اقتبس الخلفاء العباسيون كذلك هذا النظام من إيران الساسانية ، وأقاموا إدارات البريد وأمنوا طرق البلاد وعبدوها ، وأرسلوا سعاة بريد راجلين بالنسبة للمناطق الجبلية ، وسعاة بريد من راكبى الإبل بالنسبة للأماكن الصحراوية القاحلة .

رجال الدين :

لما كان الدين الزرتشتى هو الدين الرسمى خلال العصر الساسانى ، فقد تمتع رجال الدين بنفوذ كبير فى شئون البلاد ، فكان المغان يملكون أملاكا كثيرة فى ايران وخاصة فى آذربايجان ، وأعطاهم الشعب العشور والهدايا كذلك . وكما يذكر آم مين مارسلان[1] فإنهم لم يخضعوا لقوانين البلاد ، بل كانت لهم قوانين خاصة . وطبقات رجال الدين على النحو التالى :

(ا) المغان وهم أقل الطبقات .

(ب) الموبدان أو رؤساء المغان والهرابذة أو سدنة بيوت النار وهم أعلى من المغان .

---

(١) ام مين مارسلن مؤرخ رومى معاصر لسابور الثانى .

(ح) الموبذان موبذ أو رئيس الموابذة ، والهيربذان هيربذ أو رئيس الهرابذة . وهما أعلى من الجميع . ويعتقد أن الأول كان رئيسا عاما لكل رجال الدين . وكان الثانى قاضى القضاة . وكان الموبذان موبذ الكبير يقيم فى الرى ويحكم هذه البلاد . وقد ذكر المؤرخون المسلمون أن لقبه مصمغان[1] .

أما بيوت النار فهى كما يلى :

(أ) كانت لكل أسرة نار ، ويجب على رئيس الأسرة مراقبتها حتى لا تخمد .

(ب) لكل قرية نار أيضاً وتسمى آذران .

(ح) لكل إقليم نار كذلك وتسمى بهرام .

(د) كانت هناك ثلاثة معابد للنار لها إحترام وقـــدسية خاصة فى كل إيران :

١ — آذر فرنباغ فى كاريان بفارس وهى خاصة برجال الدين .

٢ — آذركشناسپ ، وتقع فى شيز بآذربايجان ، وهى خاصة بالملك والمحاربين . وكان الملوك يذهبون إليها سيراً على الاقدام بعد تتويجهم .

٣ — آذر برزين مهر ، وهى فى ريوند بخراسان ، وقد خصصت لطبقة الزراع .

النقود الساسانية :

كانت النقود الساسانية تسك من الذهب والفضة والنحاس ، ومن خليط

(١) المصمغان معرب مسمغان اى العظيم او كبير المغان .

النحاس والبرونز . وتتساوى النقود الذهبية الساسانية فى عصر سابور الأول والثانى فى الوزن مع النقود الرومية الذهبية . ولكن إختلف وزنها فيما بعد[١] . والنقود الفضية الساسانية هى نفسها الدرخم ، ويستفاد من دراسات الباحثين،أن كلمه درخم لم تكن تستعمل فى عصر الساسانيين ، وأن النقود الفضية كانت تسمى (زوز) أو كرشه . وتزن العملة الفضية مايقرب من مثقال واحد ، وتساوى فى القيمة من ٣٢ إلى ٣٥ شاهى بعملة اليوم . والظن الغالب أن النقود النحاسية كانت تسمى « معا » (كلمة مساسامية) . والنقود الساسانية تلفت النظر من ناحية جمال شكلها ، ومن المعتقد أن فنيين يونانيين كانوا يعملون فى دورسك النقود بإيران . وتاريخ سك نقود الملوك الساسانيين هو سنوات سلطنتهم (فمثلا كتب على أحد وجهى قطعة نقود من نقود عصر أنوشيروان چهار وچهل[٢] أى سنة أربع وأربعين) . وكانت الكتابة باللغة البهلويه وحروفها ، ويوجد هزوارش بها ، أى أن بعض الكلمات كانت تكتب باللغة الآرامية وتقرأ باللغة البهلوية[٣]. وتوجد على النقود عبارة تعرف الملك[٤].

وقد راجت النقود الساسانية لفترة فى إيران والبلاد المجاورة بعد إنقراض الساسانيين ، ولكن كتب عليها بسم الله بدلا من صورة الملك ومعبد النار. والفضة هى أساس النقود فى عصر الساسانيين كما كان الحال بالنسبة لعصر الأشكانيين .

الرصيد النقدى للخزانة :

لم يكن قدره معروفا قبل كسرى پرويز ، ولكن وصل — طبقا لما ذكره

---

(١) من خمس مثقال الى ثلاثة مثاقيل .

(٢) كانوا يقدمون الاحاد على العشرات .

(٣) سيرد ذكر هذا الموضوع فيما بعد .

(٤) نذكر هنا عبارة نقود بهرام كور كنموذج ، وهى : مزديسن بغى وره ران ملكان ملكا ايران وانيران مينو جيترى من يزتان . أى : عابد مزدا الملك الكبير بهرام ملك ملوك ايران وغير ايران ، ذو الاصل السماوى من الإلهة : والكلمات التى تحتها خط أرامية ، ولكنهم كانوا ينطقونها بالبهلوية ، فمثلا « ملكا » كانت تنطق « شاه » .

المؤرخون - فى أواخر عهده إلى ألف وستمائة مليون درهم عدا الأشياء النفيسة والأمتعة والأقمشة القيمة . وكانت النفقات الرئيسية للدولة عبارة عن :

١ — نفقات البلاط .

٢ — مرتبات المستخدمين بالإدارات والجيش .

٣ — نفقات الحروب .

وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن بعض الملوك الساسانيين كانوا يقومون بالأعمال التى يطلق عليها اليوم الخدمات العامة من قبيل إقامة السدود (للرى) والجسور ، وشق الطرق ، وبناء القلاع والمدن على الحدود وفى الأماكن اللازمة ، ويلاحظ أن قسما من هذه الأعمال كان يتم بكد الشعب وعنائه . وذكر كتاب الأرمن أن الرصيد النقدى للخزانة كان يصهر فى بداية حكم كل ملك وتضرب نقود باسم الملك الجديد .

الحرف والتجارة :

إزدهرت التجارة فى عهد الساسانيين ، فقد كانت إيران هى طريق النقل الوحيد بين اليونان وبلاد الروم وآسيا الصغرى وما بين النهرين والشام ومصر من ناحية وبين الصين والهند وآسيا الوسطى من ناحية أخرى ، وكان لابد لكل القوافل التى تحمل بضائع الطرفين أن تمر بإيران أو بالبلاد التابعة لها .

وكانت إيران نفسها تتاجر فى بضائع كثيرة تحملها إلى أوروبا والصين والهند ، ومن صادرات إيران القيمة فى ذلك الوقت المنسوجات التى كانت لها شهرة عظيمة آنذاك ، وكانوا ينسجون منها أنواعا وأقساما مختلفة . وقد شكلت المنسوجات المزركشة بالذهب والأقمشة والملابس الحريرية وريش الطيور والمصوغات والجلود وغير ذلك جزءاً رئيسيا من صادرات ايران .

ولما كانت بابل جزءاً من ايران ، فقد كان لسجاد هذه المدينة سوق كبيرة فى الصين ، ويعتبر من البضائع الهامة للتصدير . وكذلك كان لمواد

الزينة التى تصنعها إيران رواج فى بلاد الصين[1]. وكانت الصين تصدر لإيران الحرير والورق ، وتصدر الهند الحرير والادوية والاحجار الكريمة ، وكان يصدر من ايران إلى الصين الياقوت الإيرانى ومرجان البحر الأحمر ، وتمر القوافل التى تتجه من الصين الى ايران والقوافل التى تتجه من ايران الى الصين من جنوب صحراء جوبى[2] والصغد . وقد عمل الصغديون على المحافظة على هذه القوافل وحمايتها .

وذكر المؤرخون أسماء ثلاث مدن على وجه الخصوص من المدن الحرفية الإيرانية . وهى : الرى ومرو وتوز (فى فارس) ، وكان للساسانيين عادة ساعدت على تقدم الصناعات والحرف فى إيران رغم قسوتها ، وهى أنهم كانوا ينقلون الأسرى الاجانب أو سكان الاقاليم ويسكنونهم فى مناطق أخرى كما فعل سابور الأول الذى نقل الروم - الذين أسرو مع واليرين امبراطور الروم - إلى جندى سابور ، وجعلهم يقيمون هناك ، وكلف المهندسين الروم ببناء السدود . وكذلك فعل سابور الثانى بعد فتح آمد (ديار بكر) ، إذ نقل سكانها إلى شوش وغيرها من المدن ، وكلفهم بعمل المصنوعات الذهبية ونسج الاقمشة الحريرية ، فنهضت هذه الحرفة فى إيران .

علاقات إيران بالدول الاجنبية :

لقد ذكرنا مايجب ذكره بالنسبة لعلاقات إيران مع دولة الروم أثناء سردنا للأحداث التى وقعت ، ولكن يقتضى الأمر إضافة بسيطة وهى أن الطرفين لم يتبادلا السفراء الدائمين فى بلاطيهما ، وكانا يرسلان رسولا للمباحثات كلما لزم الأمر ، وجرت العادة على أن يخبر الملوك الساسانيون وأباطرة الروم الشرقية بجلوس كل منهم على العرش حتى لو كان تغيير الحكم قد حدث أثناء الحرب . وتشدد الروم كثيراً فى هذا الصدد ، فقد غضبوا على

---

(١) المقصود بها المواد التى تعــرف اليــوم (بمواد بزكى) أو مواد الزينة .
2) Gobie

هرمز الرابع لأنه لم يخبر إمبراطور الروم بجلوسه على العرش . وكان الملك والإمبراطور يخاطبان بعضهما فى المراسلات بلقب الأخ[1] .

ورغم عدم وجود علاقات منتظمة مع الصين فى العصر الساسانى ، فقد كان هناك تبادل كثير للسفراء منذ العصر الأشكانى . ولم تكن هناك علاقات بين الدولتين لمدة مائتى سنة ، وذلك بعد آخر سفير قدم من الصين إلى البلاط الإيرانى . وعادت العلاقات من جديد منذ سنة ٣٨٦ م وإستمرت حتى سنة ٥٨٤ ، بمعنى أنه تم تبادل عشر سفارات بين الصين وإيران تقريباً ، وكانت آخر السفارات الصينية التى قدمت إلى البلاط الإيرانى فى عصر قباد وانوشيروان ويستفاد من المعلومات التى قدمها السفراء المذكورون إلى بلاط الفغفور أن الصينيين كانوا يطلقون على إيران إسم پوسز ، وذكروا أن طيسفون (المداين) كان بها مائة ألف أسرة .

وقد استرعى إنتباههم على وجه الخصوص بيض النعام ، وكانت الهدايا التى أرسلها ملك ايران لفغفور الصين تحتوى على عدد من الفيلة وكمية من بيض النعام (كانوا يحصلون على هذه الحيوانات من صحراء ايران الكبرى) وقد ظن المؤرخون الصينيون أن هذه الهدايا جزية[2] . وتوضح المعلومات

---

(١) فريدريك زاره ـ صنائع ايران القديمة .

(٢) فقد ذكروا عن السفير الذى ذهب الى الصين محملا بالهدايا فى عصر قباد وكان ردا على سفارة ارسلتها الصين الى بلاط ايران : « ان دولتهم (يعنى ايران) قد ارسلت فى عهد سنكوى سفيرا يحمل رسالة وجزية من البضائع المحلية ، ومضمون الرسالة هو : من ابن المملكة السماوية الكبرى وابن السماء ، ونتمنى ان تكون مملكته هى كل البلاد التى تشرق الشمس عليها . ان ملك ايران كوهوتو (يقصد قباد) يدفع الفا وعشرة آلاف كرنش اظهارا للمودة . وقد تلقى البلاط ما ابداه بقبول حسن . وارسلوا بعد ذلك وبسرعة الهدايا الى البلاط . وفى السنة الثانية (سـنة ٥٥٥ م) ارسل ملكهم هدايا من البضائع المحلية » . ويجب ان يكون سفير السنة الثانية سفيرا لانو شيروان ، لان التاريخ المذكور يتفق مع زمن حكم هذا الملك .

المستقاة من المصادر الصينية والخاصة بالبضائع الإيرانية أن صادرات ايران كانت كثيرة جداً[1] . ولا توجد معلومات وفيرة حول العلاقات بين ايران والهند ، ولكن من المسلم به أن سفيرا قدم الى ايران من قبل راى الهند فى عهد أنوشيروان وأحضر معه شطرنجا هدية . وقد ذكرنا من قبل علاقات بهرام گور مع الهند .

---

(٢) كتاب ويشو المؤرخ الصينى ٠

المبحث الثانى

الديانات فى العصر الساسانى

الدين الزرتشتى :

اتخذ الساسانيون من دين زرتشت دينا رسميا لإيران ، ولم يكن لها دين رسمى حتى ذلك الوقت ، وكانت الشعوب التابعة لإيران حرة فى اعتناق الدين الذى يقبله كل شعب منها .

زمن ظهور زرتشت :

لم يتمكن المستشرقون والعلماء الذين قاموا بدراسات حول هذا الدين من تحديد الزمن الذى كان يعيش فيه زرتشت على وجه اليقين ، أو المنطقة التى كان يقيم فيها داخل ايران ، أو التاريخ الذى كتب فيه الاوستا كتاب الزرتشتيين الدينى ، ولغة أى قوم من الاقوام كانت لغة ذلك الكتاب . ولهذا نشأ خلاف كبير بين الباحثين حول الوقت الذى ظهر فيه زرتشت ولغة الأوستا وتاريخها ، ومازال هذا الخلاف قائماً . وقد جعل بعضهم عصر زرتشت قبل الميلاد بألف وستمائة أو بألفين بل بستة آلاف سنة . وتقدم البعض بهذا التاريخ فإعتبروا زرتشت معاصرا لاحد الملوك الهخامنشيين وهو كوروش الكبير أو داريوش الاول . ونظرا للإختلافات البينة بين وجهات نظر العلماء والباحثين حول هذه المسألة ، فقد قامت بينهم مناقشات وبحوث طويلة إنتهت بأن أعلن جاكسون[1] ، وهو متخصص فى الدين الزرتشتى عن

---

1) Jackson, A.V.W.

طريق دراساته الدقيقة والمتعمقة — رأيه الذى أيدته الأغلبية . فهو يرى أن زرتشت ولد فى النصف الثانى من القرن السابع وتوفى فى النصف الأول من القرن السادس ق . م ، ومن المعروف أن هذا الرأى لا يضع لهذه المسألة حلا نهائيا . وطبقاً الروايات الورتشتية فإن زرتشت ولد فى القرن السابع قبل الميلاد ، وقام بالدعوة لدينة على شاطىء بحيرة أورميه ، وتوفى فى أوائل النصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد . وتحدد بعض الكتب البهلوية المعروفة[1] أيضاً عصر حياته بنفس هذا التاريخ مع إختلاف ضئيل . أما بالنسبة للغة الاوستا وماهيتها ، فإن دارمستتر[2] يعتقد أن الاوستا كتبت بلغة الميديين ، وإذا تم اكتشاف نقوش لملوك الميديين فسيحقق هذا الظن . ويرى وست (وهو متخصص فى اللغة البهلوية) أن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة هو ربعها فقط ، وأن الباقى مفقود . وتقسم الاوستا الحالية إلى خمسة أقسام[3] وطبقاً لما جاء فى كتاب دين كرت[4] ، فإن الاوستا التى كانت موجودة فى العصر الهخامنشى قد إحترقت عندما أشعل الإسكندر المقدونى النيران فى قصر السلطنة بتخت جمشيد ، وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها من كنز شاپيكان الذى لا يعرف موضعه ، وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية ، وألقوها بعد ذلك فى النار . أمر بلاش الأول الاشكانى بجمع الاوستا ، وفى عهد أردشير الاول الساسانى رتب الاوستا

---

(١) مثل بندهشن وارتاويرا فنامك وغيرهما .

(٢) Darmesteter عالم فرنسي الف كتاب (دراسات ايرانية) .

(٣) (ا) يسنه : وهو يشتمل على الاداب الدينية ، وتعتبر الكاثات (گاثاها) أى الاناشيد الدينية جزءاً منه .

(ب) ويسپرد : وهو مكمل لليسنة ويدور حول اداب العبادة .

(جـ) ونديداد : ولم يفقد منه شيء ، ويحتوى على خلق العالم ، وقواعد تطهير النفس والكفارة وغير ذلك .

(د) يشت : ويحتوى على اناشيد خاصة بامش سپنتات واليزتات (القوى الخالدة المقدسة والالهة) .

(هـ) خرده اوستا : وهو كتاب دعاء الف فى عصر سابور الثانى .

(٤) هو أحد الكتب البهلوية المشهورة .

شخص يدعى تنسر[١] وكان كبيراً للهرابذة (هيربذان هيربذ) ثم جمع سابور الاول بعد ذلك كل ما حذف من الأوستا عن علم الطب والنجوم والفلسفة والجغرافيا من اليونان والهند وسائر البلدان، وأضافه إلى الأوستا. وتم الإعتراف بهذه الأوستا رسمياً فى عهد سابور الكبير ، وإعتبرت قانونا للدولة .

حياة زرتشت :

تقول الأخبار والروايات الزرتشتية أن زرتشت[٢] ولد لأب يدعى پاورشسب ولام تدعى دوغذ . وقد حاول السحرة وكاشفو الغيب فى عصره إبطال أعماله الخارقة للعادة ومعجزاته . ولكنهم فشلوا فى ذلك . وإعتزل زرتشت الناس فى سن العشرين ، وأخذ يقضى أوقاته فى الرياضة الروحية . وعندما بلغ الثلاثين من عمره أمر بدعوة الناس إلى معرفة الله ، وذلك على شاطىء نهر دائيتى يا (يعتقد بعض العلماء أن النهر المذكور هو نهر إرس الحالى) . وقد صعد به وهو منه - القوة الخالدة المقدسة والفكر الطيب[٣] - إلى حضرة اهور أمودا ، وقام زرتشت بعد ذلك بالدعوة لمذهبه ونشره بين أهل توران وسگستان . لكنه لم يحرز تقدما فى هذا الصدد بسبب ثورة رجال الدين عليه آنذاك . عندئذ أمره آهورا مزدا بالذهاب إلى بلاط الملك گشتاسپ ملك باختر (بلخ) ، فنفذ ذلك . واعتنق هذا الملك دينه بعد سنتين من العناء والتعب وكان لحاية جاماسب وزير گشتاسب دخل وتأثير فى هذا النجاح . وتزوج جاماسب بعد ذلك پروچيست إبنة زرتشت .

(١) قيل انه كان من كبار رجال الدين أيام أردشير ، وقيل بل كان أيام انوشيروان. ويقول بهرام خورزاد ، الذى نقل عنه ابن المقفع مقدمته : انه سمى تنسر لان الشعر قد نما بغزارة فوق جسده حتى كان جسده كله مثل رأسه (تن ـ جسد ، سر ـ رأس) وجاء فى دينكرد (جمع فى القرن التاسع الميلادى) أن الملك أردشير كلف تنسر (هربدان هربد) ـ رئيس سدنة بيوت النار ـ بجمع متون الاوستا ، كتاب الايرانيين الزردشتيين ، وبان يعيد سطره ، ولما اتم هذا العمل اطلق على تنسر لقب «يوريوتكيش» اى حافظ دين الاقدمين . (انظر مقدمة الدكتور يحيى الخشاب على كتاب تنسر ص ٤) (المترجم) .

(٢) لم يتمكنوا من معرفة معنى كلمة زرتشت على وجه اليقين ، والرأى الغالب انها مأخوذة من (زرتشتر) أى الجمل الاصفر .

(٣) سيأتى الحديث عن القوى الخالدة المقدسة فيما بعد .

وبعد أن قبل كشتاسب عقيدة زرتشت ، إنتشرت هذه العقيدة فى توران وايران والهند وآسيا الصغرى . وقد حارب زرتشت فى أواخر حياته من أجل نشر مذهبه ، وقتل أثناء حربه مع شعب الهيون[١] وهو فى حالة دفاع[٢].

ديانة زرتشت :

أراد زرتشت - كما يقول فى الكاثات (كاثها) . أن يعيد عقيدة الناس فى ذلك العصر إلى صفائها وطهرها الاول . وخلاصة هذه الديانة كما يستفاد من الاوستا والكتب البهلوية (التى سيأتى ذكرها فيما بعد) هى : أن العالم ناشىء من أصلين هما النور والظلمة ، وهذان الأصلان فى نزاع معاً ، ويتناوب الإثنان الإنتصار والهزيمة فيما بينهما . ولهذا قسم العالم إلى قسمين : جيش النور أو الخير وجيش الظلمة أو الشر . وعلى رأس قوى قسم الخير اهورا مزدا[٣] ، ورأس جيش قوى الشر أهريمن (أنكرمينو)[٤] ، ويساعد اهورا مزدا ستة كائنات مجردة هى التى تعرف بإسم (امش سپنتان) أى القوى الخالدة المقدسة وهى تقف أمام عرش اهورا مزدا وتنفذ أوامره ، ويدبر اهورامزدا العالم بواسطتهم[٥] . وتحمى كل قوة من هذه القوى المقدسة مخلوقات (فمثلا يعتبر بهمن حاميا للنار ، واسفندار مذ حاميا الأرض

---

(١) كان هؤلاء تورانيين طبقا للاخبار الزرتشتية .

(٢) كان قائد الاعداء هو أرج تسب (ارجاسب) . ويدعى قاتل زرتشت تورى براتروخش .

(٣) كلمة هرمز كانت فى الاصل اهورمزده ، وكلمة اهور مأخوذة من اسور اله الاريين الهندوايرانيين (عندما كان دينهما واحد) . ومز تعنى عالم .

(٤) كلمة انكرمينيو تعنى الطبيعة أو الضمير المظلم ، وصارت بعد ذلك اهريمن.

(٥) امش سبنتان (أى القوى الخالدة المقدسة) هى :

(أ) وهو منه - بهمن (الفكر الطيب) .

(ب) اش وهيشت - اردى بهشت (أفضل القوى) .

(ج) خشتر وى رى - شهريور (الدولة أو الحكومة الحسنة) .

(د) سبنت اره أى تى - اسفندار مذ (الموت مع الفتوة) .

(هـ) هئوروتات - خرداد (السلامة والعافية) .

(و) امرتات - امرداد (خالد - غيرفان) .

وإلهها) ، ويلى الـ (امش سپنتان) كائنات مجردة تسمى يزت[1] وعددها كثير ، ويصل عدد أشهرها إلى ثلاثين وتختص بكل يوم من أيام الشهر واحدة منها ، وتقسم اليزتات أو الآلهة (يزت ها) إلى طبقتين : طبقة سماوية وطبقة أرضية . ويأتى هرمز (اهورا مزدا) على رأس الطبقة السماوية ، وأعظم اليزتات الارضية هو زوتشت . ويحمى كل إله من هذه الآلهة شيئاً كذلك : فالشمس والقمر والنجوم والماء والنار والتراب والريح وكذلك الصفات المعنوية كالصدق والإستقامة والقدرة والنصر والراحة والسلم وغير ذلك تحت حماية أحد الآلهة واشرافه . ويلى ذلك كائنات مجردة تعرف بإسم فروشى (ملائكه) ، كل منها له حكم ملك يحفظ الإنسان . وقبل أن يولد الانسان تكون هذه الملائكة فى السماء ، وبعد موته تصعد روحه إليها .

ويكون لأهريمن جيش كذلك فى مواجهة جيش هرمز ، ويقال لمساعديه ديو (دئو) (الشياطين) ، وعلى رأسهم أهريمن ، وفى مقابل القوى المقدسة الخالدة (إمش سپنتان) يوجد ستة شياطين أو عفاريت ومهمة أهريمن والشياطين هى منع تقدم الخير ، أما مخلوقات أهريمن فهى الشر والكذب والطغيان والتكبر ، وإذا لم يتمكن أهريمن من منع الخير ، فلا أقل من أن يسعى لتقليل نتائجه والحد منها . خلق هرمز الحياة وخلق أهريمن الموت . مملكته هى مملكة الظلمة ، الظلمة التى لا حد لها ولا نهاية . وتمتلىء جهنم بالشياطين والكذب وپ ايريكا (يعتقد أن هذه الكلمة تعنى الجن) والتمابين (آژى دهاك) ومردة آخرين من خلق أهريمن .

وكما أن القوى المقدسة الخالدة (امش سپنتان) والآلهة (يزت ها) يحمون مخلوقات الخير ، فإن الشياطين والارواح الشريرة تحمى كذلك مخلوقات الشر ، فمثـــلا « دروغ » يحمى الاشياء الكاذبة ، ويكون وهو منه « الفكر الطيب » فى مقابل اك منه « الفكر السىء » .

---

(١) يزد صارت بعد ذلك يزد وايزد (الله) .

وتبين الاوستا والكتب البهلوية بخاصة خلق العالم على النحو التالى : خلق آهورا مودا عالم الارواح فى بداية الامر وحكمه ثلاثة آلاف سنة دون منازع ثم ظهر أهريمن بعد ذلك من الظلمة ، فدخل عالم النور بعنف ، وإنبهرت عيناه بنور هرمز ، وطلب هرمز منه الصلح فلم يقبل . فقال له هرمز : إذن فلنتحارب ، وأعطى لاهريمن فرصة مدتها تسعة آلاف سنة ، فقد كان يعلم أن الفوز سيكون للنور . ثم شغل هرمز فيما بعد بخلق العالم المادى ، وخلقه فى ستة مراحل ، وخلق الانسان فى المرحلة الاخيرة . وقد إستغرق خلق العالم المادى ثلاثة آلاف سنة . وفى هذه الاثناء كان أهريمن قد فقد قدرته تماما ، ثم تخلص من الاسترخاء والضعف وشغل بخلق كائنات وأشياء شريرة فى مقابل المخلوقات الخيرة التى خلقها هرمز ، ومنذ ذلك الحين بدأ النزاع بين هرمز وأهريمن ، واستمر ثلاثة آلاف سنة حتى ظهر زرتشت وبولادته ضعف جيش أهريمن ، وستزداد إنتصارات هرمز دائماً حتى يعود اهريمن إلى عالم الظلمة ، وعندئذ يعم النـــور الذى يجلب السعادة إلى كل العالم .

ومن تعاليم مذهب زرتشت أن الروح ليست فانية ، وأنها تحس بعد الموت بلذائذ أيام الحياة أو بآلامها لمدة ثلاثة أيام . ثم تحملها الرياح وتصل إلى صراط يعرف بإسم چينوت ، وهناك تحاكم أمام ثلاثة قضاة[1] ، يزنون أعمالها الطيبة والشريرة بالميزان ، ويصدرون أحكامهم بناء على ذلك . ويجب عليها أن تعبر بعد ذلك الصراط المذكور الذى يمتد من قمة جبال البرز وحتى نهر دائيتيا ، فإذا كانت أعمالها صالحة صار الصراط عريضا أمامها ، وإذا كانت عكس ذلك ضاق ، وسقطت فى النهاية فى وادى الظلمة . والروح الطيبة لابد وأن تمر بثلاث مراحل حتى تدخل أفضل عالم ، هذه المراحل الثلاث هى : مرحلة الفكر الطيب . ومرحلة القول الطيب . ومرحلة العمل الطيب . ويعرف ذلك العالم بإسم الجنة « بهشت »[2] .

---

(١) أسماء القضاة الثلاثة هى : ميثر ـ سرا اش ـ راشنو .

(٢) انهو وهيشت .

أما الروح الشريرة فإنها تدخل مقر الآلام والمحن . ويوجد بين الجنة والجحيم حد وسط يسمونه « همشتكان » أى مقر الاوزان المتساوية ، وهذا المكان هو مقر الارواح التى تتساوى أعمالها الصالحة والسيئة . ويجب أن تنتظر هناك حتى يوم القيامة . وسوف يعلن إقتراب القيامة شخص يدعى سا اشيان ، وهو مخلص العالم ، وسوف يحيى الأرواح ويقوم بمحاكمتها المحاكمة الأخيرة ، ثم يصب على الأرض سيلا من المعادن المذابة . وحينئذ تشتعل الحرب بين هرمز وأهرمن ويكون الفوز الأكيد من نصيب هرمز . ولكى يوفق الإنسان بعد الموت ، ولكى يساعد كل إنسان هرمز بقدر إستطاعته ، عليه أن يتبع الأصول الثلاثة : الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب[1] .

ديانة مانى :

لم تكن فى متناول أيدينا حتى وقت قريب مصادر مباشرة حول ديانة مانى أو كتب باقية من عصره أو من عصر أتباعه القريبين منه ، وكل ماقيل فى هذا الصدد إنما هو من أقوال المؤرخين المسيحيين وغيرهم . ومضى الحال على هذا المنوال إلى أن ظهرت منذ فترة كتب خطية تركية وبهلوية حول مذهب مانى وعقيدته ، وذلك بالقرب من تورفان فى آسيا الوسطى ، وتم الحصول على عدة كتابات عن هذا الموضوع . ويستفاد من مقارنة مضمون هذه الكتابات مع ماكتبه الصينيون والمؤرخون المسلمون والمسيحيون أن مانى ولد - كما يقول هو نفسه - فى قرية تعرف بإسم (مردى نو) بالقرب من بابل ، وكان والده يدعى فوتق بابك[2] كما ذكر صاحب الفهرست[3] . ويقول مانى أنه أوحى إليه فى سنة ٢١٥ م مرتين لكى ينشر الدين الحقيقى بين الناس ، ومن ثم أعلن عقيدته فى سن الخامسة والاربعين وخلال عهد سابور الأول .

---

(١) فى لغة الاوستا هومت - هوخت - هورشت .

(٢) يعتقد الباحثون ان فوتق معرب بانك .

(٣) ابن النديم الوراق .

والعالم فى الديانة المانوية قائم على أصلين هما الخير والشر أو النور والظلمة ، والله هو الصاحب الأول والشيطان هو الملك الثانى وعلمكتها بلا نهاية[1] .

ويرى مانى أن الشر كان موجودا على الدوام ، وسيظل موجوداً إلى الأبد أما بالنسبة الإنسان وسائر المخلوقات فقد كان يرى أن الخير والشر ممتزجان معاً فيه ، لان الانسان له روح الخير والشر ، ويوجد فى مقابل عقل الخير ووجدانه وشعوره عقل الشر ووجدانه وشعوره . وقد خلقت الروح الخيرة الرحمة والاصل الطيب والصبر والحكمة ،وخلقت الروح الشريرة الحقد والغضب والشهوة والحماقة . وفى عقيدة مانى أن التناقض يكون فقط بين النور والظلمة فلن ينتهى أحدهما ولن يتصل بالثانى ، وكانا موجودين دائما وسيبقيان .

والشىء الوحيد الذى أعطاه مانى أهمية هو العرفان[2] ، وقد رفض التوراة تماما وقبل الانجيل فقط . وكان يقول أنه هو آخر حواريى عيسى وأنه يبين الحقائق ، وأن العالم سيسقط فى الجحيم وتحترق عناصره فى نهاية

---

(١) ذكر ابن النديم ان اسمه مانى بن فتق بابك بن ابى برزام من الحسكانية واسم امه ميس ويقال اوتاخيم ويقال مر مريم من ولد الاشغانية • وقيل ان اصــل أبيه من همدان وانتقل الى بابل وكان ينزل المداين فى الموضع الذى يسمى طيســفون كما ذكر ان الوحى اتاه وهو فى سن الثانية عشرة ، وان الملك الذى جاءه بالوحى كان يسمى التوم وهو بالنبطية ومعناه القرين ، فلما تم له اربع وعشرون سنة اتاه التوم فقال له قد حان لك أن تخرج فتنادى بأمرك •

أما عن مذهبه فقد قال مانى ان مبدأ العالم كونان احدهما نور والاخر ظلمة ، كل واحد منهما منفصل من الاخر ، فالنور هو العظيم الاول ليس بالعدد وهو الاله ملك جنان النور ، وله خمسة اعضاء الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة ، وخمسة اخر روحانية وهى الحب والايمان والوفاء والمروة والحكمة ، وزعم انه بصفاته هذه ازلى ومعه شيئان اثنان ازليان احدهما الجو والاخر الارض • وقال ان اعضاء الجــو خمسة الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة ، واعضاء الارض النسيم والريح والنور والماء والنار ، والكون الاخر هو الظلمة واعضاؤها خمسة الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة • (انظر الفهرست ص ٣٢٧ الى ص ٣٢٩ طبعة بيروت ١٩٦٤ م) (المترجم)

(٢) Gnosticisme

الامر ، ويعود الخير والشر مرة أخرى إلى سيرتها الاولى ، أى أنهما سيبقيان منفصلين عن بعضها إلى الابد ، إذ يفصلها سد لا يمكن عبوره .

وقد ألف مانى كتبا لنشر دينه ، منها كتاب ألفه لسابور باللغة البهلوية[١] والكتب الاخرى باللغـــة السريانية . كما إخترع خطا مقتبسا من الخط الآرامى[٢] . وكانت مؤلفاته مزينة برسوم إشتهرت فى كل أنحاء العالم واعتبره الايرانيون منذ أقدم العصور وحتى الآن نقاشا عظيما . وسموا كتاب نقوشه بإسم ارژنگ أو ار تنگ[٣] . وكان الهدف من النقوش هو بيان الخير (النور) والشر (الظلمة) بأنواع الصور وأقسامها حتى يدرك المتعلمون عقيدته بطريقة أفضل ، ويتمكن غير المتعلمين من فهمها .

ويتضح مما ذكرناه بإختصار ان ديانة مانى ديانة مركبة ، اى انه إقتبس معتقداته من ديانات اخري وألف بينها .

إنتشرت هذه الديانة أول الامر فى بابل التى كانت مركزا للعقائد والديانات المختلفة ، ثم إنتقلت بعد ذلك إلى سورية وفلسطين وبلاد النبط (الشمال الغربى لبلاد العرب) ، ثم إنتشرت فى مصر فيما بعد ، ومنها إنتقلت إلى طرابلس وقرطاجنة . وفى نفس ذلك الوقت راجت هذه الديانة فى بلاد الغال[٤] (فرنسا الحالية) وإيطاليا ، كما أن عددا كبيراً فى بلاد الروم قد إعتنقها حتى القرن السادس الميلادى . وقد بقى لهذه الديانة أتباع فى آسيا حتى عصر الخلفاء العباسيين . وأظهر رجال الدين المسيحى عداء شديدا لديانة مانى ، وتعرض المؤرخون المسلمون لهذه الديانة وأطلقوا على كل من يعتنقها إسم الزنديق[٥] .

---

(١) يعرف احد كتبه التى ذكرها ابو الريحان البيرونى باسم شابوركان .

(٢) هكذا اشتهر ، ولكن لا يعرف الى اى حد يتفق هذا مع الحقيقة .

(٣) الخط المانى ــ كما يقول ابن النديم ــ خط مستخرج من الفارسى والسريانى، استخرجه مانى ، وقد اورد حروف هذا الخط فى كتابه الفهرست (انظر الفهرست ص ١٧) (المترجم) .

(٤) Gaule

(٥) يتصور البعض أن كلمة زنديق ماخوذة من كلمة سنديق السريانية ، وأن هذه الكلمة جاءت من صديق ، والصديق أحد مراتب اتباع هذه العقيدة .

وقد أظهرت حفريات تورفان أخيراً أن هذه الديانة إنتشرت حتى تركستان الشرقية والصين شرقا ، وإعتنقها فى ذلك الوقت عدد من الترك .

ورغم أن ديانة مانى المركبة لم تكن ديانة صالحة للبقاء والدوام . إلا أنها سميت فى الخارج بإسم الديانة الإيرانيه نظراً لأن مؤسسها كان إيرانيا ، وإنتشر عن طريقها إسم إيران والإيرانى القديم فى أطراف العالم وأكنافه .

دين مزدك :

كان مزدك بن بامداد من أهل نيسابور ، وقد ظهر فى عهد قباد . وكما يبين المؤرخون المسلمون كالشهرستانى وابن النديم[1] الوراق ، فإن ديانته كانت قريبة جداً من عقيدة مانى ، ذلك أن مزدك كان يعتقد أن النور منفصل تماما عن الظلمة ، والاول يعمل بحرية وحكمة ، والثانى يعمل خبط عشواء وبجهل . وإختلاط الإثنين ببعضها كان مصادفة ، وإنفصالها أيضاً مصادفة ، وحرم كذلك ذبح البهائم وإراقة الدماء كالمانويين .

وفى رأيه أن العالم مركب من ثلاثة عناصر : الماء والنار والتراب . والخير والشر من تركيبها . فالخير من قسم طيب والشر من قسم سيء .

وفى عقيدة مانى أن عالم الارواح شكل كالعالم الارضى ، فإله السموات قد جلس على عرش كالملك ، ووقفت أمامه أربع قوى هى : الشعور ، والعقل والحفظ ، والبهجة . هذه القوى الاربع تدير شئون العالم بمساعدة ستة

(١) يقول ابن النديم (الفهرست ص ٣٤٢) فى حديثه عن مذهب الخرمية والمزدكية : « ... وصاحبهم مزدك القديم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والاكل والشراب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة فى الحرم والاهل ولا يمتنع الواحد منهم من حرمة الاخر ولا يمنعه ، ومع هذه الحال فيرون افعال الخير وترك القتل وادخال الالام على النفوس .. وعلى هذا المذهب مزدك الاخير الذى ظهر فى ايام قباد بن فيروز وقتله انوشروان وقتل اصحابه » . (المترجم) .

وزراء[1] . والوزراء فى حركة بين إثنى عشر روحانيا[2] . والإنسان الذى يجمع فى نفسه أربع قوى وستة وزراء وصلاحيات إثنى عشر روحانيا يصل إلى درجة لا يتحمل فيها مسئولية بعد ذلك . ولإزالة العداوة والحقد — وكلاهما من الظلمة — لابد من إدراك أصلهما . وأصلها يتركز فى المرأة والمال ولكى تزيل تلك المساوىء المذكورة لابد أن يكون هذان الأصلان مشتركان. ولمزدك كتاب مفقود ، ويذكر المؤرخون المسلمون أنه كان موجودا وأن ابن المقفع ترجمه إلى العربية . وقد قضى انوشيروان على أتباع مزدك كما ذكرنا ولكن المزدكيين ظلوا فى إيران بأسماء مختلفة (مثل خرم دينان وغير ذلك) حتى عام ٣٠٠ هـ تقريبا ، ودخلوا فى حروب مع الخلفاء العباسيين إلى أن هزموا وقضى عليهم نهائياً .

القسم الثانى — عبادة الشمس — ميثر (مهر) :

هو أحد الآلهة القديمة جداً للشعوب الآرية ، وقد وضعته الأوستا بين هرمز وأهريمن ، وإعتبرته واحدا من أعظم آلهة النور . وكان أتباع زرتشت يعتقدون أن مهر مكلف من قبل الاله بدفع الشر والسوء ويعتبرونه رب الشمس وماتنتجه الأرض وحاميا للعهد . وصار مهر حاميا للأسرة الحاكمة فى عهد أردشير الثانى الهخامنشى . وراجت عبادته فى آسيا الصغرى بعد الاسكندر . ثم إنتقلت هذه العقيدة إلى اليونان وإنتشرت فى بلاد الروم أيام پومپى ، ووصل الأمر إلى أن أعلن ديوكلستين وسائر أباطرة الروم أن مهر هو حامى دولة الروم ، ذلك لأن أتباع هذا المذهب كانوا يعتبرون حكم الأباطرة

---

(١) الوزراء الستة هم : سالار (الزعيم) ، بيشكار (الرئيس) ، باروان (حامل العبء) ، كاردان (الخبير) ، دستور (المستشـــار) ، كودك (الغلام — الخـــادم) .

(٢) الاثنى عشر روحانيا هم : خوانده (الداعى) ، دهنده (المعطى) ، ستاننده كشنده (القاتل) ، زننده (الضارب) ، كننده (العامل) ، انيده (الاتى) ، شنونده (السامع) ، وزاد الشهرستانى أيضا : باينده (الباقى) ، وهو غير موجود فى الكتب الاخرى .

تفويضاً من الله . وإنتشر المذهب المذكور بعد فترة فى ألمانيا وفرنسا وإنجلترا القديمة (عثروا على آثار خاصة بهذا المذهب فى باريس) .

وفى القرن الثالث الميلادى ، دخلت المسيحية فى حرب معه ، وإنتصرت فى نهاية الأمر فى أواخر القرن الرابع الميلادى ، ومع كل هذا فإن آثارا من عبادة مهر مازالت باقية عند المسيحيين حتى الآن ، ومن ذلك عيد ميلاد المسيح الذى كان عيدا لميلاد مهر قبل المسيحية .

أما بالنسبة لمهر ، فيرى عابدوه أنه ظهر من قطعة حجر ، ودخل فى حرب مع الشرور من أجل خير البشرية وسينتصر فى النهاية . ومن أعماله المشهورة كما يحكون : أنه إصطدم ذات يوم بثور هرمز المقدس فقتله ، فانتشر دم ذلك الحيوان على الأرض وصار سببا للحياة وباعثا لها . ولهذا رسم الفنانون القدماء المشهورون مهر وقد أخضع ثورا ، وتدلت من على صدره حربة ، ويرتوى ثعبان (أى الحياة) من دم الثور الذى يغلى ويسمن[1] .

المسيحية والبوذية :

إنتشر فى إيران فى العصر الساسانى دينان آخران أجنبيان غير الأديان التى كانت قد ظهرت داخل إيران ، فإنتشرت المسيحية فى الغرب والبوذية فى الشمال والشرق .

الدين المسيحى :

لم يكن الملوك الساسانيون يهتمون بادىء الأمر بالدين المسيحى الذى إنتشر على حدود ايران من ناحية ادس (الرها) ، ولم يكونوا يحسون خطرا من وجود المسيحيين على أرض ايران ، ولكن عندما طلب سابور الكبير من دولة الروم استرداد الولايات التى كانت ايران قد سلمتها للروم فى عهد نرسى ، وبدأت الحرب ، تغيرت سياسة ايران بالنسبة للمسيحيين . وبما أن دولة ايران كانت تعتبرهم أصدقاء للروم فى الخفاء ، فإنها أجبرتهم على دفع

(١) يوجد الان أحد هذه النقوش الحجرية — التى تعتبر من الاعمال الفنية العظيمة — فى الفاتيكان ، اى فى المقر البابوى بروما .

جزية كبيرة الرؤوس (ضعف ما كان يدفعه الإيرانيون)، وتمسكت بذلك على مايبدو لكى يعفى المسيحيون من دخول الجندية ، وطلبت الدولة منهم بعد ذلك الإرتداد عن دينهم، فقاوم المسيحيون وزادت الدولة من شدتها وخشونتها وأصدرت أوامرها بهدم الكنائس . وقد أحسن يزدگرد معاملة المسيحيين ، ولذلك عرف لدى رجال الدين الزرتشتى بالآثيم ، فى عصره أقيمت كنائس المسيحيين فى أكثر مدن إيران، وإعتنقت أسر كبيرة الدين المسيحى . ولكن زاد بعد ذلك التجرؤ على رجال الدين المسيحى ، وعادت المشاكل السابقة تواجه المسيحيين . وإستمرت نفس هذه المشاكل فى عصر بهرام گور ويزدگرد الثانى . وفى عهد أنوشيروان — وبعد أن بدأ حربه مع الروم — أساء الإيرانيون معاملة المسيحيين فى الشام ، وأبعدوا (مارابا) الراهب الكبير ، ولكن عندما عقد أنوشيروان معاهدة صلح مع الروم لمدة خمسين سنة ، كانت إحدى مواد المعاهدة تنص على حرية العقيدة بالنسبة للمسيحيين بشرط ألا يقوموا بالدعوة لدينهم . ولم يكن كسرى برويز الذى إنتصر على الروم فى بـــداية الأمر يسيء معاملة المسيحيين ، لكنه إتخذ سياسة متشددة بالنسبة لهم بعد الإنتصارات التى أحرزها هرقل ، إلى درجة أن المسيحيين إعتبروا وفاته نجاة لهم . وقد منح المسيحيون حرية كاملة فى عهد شيرويه . وكانت مراتب رجال الدين المسيحى فى إيران ونظامهم يماثل ماهو موجود فى بلاد الروم .

البوذية[1] :

يستفاد من الدراسات التى تمت فى أفغانستان أخيراً أن الآثار البوذية هناك

(١) يرى المستشرق كريستنسن فى كتابه ايران فى عهد الساسانيين (ص ٢٩ وما بعدها) أن البوذية قد تغلغلت فى ايران ابان العهد الاغريقى ، فان الملك الهندى اشوكا الذى اعتنق البوذية ارسل مبشرين بها الى قندهار (اقليم فى وادى كابل) والى بلخ فى سنة ٢٦٠ ق٠م٠ وان الدين البوذى قد شاع على مذهب الماهايانة فى أقاليم آسيا الوسطى ٠ وقد أقام البوذيون فى قندهار كثيرا من الاديرة فى القرون الاولى الميلادية ، ووجدت فى خرائب هذه الاديرة نقوش اغريقية هندية تمثل مناظر حيـــاة بوذا ٠ وفى بامبان ، غربى كابل تماثيل عظيمة تمثل بوذا ، نحتت فى صخور عـلى شاطىء البحر ٠ وقد تاكد وجود أديرة بوذية فى ايران الساسانية حتى القرن السابع بما ذكره هيون تسيانج فقد كان حسب روايته ، اتباع ديانات أخرى هندية ، من غير شك ، فى المقاطعات الشرقية من المملكة ٠ (المترجم) ٠

كثيرة ، وأن نوبهار بلخ - الذى إعتبره بعض المؤرخين العرب بيت نار فارسى - كان معبدا بوذيا ، لأن كلمة نوبهار الفارسية مأخوذة من نووهار بمعنى المعبد الجديد ، وكذلك أخذت أسرة البرامكة - التى كان لها مقام رفيع على عهد خلافة هارون الرشيد - إسمها من اللقب برمكة ، وكان البوذيون يلقبون رئيس الدير البوذى بهذا اللقب .

وتؤيد الكتابات الصينية أن مثل هذه المعابد كان موجودا فى الطريق الذى كان يقطعه الزوار الصينيون من بلاد الصين الغربية إلى الهند ، وفى أيدينا كتابات لأحد السائحين الصينيين الذين ذهبوا إلى بلخ فى أواخر العصر الساسانى ورأى النوبهار[1] . وفى النهاية أطلق قدماء مؤرخى العرب إسم بيت الأصنام على النوبهار .

معتقدات الآريين الإيرانيين من وجهة نظر التاريخ :

توصل الباحثون بعد تعمق فى دراسة المعتقدات الدينية للآريين الإيرانيين إلى أن الشعوب المذكورة كانت تعبد آلهة فى العصور السحيقة قبل التاريخ ، وإذا كانت عبادة هرمز قد دخلت هى أيضاً فى معتقداتهم ، فإن مذهبهم - على أية حال - لم يصل إلى درجة الاعتقاد فى الاله الواحد ، ولكن يشاهد فى القرون اللاحقة وخاصة فى العصور التاريخية أن مذهب زرتشت قد انتهى الى التوحيد ، ذلك لأن جميع الامش سپنتات والىزتات من خلق هرمز ، وسينهزم أهريمن فى النهاية وتزول الظلمة .

ومن ثم نتساءل : هل هـــذا الاتجاه فى طريق التكامل والرقى بالنسبة

---

(١) تاريخ البرامكة ـ تاليف بووا الفرنسى .

L. Boovat, Les Barmecides, Paris 1921.

للمعتقدات الدينية للآريين الايرانيين كان نابعاً منهم أو كان بتأثير معتقدات أجنبية عليهم . وهنا يجب أن يؤخذ فى الاعتبار ـ بالنسبة للمذاهب الأجنبية ـ أن كل شعوب آسيا الغربية وأفريقيا الشمالية باستثناء شعوب بنى اسرائيل كانوا جميعاً مشركين وعبدة أصنام فى العصور الموغلة فى القدم ، ويستفاد من التاريخ أن السومريين والأكاديين والكلدانيين والآشوريين والفينيقيين والمصريين كانوا يؤمنون بآلهة متعددة ويعبدون تماثيلها . لذا فمن غير الممكن أن يكون لهذه العقائد تأثير فى رقى عقيدة الآريين وتطورها . وليس من الممكن كذلك أن يكون اليونان والرومان اصحاب تأثير ، ذلك انهم كانوا مشركين ايضاً ، بصرف النظر عن وجود بعض الحكماء والعلماء عندهم . وحتى عندما قدم الاسكندر الى ايران ، فقد كان اليونانيون والمقدونيون ينظرون الى معتقدات الايرانيين القدماء على انها افضل من معتقداتهم ويحترمونها .

ومن ثم ، فإن الديانة الوحيدة التى يمكن أن يكون لها تأثير فى رقى عقيدة الآريين الايرانيين هى ديانة بنى اسرائيل التى قامت على التوحيد الصرف . ولذا يجب البحث حول رقى معتقدات الآريين ، وهل تأثرت بديانة بنى اسرائيل أو تأثرت بنـــواحى أخرى . وخلاصة مايستفاد من دراسات الباحثين هو أنه لم يكن هناك تأثير لدين موسى . وان رقى المعتقدات المذكورة كان نابعاً من الآريين انفسهم . فقد وصل الآريون الهنود الى التوحيد بمفردهم رغم انه لم تكن لهم اى صلة ببنى اسرائيل . كما انه لا ترى فى عقيدة الآريين الايرانيين رسوم من الديانة الاسرائيلية .

المبحث الثالث

الأخلاق ــ العقوبات

الأخلاق :

إن الطبيعة الإنسانية فى نظر الآريين الإيرانيين عبارة عن ميدان حرب ، يتنازع فيه الخير والشر أو النور والظلمة ، وتظهر نوعية الإنسان من خوضه لتلك المعارك فى هذا الميدان . وفى عقيدتهم أن الإنسان الصالح هو الذى يتمكن من مساعدة المخلوق الخير أكثر وبطريقة أفضل ، وأن يعادى المخلوق الشرير . والأعمال التى تساعد الخير هى : بناء المنازل ، وإصلاح الأرض ، وبذر البذور بكثرة ، وحفر القنوات ، وغرس الأشجار المثمرة ، ورعاية الحيوانات المستأنسة كبيرها وصغيرها وتربيتها ، لأن هرمز يحب هذه الأعمال . ولكن هل تكفى هذه الأعمال لنجاة فاعلها وخلاصه ؟ لا ، إنما يجب على عابد الإله مزده أن يحب أقرباءه ، وأن يكون صديقا لهرمز وعدوا لأهريمن من كل قلبه حتى تكتب له النجاة . ولكن كيف تتم معرفة هذه الصفات التى يتصف بها عابد مزده ؟ يكون ذلك عن طريق الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب ، ومن تشجيعه للفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب [1] .

---

(١) الفكر الطيب ــ عبارة عن محبة هرمز والاعتقاد بأن الخير المطلق منه ، وتجنب التكبر والكفر والحسد والبخل . والقول الطيب ــ أى العبادة والامتناع عن الكذب والغش والسب والغيبة والافتراء . والعمل الطيب ــ هو أداء الطقوس الدينية ، والعمل بالتقوى ، وتأدية الصدقة ، ومد يد العون للضعفاء ، والامتناع عن ارتكاب الأشياء المحرمة .

ويكون شكر هرمز والتضرع إليه وتقديم القرابين له مقبولا عندما تتوفر هذه الصفات الثلاث فى عابد مزده ، وإلا فلن يستجاب له . ومن خصائص أخلاق الإيرانيين القدماء التى أثارت دهشة الشعوب فى القرون اللاحقة أن قيمة الأعمال ليست بالنية ، فى حين أنه من المسلم به لدينا أن الأعمال بالنيات ، لكن هذا الإعتقاد كان نتيجة منطقية لمعتقداتهم الدينية ، فعندهم أن العمل السيء عندما يقع سواء كان متعمدا أم سهوا فإنه يزيد من قوة أهريمن ويقلل من قيمة فاعله . ومن ثم ؛ فإن مرتكب العمل السيء يكون على أية حال مكلفا بالكفارة لمحو تأثير فعله ، أى أنه لابد وأن يعمل عملا صالحا فى مقابل العمل السيء حتى يقدم بالتالى عونا لهرمز .

شيء آخر سبب دهشة المسلمين وحيرتهم عندما قدموا إلى إيران وهو منع الصوم ، وقد ذكر أبو الريحان البيرونى أن كفارة الصوم للفارسى الزرتشتى هى إطعام عدة أفراد ، وهذا من معتقداتهم الدينية كذلك ، فهم يؤمنون بأن الصوم يضعف الإنسان ، فلا يتمكن من مساعدة هرمز ومخلوقاته الطيبة بالقدر الكافى .

ويتضح لنا مما سبق ذكره بإختصار أن اخلاق الآريين الإيرانيين كانت نتيجة منطقية لمعتقداتهم ، وهى مؤسسة على منفعة الإنسان . ومع هذا كله فيستفاد من التاريخ ومن دراسات الباحثين أن هذه الأخلاق التى بنيت على أصول : الفكر الطيب ، والقول الطيب ، والفعل الطيب ، كانت جديدة فى العالم القديم . وعندما قدم الآريون الإيرانيون إلى آسيا الغربية وأقاموا دولا عظيمة ، تسببوا فى نوع من الثورة الأخلاقية ، لان أخلاقهم كانت أفضل من أخلاق الأمم السابقة عليهم كالسومريين والكلدانيين والآشوريين والفينيقيين الذين كانوا يحكمون فى آسيا الغربية . ومن هنا إعتبر الباحثون إستيلاء الآريين الإيرانيين على آسيا الغربية حدثا هاما ، وإعتبروا إيران

القديمة عاملا من عوامل تطور الحضارة البشرية فى التاريخ ، مما كان له أهمية حقيقية .

العقوبات :

إعتقد الإيرانيون القدماء ـ طبقا لمعتقداتهم الدينية ـ أن للإنسان إرادة حرة وأنه مخير فى فعله ، أى أنه مخير فى أن يكون صديقاً لهرمز وتكتب له النجاة ، أو يكون صديقا لاهريمن ويكون العذاب والعقاب فى هذه الحالة من نصيبه . ووضع الإيرانيون القدماء عقوبات دنيوية على هذه الأسس :

١ — التوبة .

٢ — التزكية .

٣ — الجزاءات .

والتوبة عبارة عن الندم الداخلى للمذنب ، وهى لا تحول دون تنفيذ العقوبات العرفية أو الدنيوية ، وترجع أهميتها فقط إلى أنها تطهر روح المذنب طبقاً لما تقضى به المعتقدات الدينية ، وتمنع عنه العقاب فى الآخرة . فالشخص الذى يتوب لم يكن من واجبه تجنب إرتكاب الأعمال السيئة فحسب ، بل كان يجب عليه أيضاً عمل أعمال صالحة إزاء الأعمال السيئة التى إرتكبها .

والتزكية هى إبعاد الأرواح الشريرة عنه بواسطة الطقوس الدينية . أما بالنسبة للجزاءات ، فيجب القول بادىء ذى بدء أنهم إعتبروا بعض الجرائم والآثام غير قابلة للعفو ؛ بمعنى أنها تستوجب القتل فى هذه الدنيا ،

وتكون سببا فى العذاب الأخروى مثل أكل الجيف وقطع الطريق وبعض الجرائم الأخرى .

وكانت الجزاءات عبارة عن الإعدام فى أحيان قليلة ، والعقوبات البدنية والغرامات النقدية فى أحيان أخرى (وسنتجاوز عن شرح الجزاءات لضيق المجال هنا) .

المبحث الرابع

اللغة - الكتب البهلوية - الآداب - الخط - التاريخ

اللغة - الكتب البهلوية :

لغة هذا العصر هي اللغة البهلوية ، وقد مر ذكرها فيما سبق ، ويتضح من الشواهد أن هذه اللغة كانت مستعملة منذ أواخر العصر الهخامنشى . وعلى أية حال ، فقد كانت لغة الحديث فى عصر الاشكانيين والساسانيين ، وظلت كذلك لفترة فى إيران وخاصة فى طبرستان بعد نهاية الساسانيين .

وأول كتابة وصلت إلينا على ورق باللغة البهلوية هى للتى عثر عليها فى الفيوم بمصر ، وهى مكتوبة على ورق البردى . ويعتقد وست المتخصص فى هذه اللغة أن هذه الكتابة ترجع إلى القرن الثانى الهجرى أو الثامن الميلادى. وقد ألفت كتب العصر الساسانى بهذه اللغة ، غير أن الكتب التى وصلتنا من العصر الساسانى قليلة جداً . وينسب وست الكتب البهلوية التى بين أيدينا الان إلى قرون مابعد العصر الساسانى بإستثناء الأوستا ، ويقسم هذا العالم تلك الكتب إلى ثلاثة أقسام :

(أ) تراجم الأوستا وتفاسيرها .

(ب) الكتب التى تتحدث عن مسائل وأمور دينية ، وتشمل إثنين وثمانين كتابا أو رسالة[1] .

---

(١) أشهر هذه الكتب الدينية : (أ) دين كرت (كاردين) الذى ألف فى القرن الثالث (التاسع الميلادى) ويحتوى على التاريخ والاداب والسنن الزرتشتية . (ب) بندهشن (معطى الاساس) ويرجع الى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) (ج) داتستان دينيك (المعتقدات الدينية) وهو مؤلف فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) (د) ديناى مى نيوك خرد (عقائد روح الحكمة) . (هـ) ارتا ويرافنامك (يكتبه البعض ارته واردى ولكن وست كتبه بهذا الشكل) وهو عما أصاب مذهب زرتشت من خلل بسبب استيلاء اليونان ، وازدهاره فى عصر الساسانيين . ومن المعتقد أنه كتب فيما بين القرنين الثالث والسابع الهجرى (٩ و ١٤ الميلادى). (و) شكندكو مانيك وى جاى ، وهو فى الدفاع عن دين زرتشت .

(جـ) كتب غير دينية[1] . وهناك كتب أخرى كانت موجودة فى القرون الاسلامية الأولى وترجمت إلى العربية . ولكن لا يوجد الآن بين أيدينا شىء من أصولها أو من ترجماتها .

واللغة البهلوية كانت شائعة حتى القرن الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) ، وإستخدمت فيما كتبه الزرتشتيون حتى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) طبقا لما وجد من آثار[2]. ولا يمكن الافاضة فى القول بالنسبة للعلوم فى هذا العصر ؛ ذلك أنه لا توجد مصادر بين أيدينا . وما نعلمه هو أن أنو شيروان قد إستفاد من لجوء سبعة علماء وحكماء من الاسكندرية إلى إيران ، وأقام مدرسة للطب فى جندى سابور وتخرج من هناك أطباء ، وكذلك كلفهم بترجمة الفلسفة الأفلاطونية

---

(١) اشهر الكتب غير الدينية : (١) كارنامك ارت خشير بابكان (كتبه زالمان باوكان) ، وهذا الكتاب كتب طبقا لاحدى الروايات فى أواخر القرن السادس الميلادى ولكن وست يعتقد أنه يرجع الى القرون اللاحقة (ب) يات كار زريران (شاهنامة كشتاسب أو الشاهنامة البهلوية) وينسبها البعض الى سنة خمسمائة ميلادية (جـ) درخت أسور . (د) خسرو كواتان والغلام خادمه . (هـ) كتاب القوانين الاجتماعية للفارسيين فى العصر الساسانى . و — شطرنج نامه (كتاب) . ز — أسلوب كتابة الرسائل . (ح) نظم عقد الزواج (ط) عجائب مملكة سكستان . (ى) معجم بهلوى .

(٢) لما كنا نذكر الكتب البهلوية وهى تعد وثائق تاريخية ، فيجب أن نأخذ فى الاعتبار : أن أردشير بابكان كلف تنسر الذى كان كبير الهرابذة بجمع الاوستا ، فكتب تنسر رسالة الى ملك طبرستان جسنفس شاه (جسنفس معرب كشناسب) وشجعه على التعاون مع أردشير ومساعدته ، وقد ترجم ابن المقفع هذه الرسالة فى القرن الثانى للهجرة من البهلوية الى العربية ، وترجمها ابن اسفنديار بعد ذلك الى الفارسية فى القرن السادس الهجرى (١٢١٠ م) وضمها الى مدخل كتاب تاريخ طبرستان ، وهذا الكتاب موجود الان فى مكتب الهند بلندن ، وقد اعتبره دارمستتر أقدم الوثائق التاريخية الايرانية بعد الكتابات الهخامنشية والاوستا . (رغم أن أصل الرسالة مفقودة) .

وقد ترجم يحيى الخشاب نص ابن اسفنديار الى العربية فى القاهرة سنة ١٩٥٤ نقلا عن النص الذى نشره مجبتى مينوى .

الجديدة[1] . وأحضر برزويه الطبيب كتاب كليلة ودمنة (بيدپاى) الهندى بأمر أنوشيروان ، وترجم إلى اللغة البهلوية ، ثم ترجمة ابن المقفع إلى اللغة العربية فى القرن الثانى للهجرة ، غير أن ترجمته البهلوية ضاعت . وقد ترجم هذا الكتاب فى القرون اللاحقة من اللغة العربية إلى لغات أخرى ؛ وعثر أخيراً على ترجمة سريانية له فى أحد أديرة النصارى بالقرب من حلب . ويستفاد من هذه الترجمة أنها نقلت عن اللغة البهلوية مباشرة : أى أنها تمت فى عهد أنوشيروان . وهى غير الترجمة التى نقلت من العربية إلى السريانية فيما بعد . وكذلك ألف فى عصر يزدگرد الثالث كتاب عن ملوك ايران وأحداث حكمهم ، وهذا الكتاب كان يعرف بإسم خوتاى نامك (خداى نامه) ، ويشير صاحب كتاب الفهرست اليه ، وقد نقله ابن المقفع الى العربية ، ثم ترجم بعد ذلك فى سنة ٣٤٦ هجرية (٩٥٧ ميلادية) الى اللغة الفارسية بواسطة أربعة من الزرادشتيين من هراة وسيستان وغيرهما . وذلك لحاكم طوس أبى منصور بن عبد الرزاق .

ولم يصل الى أيدينا أى من هذه الكتب ، ويعتقد أكثر الباحثين أن الدقيق والفردوسى استفادا منها . وتدل كتابات كتاب المسلمين فى القرون الاولى للإسلام على أن الايرانيين اعتنوا منـــذ منتصف العصر الساسانى بالفنون والآداب ، وكانت هذه النهضة الادبية على أشدها فى عصر انوشيروان ، فقد ذكر صاحب كتاب الفهرست أسماء كتب كثيرة ترجمت من البهلوية الى العربية ، وكانت أصولها وترجماتها موجودة فى القرن الرابع ويصل عدد هذه الكتب الى نحو السبعين كتابا ، ويمكن تقسيمها الى خمسة أقسام حسب موضوعاتها :

١ — الطب والبيطرة .

---

(١) كان هؤلاء العلماء قد لجاوا الى ان ايران نتيجة تعصب الروم الدينى ، للبارسيين فى العصر الساسانى . ولكنهم ارادوا العودة الى الاسكندرية بعد فترة ، وقد اشترط انو شيروان فى معاهدة سنة ٥٤٩ م التى عقدها مع الروم الا يتعرض الروم لهم .

٢ — الموضوعات الدينية .

٣ — الفنون الحربية .

٤ — السياسة والحكم[1] .

٥ — القصص والحكايات الاجتماعية .

الآداب :

أما بالنسبة للآداب المنثورة ، فالإضافة للكتب التى بقيت من العصر الساسانى - طبقا لرأى بعض العلماء - ووصلت إلينا (مثل كارنامه اردشير بابكان ، ويادگار زريران ، وغير ذلك) ، تدل القرائن الاخرى على أن كتابة القصص الخاصة بالحرب والمجالس كانت شائعـــة فى ذلك العصر ، وذلك لما يلى :

أولا - كانت هناك حكايات فى عصر الساسانيين دخل قسم منها فى التاريخ القصصى لإيران مثل حكاية بهرام چوبين وغيرها .

ثانياً - بالنسبة لبعض الحكايات الخاصة بالحرب والمجالس التى كتبت فى القرون الإسلامية الأولى ، فأغلب الظن أنها كتبت فى الأصل باللغة البهلوية مثل قصة ويس ورامين ، ووامق وعذراء ، وخسرو وشيرين وفرهاد ، وزال ورودابه ، وبيژن ومنيژه ، وغيرها . كما أن قسما من الكتب التى

---

(١) هذه أسماء بعض الكتب من النوع الرابع : وصية أردشير لشابور — وصية انو شيروان لهرمز وجوابه عليها — رسالة أنوشيروان للمرزبان ورده عليها — كتاب انو شيروان الى كبار رجال الدولة فى الشكر — كتاب الاشياء التى استخرجت من المكتبات بأمر أردشير · وبالنسبة لما كتب عن السياسة وشئون الحكم : وصية انوشيروان لاهل بيته — كتاب تنسر · وسيأتى ذكر أسماء كتب النوع الخامس ·

ذكرها صاحب كتاب الفهرست (ابن النديم الوراق) يدور حول الآداب[1] .

الخط فى العصر الساسانى :

الخط الذى إستعمل فى تلك الحقبة هو المعروف بالخط البهلوى ، وكانت كتابته وقراءته أمراً غاية فى الصعوبة . ويمكن القول أن إيران الساسانية قد تخلفت بسبب هذا الخط ، ذلك أنه كان يكفى لقراءة الخط المسمارى الفارسى وكتابته معرفة إحدى وأربعين علامة أو أصل ، بينما كان يلزم لقراءة الخط البهلوى معرفة أكثر من ألف علامة ، ولا يمكن أيضاً الاطمئنان إلى أن الحروف تقرأ طبقاً الأصوات التى كانت لها أيام الساسانيين ، وتأتى هذه الصعوبة من شيئين :

الأول ـ أنه لما كان الخط البهلوى مقتبسا من الخط الآرامى ، فلا توجد علامة خاصة لأصوات اللغة البارسية (بهلوية ذلك الوقت) ، وأحيانا تدل العلامة على عدة أصوات .

الثانى ـ أنه شاع فى عصر الساسانيين إستعمال كلمات أرامية فى الكتابة ولكنهم عند القراءة كانوا يستخدمون كلمات بهلوية بدلا منها ، فمثلا كانوا يكتبون كلمة (ملكا) باللغة الآرامية ، وهى بمعنى ملك . ولكنهم يقرأونها (شاه) . وأيضاً كانوا يكتبون (من) ويقرأونها (أز) . هذا النوع من

(١) أسماء الكتب الادبية هى : كتاب هزار افسان أو افسانه (وقد تمت ترجمته الى العربية وهو الذى يعرف باسم الف ليلة وليلة) ـ كليلة ودمنة ـ هزار دستان (الالف قصة) ـ سندباد (ترجمة من الهندية الى البهلوية) ونقله للفارسية السيد العميد أبو الفوارس القناوزى سنة ٣٣٩ هـ ـ ٩٥٠ م بأمر الامير ناصر الدين ابى محمد ابن نصر السامانى رابع الامراء السامانيين ونقلة للعربية أمين عبد المجيد بدوى ونشرته بنياد فرهنك ايران بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م ـ قصة بهرام جوبين ـ أسطورة كشت وكذار ـ خرس وروباه (الدب والثعلب) ـ مشك زنانه وشاه زنان (مسك النساء وملك النساء) ـ رستم واسفنديار ـ شهر براز وابرويز ـ بينان دخت ـ بهرام دخت ـ كتاب كاروند ـ أنوشيروان ـ بهرام ونرسى ـ دارا والصنم الذهبى ـ كتاب الفال .

الكتابة كان يسمى (هوزوارش) أو (زوارش)[1] كما ذكر ابن المقفع. ويصل عدد هذا النوع من الكلمات الآرامية التى إستعملت فى اللغة البهلوية إلى أكثر من ألف كلمة . مما جعل قراءة الكتابة البهلوية صعبة الى أبعد الحدود . غير أن الكتب التى تم العثور عليها فى آسيا الوسطى باللغة البهلوية كانت خالية من الهوزوارش لحسن الحظ . وهو عون كبير للتاريخ ولعلم اللغة . وكان الزوارش شائعا أيضاً فى بلاد أخرى فى آسيا الغربية . فمثلا كان البابليون والآشوريون يستعملون فى العصور القديمة كلمات سومرية وكانوا يقرأونها بالبابلية[2] . ويستفاد مما ذكر بإيجاز أن الخط فى العصر الساسانى كان هو نفسه الخط البهلوى ، غير أن الكلمات البهلوية كانت تكتب أحيانا بهذا الخط فقط كالكتب التى عثر عليها فى آسيا الوسطى ، وأحيانا كانت تكتب الكلمات البهلوية والآرامية معا وهى التى تسمى بالزوارش . وعلى أية حال ، فالواضح أن لغة النقوش والكتابات كانت هى اللغة البهلوية ، ذلك لأنها عند القراءة كانت تقرأ بالبهلوية دائماً . وليس الزوارش ببعيد الشبه بطريقة كتابتنا ، فإننا نكتب المائة أو الألف ونقرأها (صد) أو (هزار) . ويبدو أن علامات الخط البهلوى كانت خمس وعشرون علامة ، ولكنها كانت فى الواقع تزيد على الألف علامة كما ذكرنا .

التاريخ :

كان حساب الأيام والشهور والسنين فى هذه الفترة أو ستاتيسا ، أى أن

---

(١) ذكر ابن النديم هذه الكتابة باسم زوارشن فقال : « ولهم هجاء يقال له زوارشن بها الحروف موصول ومفصول • وهو نحو الف كلمة ليفصلوا بها بين المتشابهات مثال ذلك انه من أراد أن يكتب كوشت وهو اللحم بالعربية كتب بسرا ويقرأه كوشت •• واذا اراد ان يكتب نان وهو الخبز بالعربية كتب لهما ويقرأه نان •• وعلى هذا كل شىء أرادوا أن يكتبوه الا أشياء لا يحتاج الى قلبها تكتب على هذا اللفظ » (الفهرست ص ١٤) (المترجم) •

(٢) كانوا يقولون مثلا فى اللغة الاكادية للاب (ادا) ، ومن ثم كان يكتبونها (اد) ويقرأونها (أب) •

السنة الشمسية تقسم إلى إثنى عشر شهرا ، وكانت أسماء الشهور هى نفسها التى نستعملها اليوم . والشهر ثلاثون يوما ، ويسمى كل يوم من أيامه بإسم أحد العزتات . ويضيفون فى نهاية السنة خمسة أيام بعد الشهر الثانى عشر ، ويسمونها اندركاه . ولما كانت السنة الطبيعية أكثر من السنة الأوستائية بست ساعات تقريبا ، فقد جعلوا كل مائة وعشرين سنة سنة أوستائية كبيسة ، ويحسبون ثلاثة عشر شهرا بدلا من إثنى عشر شهرا ، مثلا إثنان فروردين وإثنان أردى بهشت ، وقس على هذا . وبهذا تتطابق السنة الأوستائية مع السنة الطبيعية . (يعتبر تفصيل هذا الموضوع خارجا عن نطاق هذا الكتاب) .

المبحث الخامس

الفنون

العمارة والنحت :

بقيت آثار لهاتين الصناعتين من العصر الساسانى هى :

١ ــ طاق بستان بالقرب من كرمانشاه ، وفيه ترى رؤوس الأعمدة التى تدل على تأثير فن العمارة اليونانية والبيزنطية . وفى هذا الموضع حفرت ثلاث صور لاشخاص على الحجر ، إثنان منهما قد طرحا شخصا على الأرض وأخذا يركلانه . ولكن لا يمكن تحديد شخصية هذا الأسير ولا شخصية هؤلاء الأشخاص الثلاثة ، وذلك لعدم وجود كتابة تبين ذلك . وفى أسفل الطاق نحتان بارزان أحدهما يطابق كتابات سابور الثانى ، والثانى لفارس (من الجائز أنه كسرى پرويز) . ويرتدى هذا الفارس خوذة مدببة على رأسه ، ودرعا على جسده ، وقد تسلح بحربة وقوس ، ويبدو من مظهره أنه من الأساورة الإيرانيين فى ذلك العصر . وقد كتبوا عن هذه الصورة يقولون : إن هذه الصورة المنحوتة جذابة ، ولا يمكن التطلع إليها والتدقيق فى تفاصيلها دون أن تصيب الإنسان بالدهشة والإعجاب. إن هذا الشخص هو أحد أساورة إيران ، وإذا كان ملكا فإنه يتسلح بنفس هذه الأسلحة أيضاً ، غير أن أسلحته تكون أكثر قيمة . إنه الفارس الذى أحرز كل هذه الإنتصارات على الروم ، واستولى فى عهد كسرى پرويز على الشام الكبرى وبيت المقدس ومصر ، وحاصر أطراف القسطنطينية »[1] .

---

(١) كليمان هووار ــ ايران القديمة .

كما يرى فى أطراف الطاق نحت حول صيد الملك . والشيء الجدير بالإهتمام هو تلك الأقمشة الفاخرة التى يرتديها الأشخاص ، وتدل على أن نسج الأقمشة قد بلغ درجة عالية فى ذلك العصر .

٢ — قصر شيرين ، أى القصر الذى شيده كسرى پرويز لشيرين السريانية ، وتدل أطلاله على أن سقف الحجرة كان مقوسا ، وقد غطيت جدرانه بالجص الأبيض ،وأقيمت أعمدته من الآجر المخروط والجص . وكان للقصر حديقة تصل مساحتها إلى ١٢٠ جريبا ، وبها أبنية متعددة .

٣ — طاق كسرى (ايوان كسرى) بالقرب من دجلة ، وهو بهو الإستقبال الملكى ذو السقف المقوس ، الذى أقيم على شكل بيضاوى . وهنا الإيوان قسم من القصر الأبيض الذى بناه أنوشيروان فى سنة ٥٥٠ م ، والإيوان (اپادن) أو قاعة العرش عليه بساط مزركش بالذهب ومرصع يعرف بإسم بهارستان كسرى . وطبقا للقرآن وكما يذكر البعض فقد كان طوله مائة ذراع وعرضه سبعين ذراعا . ويغمر الضوء هذه القاعة الكبيرة والمجالس المتعددة بها عن طريق مائة وخمس عشرة كوة أعلاها . وقد غطيت أعمدة المجالس والطاقات والجدران الداخلية لهذه القاعة بألواح فضية وذهبية منقوشة ووضع العرش فى أقصى الطاق خلف ستار . هذه الزينة الفخمة للطاق والبساط القيم وغيره ، وكذلك تلألؤ الأحجار الكريمة والأضواء التى تنفذ من أعلى إلى أسفل الإيوان ، كل هذا كان يؤثر تأثيرا غريبا على من يرونه لأول مرة . والشيء الجديد هنا هو جدران البناء التى ثبتت مع بعضها بواسطة قطع خشبية ، ويبدو أن الإيرانيين قد إقتبسوا هذه الطريقة من الروم . ويقع قبر سلمان الفارسى بالقرب من هذا البناء .

٤ ـــ طاق الإيوان (على شاطىء كرخة الذى يصب فى كارون بالقرب من شوش) : هو خرائب بناء يشبه كنائس القرون الوسطى فى أوروبا ، وقد بنيت عقوده بطريقة مدببة الرأس أو على الطراز القوطى[1]. ويبدو أن هذا البناء كان قصرا للسلطنة .

٥ ـــ جسور دزفول وشوشتر التى يبلغ طولها ٣٨٠ ذراعا وعرضها سبعة أذرع ونصف . وقد أقيمت هذه الجسور على الطريقة الرومية ، وجسر شوشتر من صنع مهندسين روميين .

٦ ـــ يرى فى نقش رستم بالقرب من تخت جمشيد عدة مجالس حجرية بارزة ترجع إلى العصر الساسانى[2].

٧ ـــ يوجد فى نقش رجب (بالقرب من تخت جمشيد) مجلس يصور شابور الاول والمكلفين بالعمل عنده فى حالة حركة . وفى هذا المكان أيضاً مجلس يبين إنتقال التاج من أردشير الاول إلى سابور الاول .

٨ ـــ توجد فى سابور (على بعد خمسه فراسخ من كازورن) عدة نقوش حجرية بارزة ترجع إلى العصر الساسانى ، ويبين مجلس إنتصار سابور الاول على والرين ، وقد نصب سابور سرياديس إمبراطورا على الروم ، ويقدم

---

(١) Gothidue أو Ogival هو أسلوب القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين فى أوروبا . ويدعى الفرنسيون أنه أسلوب فرنسا فى ذلك الوقت . وطاقات هذا الاسلوب ليست مدورة ، بل هى تشكل زاوية حادة عندما تلتقى اقسام الطاقات مع بعضها ، ولابد أن تسمى هذه الطريقة فى الفارسية باسم (بيكانى) (اى كالنصل أو كالحربة) .

(٢) (١) مجلس يبين انتصار سابور الاول على والرين امبراطور الروم . (ب) نقش حجرى بارز يصور فارسين أحدهما يقدم التاج والاخر يأخذه ، ويعتقد أن الاول هو اهورا مزدا والثانى هو أردشير الاول (ج) مجلس يبين بهرام الثانى والمكلفين بالعمل معه (د) فارسان يتحاربان ، ويعتقد البعض أن هذا المجلس يصور حرب بهرام الخامس مع خان الهياطلة ، ويرى راولين سن أن هذا الملك هو بهرام الرابع .

والرين فروض الطاعة والولاء للامبراطور الجديد وهو راكع على ركبتية صاغرا[١] .

٩ — بناء فيروز آباد (فى الطريق المؤدى من شيراز إلى دارا بكرد) ، وقد بقيت منه عقود وجدران متهدمة .

١٠ — بناء سروستان ـ وترى فيه أيضاً طاقات مازالت فى حالة سليمة ويعتقد ديولافوا أن بناء فيروزآباد وبناء سروستان يرجعان إلى العصر الهخامنشى . ومن هنا نستنتج أن الإيرانيين لم يقتبسوا فن بناء الطاقات من الروم ، بل هو خاص بهم . غير أن باحثين آخرين رفضوا هذا الرأى ، وإعتبروا البناءين المذكورين من العصر الساسانى . وقد تم إكتشاف بعض الآثار خارج إيران مثل ضرائب قصر مشيتا الذى بنى فى الناحية الغربية من بحر لوط (البحر الميت) فى الشام على الطريقة البيزنطية .

النقوش الحجرية الساسانية :

إن كتابات هذا العصر الحجرية التى تم إكتشافها وأوليت إهتماما كثيرة ولكن لما كنا لا نتمكن من الحديث عنها جميعاً فى هذا المختصر فسنكتفى بذكر بعضها :

أولا : — توجد عدة كتابات حجرية فى نقش رستم (بالقرب من تخت جمشيد) :

---

(١) المجالس الاخرى هى (أ) مجلس اخر يبين انتصار سابور على والرين (ب) صورة شخص راكع على ركبتيه بين اهورا مزدا وسابور الاول (ج) مجلس يصور منح التاج لبهرام الاول بواسطة هرمز ، ويظن البعض أن هذا الملك هـو نرسى (د) يصور بهرام الثانى وقائد جيشه الذى انتصر على العدو ، ويعتقد ان هذا المجلس خاص بالاستيلاء على سيستان . (هـ) مجلس يصور شخصا جالسا على كرسى وقد وقف على يمينه سبعة أشخاص فى خضوع طائعين ، ومن الناحية اليسرى وقف ستة اشخاص فى حالة من التعظيم ، ووقف شخص أسفل ، وقد وضع بعضهم يديه على صدره والبعض الاخر عقد يديه ، ويوجد ايضا جواد عليه سرج . ولعدم وجـود كتابة ، فلا يمكن معرفة الحادثة التى يشير اليها هذا المجلس .

١ — كتابة حجرية لأردشير بابكان باللغات البهلوية الأشكانيـــة والبهلوية الساسانية واليونانية . ونذكر هنا ترجمة لها كنموذج على التعريف الذى كان يذكره الملوك الساسانيون عن أنفسهم : « هذه صورة أردشير عابد الإله مزده ، إمبراطور إيران ذو الأصل السماوى من نسل الآلهة ابن الملك بابك » .

٢ — كتابة حجرية لسابور الأول باللغة اليونانية يعرف فيها نفسه .

ثانياً . — توجد كتابة حجرية فى حاجى آباد (تقع على بعد ثلاثة فراسخ من تخت جمشيد) لسابور الأول باللغتين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية ولم يتمكنوا من قراءة هذه الكتابة تماما حتى الآن ، ولكن بالنسبة لموضوع السهم الذى أطلقه سابور فى حضور الأمراء والنبلاء ، فإن سابور يعرف نفسه فى هذه الكتابة بأنه إمبراطور إيران وغير إيران (المقصود بغير إيران البلاد الخاضعة لإيران خارج أراضيها) .

ثالثاً : - نحتت صور سابور الثانى فى طاق بستان ، وتوجد كتابة حجرية تعرفه أيضاً .

رابعاً : — توجد كتابة حجرية فى پايكولى (تقع فى منطقة جبلية بين قصر شيرين والسليمانية) ، وهى كتابة مفصلة جداً لنرسى الساسانى كتبت باللغتين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية ، ويشرح فيها نرسى كيف أنه أنزل بهرام الثالث من على العرش واعتلاه هو ، وتعتبر هذه الكتابة أطول كتابة ساسانية ، كما أنها تعطى معلومات حول حدود إيران فى ذلك العصر .

خامسا : — كتابتان لسابور الثانى حفرتا فى الممر الجنوبى لقصر داريوش إحداهما تتناول مجىء سابور لهذا المكان ، والثانية تتحدث عن أعماله التى قام بها .

الرسم :

لم يصل إلى أيدينا أى شىء خاص بالرسم فى عصر الساسانيين فى إيران نفسها

ولكن تم العثور على رسوم فى حفريات تورفان بالتركستان الصينية ، وهى موجودة فى برلين . وتبين هذه الرسوم أتباع مانى ، وقام برسم هذه الصور الإيرانية كلها صينيون . ومن هنا نستنتج أن هذه الرسوم قد نقلت عن الرسوم التى نقلها أتباع مانى من إيران إلى الصين . وقد تقدم فن الرسم فى العصر الساسانى ، ومن المسلم به لدى أهل الفن أن الإيرانيين إقتبسوا فن التصوير من الصين فى عصر مانى وغيروا فيه ، وإنتقل هذا التغيير بعد ذلك إلى الصين وأثر فى فن الرسم الصينى ، إذ يرى بوضوح الأثر الإيرانى فى بعض الرسوم الصينية .

الشعر :

لم يكن هناك شعر بالمعنى المعروف الآن (أى النظم طبقا للعروض) فى العصر الساسانى، ولكن يوجد بالكلام الذى ينظمونه وينشدونه نوع من الترتيب أو النظام (مثلا الشعر ذو الثمانية مقاطع وأمثال ذلك)[1] .

الموسيقى : -

كان هذا الفن موضع عناية وإهتمام ، وقد بلغ درجة عالية من الرقى فى أيام كسرى پرويز . ومن أشهر الموسيقيين فى ذلك العصر : باربذ ، نكسيا بام شاذ ، رامتين .

---

(١) يعتقد كثير من الباحثين أن الشعر فى ايران قبل الاسلام كان يقوم على نظام عدد المقاطع ، ويراعى فى ترتيبها كيفية المقطع من حيث الطول والقصر ، كما يرى البعض الاخر منهم أن الوزن فى الشعر البهلوى كان يقوم على أساس كمية المقاطع ونبر الكلمة كما هو الحال فى الاشعار العامية والمحلية . (انظر فى هذا الموضوع بالتفصيل كتاب دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى ــ الفصل الاول ــ تاليف دكتور محمد نور الدين عبد المنعم ــ القاهرة ١٩٧٦ م ، وكذلك كتاب أوزان الشعر الفارسى للدكتور برويز خانلرى ــ ترجمة الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم) (المترجم) .

اللغات الايرانية القديمة وخطوطها

رغم أننا تحدثنا عن بعض اللغات والخطوط فى إيران القديمة فى مواضعها لكننا سنتحدث هنا بإختصار عن هذا الموضوع ، لأننا لم نذكر البعض الآخر:

أولا :

اللغات الإيرانية القديمة هى :

١ — الفارسية القديمة ؛ وهى التى كتبت بها كتابات الملوك الهخامنشيين .

٢ — اللغة الأوستائية ، أى اللغة التى كتبت بها الأوستا .

٣ — اللغة البهلوية ولها لهجتان : البهلوية الشمالية أو الاشكانية والبهلوية الجنوبية أو الساسانية ، ويفهم من الاسماء أنهم كانوا يتحدثون بهاتين اللغتين فى العصرين الاشكانى والساسانى . ولا نعلم يقينا أى قسم من سكان إيران القديمة كان يستعمل اللغة الأوستائية ، ولكن الإعتقاد الغالب أن الميديين كانوا يتحدثون بهذه اللغة .

واللغات التى يتحدث بها الايرانيون فى إيران اليوم مشتقة من إحدى اللغات القديمة المذكورة ، كاللغة الفارسية الحالية والكردية والبلوچية واللرية والكيلكية والمازندرانية والكبرية والسيوندية ولغة يهود إيران والنطنزية والكاشية والسمنانيه والتاتية والطالشية وغيرها ، وكذلك لغة البشتو أو البختو فى أفغانستان ولغة بخارى أو التاجيكيه فى آسيا الوسطى ولغة الاستيين فى القفقاز . وعموما فإن شعب اللغة الفارسيه المتناثرة فى تركستان (الافغانية والروسية) والپامير كثيرة[1] .

---

(١) مثل اللغة اليغنوبية والوخانية والهروية والشغنانية وغيرها .

وقد تم العثور أخيرا على آثار للغتين في آسيا الوسطى ، إحداهما قريبة من اللغات الاوربية والثانية قريبة من اللغات الايرانية ، وقد أطلق عليهما بعض الباحثين إسم اللغة الطخارية واللغة الختنية (أو الايرانية الشرقية) . وخلاصة القول فإن اللغات الايرانية كانت منتشرة من أقصى بلاد البامير حتى آسيا الصغرى ، وأن اللغة الفارسية كانت مستعملة فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) فى منطقة تمتد من اسطنبول حتى كلكتا فى الحديث والكتابة السياسية والادبية .

ثانيا ـ الخطوط :

تناولنا فيما سبق كل خط من الخطوط الإيرانية أثناء حديثنا عن موضوعات مختلفة وفى مواضع متفرقة ، ولكننا سنوجز القول هنا حول الخط الاوستائى فقط . هذا الخط مأخوذ من الخط البهلوى . وكان يكتب من اليسار الى اليمين ، ولكنه كان ألف بائيا أى أن به علامة لكل صوت من الاصوات المتحركة والساكنة . والثابت أن هذا الخط اخترع فى القرن السادس الميلادى ، وسمى بالخط الاوستائى نظراً لان الاوستا قد كتبت به ، وبناء على ما ذكرنا الآن وماسبق ذكره ، فقد كانت خطوط إيران القديمة هى : الخط المسمارى ، والخط الفارسى ، والخط البهلوى ، والخط المانوى ، والخط الاوستائى . وكذلك تم إكتشاف خط فى آسيا الوسطى يعرف الآن بإسم الخط الصغدى ؛ وهو مقتبس من الخط الآرامى ، وقد إنتشر فى آسيا الوسطى وبدل بالخط الاويغورى ، وكان الخط الاخير مستخدما فى كتابة اللغة التركية ، ثم بدل بخط المغول والمنچو ، مثلما هو متبع الآن أيضاً .

الخاتمة

نظرة إجمالية على إيران القديمة خلال أربعة عشر قرنا :

بعد أن تحدثنا عن كل ما يخص إيران القديمة خلال أربعة عشر قرنا فى هذا الكتاب ، فإن هذا يقتضى إلقاء نظرة شاملة على تاريخ هذه الحقبة الطويلة والحديث عنها بإيجاز .

إنفصل الآريون الايرانيون عن غيرهم من الآريين في وقت غير معروف ، وقدموا إلى أرض إيران تدريجيا منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وسموها بإسمهم وإنقسموا إلى أقوام وعشائر متعددة . وتبع قومان من هذه الاقوام دولة آشور وهما الميديون والفرس ، وإقتبسوا أشياء كثيرة من الآشوريين والبابليين وتعلم الميديون بعد ذلك فنون الحرب عمليا من الآشوريين وتحرروا من قيودهم بعد بذل كثير من التضحيات فى عصر هو وخشتر ، وسرعان ما قضوا على دولة آشور القديمة الراسخة . وكانت هذه الحادثة ذات طابع جديد ، إذ أنها كانت أول مرة يمهد فيها السبيل أمام الآريين للسيطرة فى آسيا الغربية . ولم يتمكن الميديون فيما بعد من مقاومة البارسيين (الفرس) فأعطوهم مكانهم . ولم يكتف هؤلاء بأن يكونوا حراسا لإيران بل أرادوا غزو العالم والسيطرة عليه . ولم يمض وقت طويل الا وصار البارسيون (الفرس) يحكمون منطقة تمتد من ماوراء سيحون وحتى الحبشة ، ومن البنجاب بالهند وحتى برقة (حتى قرطاجنة فى رأى البعض)[1] . وأسس قوروش الكبير هذه الدولة ، وجعلها

---

(١) هناك خلاف بين الباحثين حول قرطاجنة ، ويستفاد صراحة من القرائن انه قد عقد اتفاق بين ايران والمملكة المذكورة أيام الهخامنشيين ، وكان هناك نوع من السيطرة لايران على قرطاجنة تبعا لهذا الاتفاق . فمثلا كتب جوستان المؤرخ الرومى (من القرن الثانى الميلادى) يقول ان داريوش بعث باوامره الى قرطاجنة ، ليمنع التضحية بالانسان كقربان ودفن الميت ، ونفذ مجلس الاعيان فى قرطاجنة ذلك .

داريوش الكبير فى وضعها الصحيح[1] . وبتأسيس الدولة الهخامنشية حدثت أربعة أشياء لأول مرة فى التاريخ هى :

أولا :

انتصار الآريين فى آسيا الغربية بل فى عالم ذلك الزمان ؛ ذلك لأنه حتى ذلك الوقت ، وبقدر مايذكره التاريخ ، كان النصر والغلبة لاقوام لغتهم قريبة من لغة شعوب الاورال والالتائيين كالعيلاميين والسومريين والحيثيين أو قريبة من لغة شعوب سامية الأصل كالكلدانيين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم .

ثانياً :

لم تؤسس دولة عظمى كهذه الدولة حتى ذلك الحين ، اذ كانت دولة آشور أعظم دولة حينذاك قبل علو شأن الميديين ، ومن الجائز أنها كانت تعادل نصف الدولة الهخامنشية[2] .

ثالثاً :

لم يكن لاى دولة عظمى نظم ادارية كالتى كانت لايران فى عهدداريوش الاول ، ذلك أن حكام آشور وغيرهم غالبا ما كانوا يستولون على البلاد بهدف الاغارة عليها أو تحصيل الضرائب منها . ولم يضع أحد نظما للبلاد التابعة كنظم داريوش الاول . ولهذا كانت نظم داريوش الادارية جديدة فى التاريخ وأصبحت الدولة الهخامنشية أول تجربة للآريين بل للشعوب الهندو أوربية فى اقامة دول كبيرة .

---

(١) « أن را بترتيب صحيح » هى نفس عبارة كتابة نقش رستم لداريوش الاول.

(٢) لهذا السبب تعتبر الدولة الهخامنشية أول دولة غزت العالم طبقا للترتيب التاريخى .

رابعاً :

لم تكن أى دولة آسيوية قد قامت بغزو أوروبا حتى عصر داريوش الأول (سير داريوش غازيا الى تراقية وماوراء الدانوب) .

اصطدم البارسيون (الفرس) فى تحركهم ناحية الغرب باليونان وخضع لهم ثلثها ، الا أن بقية اليونان أبدت مقاومة أدت الى وقف زحفهم ناحية الغرب : لقد أراد اليونانيون بتقدمهم فى ماراتن وسالامين أن يزلزلوا حماية البارسيين للعالم ، ولكن لم يمض وقت طويل الا وكان النصر حليف البارسيين من جديد بسبب الحروب الداخلية فى اليونان . وأصبحت الدول اليونانية تسير فى فلك سياسة الآريين نتيجة ثروة ايران والنزاع الداخلى فى تلك البلاد . وقد قضى ظهور الاسكندر على هذه الأوضاع ، وبدأ الزحف اليونانى صوب الشرق ، وصارت امبراطورية الاسكندر من حيث النظم الادارية نسخة ثانية من امبراطورية داريوش مع اختلاف وهو أن استبدل بسيطرة الآريين الايرانيين على العالم سيطرة شعبة أخرى من الشعوب الهندو أوربية (المقدونية واليونانية) ؛ أى سيطرة شعوب لم تكن آرية ولكنها ذات صلة قرابة بالآريين .

إنتشرت الحضارة اليونانية فى إيران بسرعة ، ولكنه كان إنتشارا سطحياً لم يصل إلى الاعماق ، وتحرك الايرانيون بسبب الحروب المستمرة لخلفاء الاسكندر والفساد الذى ترتب عليها ، وكذلك بسبب التصرف المتسم بعدم الروية من جانب السلوقيين تجاههم . وتقدمت جماعة من الشعوب الايرانية القوية التى لم تكن قد وطأت بأقدامها حتى ذلك الحين ميدان السياسة . وطردت السلوقيين ويونانيى باختر (بلخ) من إيران . ثم تحالفوا مع الروم الاقوياء وشغلوا بتقسيم بلاد آسيا الغربية . هذه الشعوب ، أو على الاصح هذا الجيش المحارب الذى عرف فى التاريخ بإسم دولة پارت ، هو الذى تولى حماية الشرق لقرون عدة ، وأوقف زحف الروم صوبه .

وقد إتخذت إيران فى ذلك العهد شكل الدولة المتحدة ، وقامت أوضاع هناك تكررت بعد ذلك نظائرها فى أوروبا خلال القرون الوسطى .

بعد أن سد الأشكانيون الطريق فى وجه الزحف الرومى ناحية الشرق ، وأنهوا توسع دولة الروم العظيمة فى آسيا ، خرجوا من ميدان الحرب تاركين أماكنهم للپارسيين (الفرس) كما فعل الميديون ، وذلك نظراً لأنهم لم يهتموا بالنواحى الدينية عند الإيرانيين . وإتخذت الدولة الساسانية دينا رسميا ، ولم يكن لهذه الخطوة نظير فى تاريخ إيران من قبل .

لقد أراد الپارسيون فى بادىء الأمر إحياء الدولة الهخامنشية من جديد ، ولكنهم سرعان ماأدركوا أنهم يواجهون دولة الروم القوية التى سيطرت على البابليين والفينيقيين والمصريين منذ سبعمائة عام ، وكان نهر الفرات هو الحد الطبيعى بين إيران وبـــلاد الروم ، حتى أضعف كل من الطرفين الآخر ، وإستمرت الحرب بين الدولتين قرونا ، ومع وجود الحروب المتكررة والطويلة فإن الدولتين كانتا تتفقان أحيانا وتختلفان أحيانا أخرى حول تقسيم البلاد .

واجهت الدولة الساسانية ضغط الشعوب القوية المحاربة من الشمال والشمال الشرقى ، ومع هذا كله ، فقد تغلبت تماما عليها ، وإنتهى الأمر بنجاة الحضارة الإيرانية لصالح إيران . وقد بلغت هذه الدولة أوجها خلال أربعة قرون ، وأخيراً خارت قواها فى سبيل أن تكون أفضل دولة فى العالم ، ولكنها لم تتمكن من مواجهة شعوب المسلمين القوية المتحدة . ونتيجة لهذا ، أصبحت السيطرة والتفوق بيد شعوب سامية الأصل مرة أخرى وبعد إثنى عشر قرنا ونصف فى آسيا الغربية .

الأعمال التى ساهم بها الآريون الايرانيون فى بناء الحضارة الإنسانية :

يمكننا أن نستنتج منذ الوهلة الأولى أن مآثر الشعوب التى ترجع إلى أصول مختلفة وأعمالها ليس بينها إرتباط ، فلكل شعب منها تاريخ منفصل

ومستقل عن الاخر . ولكننا حينما نأخذ فى الإعتبار كل البشر وننظر إلى تاريخ الامم من الناحية الإنسانية . فإننا سندرك بسهولة أن الحضارات الحالية — مع وجود إختلافات بينها — إنما هى نتيجة أحداث وقعت فى عصور ما قبل التاريخ . أو أعمال تمت فى العصور التاريخية . وقد قدمت الامم والشعوب التاريخية التى كانت تنتمى إلى أصول مختلفة - كل أمة بدورها - أعمالا للجنس البشرى وأورثتها اياه ثم مضت . وقد أنجب الاريون الإيرانيون كذلك شعوبا عظيمة ، قامت باعمال بطبيعة الحال . ويجب علينا معرفة هذه الأعمال ، وبماذا تميزت هذه الشعوب عن غيرها من الشعوب التى كانت تتحكم فى مصير الامم ، وأى منزلة نالتها فى تاريخ الحضارة والمدنية ؟

ولكى نفهم هذه المسألة ، لابد أن نأخذ فى الاعتبار تاريخ إيران القديم ونستخرج منه كليات ، ونقارن هذه الكليات التى تم إستنباطها من تواريخ أمم العصور القديمة الاخرى ،حتى نبين الحقيقة دون إنحراف عن جادة الحيدة وإذا أردنا القيام بالمقارنة والموازنة فى هذه الصفحات ، وتسجيل النتيجة التى نتوصل إليها ، فإننا سنتجاوز الحدود المخصصة لهذا الكتاب ، لذا فإننا نكتفى بتقديم النتائج .

ومن تلك المقارنة التى تحدثنا عنها نجد أن الاعمال التى قام بها الآريون الإيرانيون والأشياء الجديدة التى أدخلوها فى العالم القديم وصارت ميراثا بشريا فيما بعد ، وأثرت فى حضارات سائر الأقوام والأمم وعلى مدى عصور مختلفة ، هى :

أولا :

تأسيس دولة كبيرة لم يكن لها نظير حتى ذلك الوقت فى التاريخ سواء من ناحية مساحتها وإتساعها ، أو من ناحية نظمها الإدارية .

ثانياً :

إدخال معتقدات أكثر نقاء وأخلاق أكثر سموا من التى كانت لدى أكثر الشعوب القديمة فى آسيا الغربية والشرق الأدنى .

ثالثاً :

إن طريقة معاملة الامم التابعة وإدارتها طبقا لأصول ومبادىء أدت إلى تقارب الشعوب ، ومهدت الطريق أمام إختلاطها وإمتزاجها معا . هذه الطريقة فى الحكم هى التى صارت بعد ذلك مثلا يحتذى لدى الشعوب التى جاءت بعد الآريين الإيرانيين ، وإستكملت فيما بعد بمرور الوقت الى أن وصلت الى أسسها الحالية .

رابعاً :

الإبتكارات التى أدخلوها على الصناعات القـــديمة فبدت أكثر رقة وجمالا .

خامساً :

تغيير الخط المسمارى الصعب بخط مسمارى أكثر سهولة ويسرا .

أما بالنسبة لموقع الآريين الإيرانيين فى العالم القديم . فمعرفته سهلة جداً وذلك بعد القاء نظرة واحدة على خريطة آسيا واوروبا وأفريقيا . فقد ربطت ايران القديمة بين آسيا الشرقية وآسيا الوسطى والهند وبين العالم الغربى ، ولما كانت الملاحة فى ذلك الوقت غير ميسرة لعدم معرفة البوصلة وأشياء كثيرة ضرورية كذلك ، فن هنا يتضح كم كانت أهمية هذا الموقع . اذ كانت ايران تقع على طريق التجارة الدولى وطريق هجرة الشعوب القوية من آسيا الوسطى الى الغرب .

ولا نعرف ماهى الشعوب التى مرت عبر ايران فى عصور ماقبل التاريخ متجهة صوب الغرب . وما نعرفه عن عصورنا قبل التاريخ هو فقط ما تمليه به أساطيرنا من حروب الإيرانيين مع الشعوب الشمالية التى أغارت على ايران ، وقد شغل فى العصور التاريخية هو وخشتر وقوروش عدة سنوات متوالية بشئون الشمال الايرانى . كما دخل الملوك الأشكانيون والساسانيون كذلك فى حروب مع الشعوب الشرقية بالرغم من اشتغالهم بأمر الروم . واذا كنا لانعلم شيئاً عن كيفية هذه الحروب . فإن هذا ناتج عن عدم وجود مصادر حول هذا الموضوع . والمعروف أن ايران نشرت حضارتها فى الشرق ومهدت سبل التجارة وقربت البحار من بعضها . ووفرت الأمن للقوافل التجارية وقربت بين الشعوب من ناحية . وأقامت سدا فى مواجهة الشعوب القوية الشمالية الشرقية والشمالية مثل شعوب السك والماساژت واليوئه چى والهون والهون البيض (الهياطلة) والخزر والترك وغيرهم من ناحية أخرى .

واذا دققنا النظر فى موقع ايران هذا ؛ فإننا سنفهم بسهولة لماذا ظهرت أديان مختلفة فى ايران . اذ لما كانت ايران القديمة تقع على مفترق طرق العالم القديم . لذا فقد التقت فيها أو على حدودها الاديان الهندية والمعتقدات الخاصة بشعوب آسيا الغربية واليونان[1] والعقائد التى نتجت عن فلسفة حكماء اليونان مثل أفلاطون وافلوطين وغيرهما . وظهرت مذاهب بسبب مراودة أتباع المذاهب والمعتقدات السابقة الذكر واختلاطهم ببعض مثل عبادة الشمس والديانة المانوية . واتخذت طابع المعتقدات الاصلية للآريين الايرانيين[2] . ولما انتشرت هذه المذاهب فى البلاد الاجنبية ، فقد انتشرت عن طريقها بالتالى الافكار والعقائد الايرانية فى شرق العالم القديم وغربه وأثرت ايران فى معتقدات الشعوب المختلفة وحضارتهم فى بلاد بعيده بطريقة غير مباشرة (مثل أوروباالغربية وأفريقيا الشمالية منناحية وتركستان والصين من ناحية أخرى) .

---

(١) خاصة بعد مجىء الاسكندر الى ايران .

(٢) تسمى هذه المذاهب فى الخارج بالمذاهب الايرانية .

هذه هى أعمال الآريين الايرانيين فى العالم القديم بشكل مجمل ومختصر .
ويفيد هذا الموجز أنه اذا كان ماقدمته هذه الامة من أعمال فى سبيل الحضارة البشرية لا يصل من حيث الكيف الى أهمية ما قدمه اليونانيون القدماء من أعمال . فإنه من حيث الكم ليس أقل مما قدموا . بل هو فى رأى البعض أكثر . ولهذا اعتبر الباحثون الشعوب الآرية الإيرانية شعوبا تاريخية .
وبناء على ماسبق . وبالنظر لما هو معروف عن تاريخ العالم القديم . فإن الامم التاريخية فى العصور القديمة طبقا لترتيب تقدمها التاريخى هى: المصريون البابليون . الآريون الايرانيون . اليونانيون والرومان . ولا يدخل الهنود والصينيون فى هذه الزمرة لأنهم يشكلون طائفة أخرى فى تاريخ المدنية .

ملحق

خاص بالأسرات التى حكمت فى إيران القديمة

ويتضمن أسماء الملوك

والوقائع الهامة للعصور والممالك

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	عيلام العهد الأول لتاريخ العيلاميين مانيشتو بؤسس حكم أسرة الكيشيين ، ويخضع عيلام للأكاديين خضوع ازان لـكود - goudéa - ملك سومر	منذ الأزمنة السحيقة حتى : ٣٢٢٥ ـ ٢٨٠٠ حوالى ٢٥٠٠
كودورنان ـ خوندى	ملك عيلام يتم الإستيلاء على مدينة أور ويحمل تمثال نه نه معه إلى شوش استقرار جاعة سامية تعرف بـ نى سين فى سومر	٢٢٨٠ ٢٢٣٥
ريم سين	يقضى على آل نى سين	حوالى ٢١١٥
	العهد الثانى فى تاريخ عيلام استقرار أول جاعة سامية فى بابل قوانين حورابى حورابى يخرج ريم سين من لارسا استقرار آل كاسى فى بابل	٢٢٢٥ ـ ٧٤٥ ٢٢٢٥ ٢١٢٣ ـ ٢٠٨٠ ٢٠٩٢ ١٧٦٠ ـ ١١٨٥

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شوتروكت — ناخون تا	يستولى على بابل ويحمل معه إلى شوش أشياء نفيسة وتاريخية من بينها ترام سين	حوالى ١١٩٠
شيل خاكين — شوش ناك	يزيد من أزدهار عيلام ، ويجدد المبانى القديمة ـ ويحافظ على الآثار القديمة ، ويصل بالآداب العيلامية والصناعات إلى الأوج	حوالى ١١٧٠
	بداية إستقلال آشور	بين ١٨٠٠ و ١٥٠٠
	ظهور الآراميين وشنهم الحملات على بابل وآشور	حوالى ١٣٠٠
	هجوم الكلدانيين على بابل	٩٧٠
	المرحلة الثالثة فى تاريخ عيلام	٧٤٥ ـ ٦٤٥
	الحرب الأولى بين آشور وعيلام فى دوريلو	٧٢٢ ـ ٧٠٥
	الحرب الثانية والثالثة	٦٨٨
ت اومان	الحرب الرابعة المعروفة بـ توليز	٦٥٩
	الحرب الخامسة	٦٥١
خوم بان كالداش	الحرب الأخيرة بين آشور وعيلام وانقراضها	٦٤٥

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	الآريون الإيرانيين	
	قدوم الآريين إلى إيران	بين ٢٠٠٠ ـ ١٤٠٠
	نقش مضيق كواى	حوالى ١٣٥٠
	ذكر إسم آماد وپارْسوا لأول مرة فى نقوش الأشوريين .	٨٢٧
	هجوم ادادنيرارى على ماد حرب تيكلات پى ليستر مع الميديين والإستيلاء على المزيد من الغنائم والأسرى من الميديين	٨١٠
		٧٤٤
	عبور جيش آشور من دماوند فى فى عهد آشورحيدبن	٦٧٤
اسم الملك	عهد الميديين (الماديون)	
ديا اوكو	يؤسس دولة الميديين ـ مدة حكمه	٧٠١ ـ ٦٥٥
فرورتيش	يحارب آشور ويقتل ـ مدة حكمه	٦٥٥ ـ ٦٣٣
هووخ شتر	مدة حكمه	٦٣٣ ـ ٥٨٤
	انتصاره فى حرب الباسكين وإخراجهم من إيران	٦١٥
	الإستيلاء على نينوا وانقراض دولة الأشوريين على يد الميديين	٦٠٥

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
هووخ شتر	الحرب مع ليديا والصلح معها موت هو وخ شتر	٥٩١ ـ ٥٨٥ ٥٨٤
ايخ تويكو	مدة حكمه هزيمة ايخ توويكو من كورش وانقراض دولة الميديين	٥٨٤ ـ ٥٥٠ ٥٥٠
هخمانش	عهد البارسين (الفرس) الأسرة المخمانشيه أولا : ملوك پارس وانزان يعتقد بعض الباحثين أنه كان رئيساً للطائفة ولم يكن ملكا	
چيش بش	كان ملكا فى پارس	حوالى ٧٣٠
كبوجيه	وكان يحكم پارس	
كورش	وكان ملكا فى پارس	
جيش بش	وكان ملكا فى پارس	
كوروش		

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كبوحيه		
كورش الكبير	ثانياً : مرحلة ازدهار پارس (فارس)	
	حكم فى انزان ثم فى جميع مناطق إيران ويؤسس الإمبراطورية الإيرانية ومدة حكمه	٥٥٩ ـ ٥٢٩
	الإستيلاء على همدان وانقراض دوله الميديين	٥٥٠
	الإستيلاء على سارد وانقراض دولة الليديين	٥٤٦
	الإستيلاء على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى	٥٤٥
	حروب كوروش فى الممالك الشرقية	٥٤٦ ـ ٥٣٨
	الإستيلاء على بابل وتتويج كورش ملكا عليها	٥٣٨
	موت كورش	٥٢٩
كبوحيه	مدة حكمه	٥٢٩ ـ ٥٢٢
	حملته الحربية على مصر والإستيلاء عليها	٥٢٦ ـ ٥٢٢
	إرسال جيش إلى قرطاجنة وغزو الحبشة	٥٢٤
	قيام برديا الكذوب	٥٢٢ ـ ٥٢١

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
داريوش الأول دارَى وهش	مدة حكمه	٥٢١ ـ ٤٨٦
	الحروب الداخلية وقلع المتمردين وقمعهم (الإستيلاء على بابل)	٥٢١ ـ ٥١٧
	الإستيلاء على البنجاب والسند	٥١٥ ـ ٥١٢
	هجوم داريوش على مملكة السكا	٥١٤
	الأثينيون يخرجون هيب بياس الجبار من أثينا	٥١٠
	الفرس (البارسيون) يستولون من جديد على تراكيه	٤٩٢
	حرب الماراثون	٤٩٠
خشيار شا الأول	مدة حكمه	٤٨٦ ـ ٤٦٥
	القضاء على تمرد المصريين والإستيلاء على مصر من جديد	٤٨٤
	حملة خشيارشا إلى اليونان ـ عبور مضيق ترموبيل ـ الحرب البحرية فى أرتى ميزيوم ـ الإستيلاء على أثينا	٤٨٠
	حرب سالامين	٤٨٠
	حرب بلاته	٤٧٩
	مقتل خشيار شا ، تولى اردوان السلطة نائباً عنه	٤٦٥ ـ ٤٦٤

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أردشير الأول (دراز دست) ارت خشتر	مدة حكمه تمرد المصريين والقضاء على ذلك اتفاقية كيمون ـ مشكلة الاستقلال الداخلي لليونانيين فى آسيا الصغرى التى كانت جزءاً من اتحاد دلوس	٤٦٤ ـ ٤٢٤ ٤٦ ـ ٤٥٤ ٤٤٩
خشيا رشا الثانى	مدة حكمه ٤٥ يوما ومقتله على يد سغديانس	٤٢٤
سغديانس	حكم ستة أشهر	٤٢٤
داريوش الثانى (داريوهش)	مدة حكمه ثورة مصر	٤٢٤ ـ ٤٠٤ ٤١٥
أردشير الثانى	مدة حكمه	٤٠٤ ـ ٣٦٠
أرت خشتر	حرب كورش الصغير فى كوناـ كسا ـ ومقتله اتفاقية آنتا لسيداس (آنتالـكيداس) وخضوع يونانيى آسيا الصغرى خضوعاً تاماً لإيران	٤٠١ ٣٨٧

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أردشير الثالث آرت خشتر	مدة حكمه الإستيلاء على صيدا ومصر من جديد	٣٦٠ ـ ٣٢٨ ٣٤٥ ـ ٣٤٤
أرشك	مدة حكمه	٣٣٨ ـ ٣٣٦
داريوش الثالث	مدة حكمه مجىء الإسكندر لإيران : حرب كرانيك حرب اسوس حرب كو كامل موت داريوش — انقراض الأسرة الهخامنشيه	٣٣٦ ـ ٣٣٠ ٣٣٤ ٣٣٣ ٣٣١ ٣٣٠
اسم الملك	العصر المقدونى والسلوكى	
الإسكندر	مدة حكمه بعد انقراض الأسرة الهخامنشيه غزو الإسكندر للهند عودة نه آرخ من الهند بالسفن اليونانية موت الإسكندر وبداية عهد :	٣٣٠ ـ ٣٢٣ ٣٢٧ ـ ٣٢٥ ٣٢٤ ٣٢٣

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	الملوك السلوكيين	
سيلكوس الأول	يؤسس الدولة السلوكية ـ بداية التاريخ السلوكى	٣١٢
سلكوس الأول	مدة حكمه	٣١٢ ـ ٢٨١
أنطيوخوس الأول	مدة حكمه	٣٨١ ـ ٢٦٢
أنطيوخوس الثانى	مدة حكمه بداية إستقلال باختر وپارت	٢٦٢ ـ ٢٤٦ ٢٥٦ ـ ٢٥٠
سلكوس الثانى	مدة حكمه	٢٤٦ ـ ٢٢٦
سلكوس الثالث	مدة حكمه	٢٢٦ ـ ٢٢٣
أنطيوخوس الثالث	مدة حكمه	٢٢٣ ـ ١٨٧
سلكوس الرابع	مدة حكمه	١٨٧ ـ ١٥٧
أنطيوخوس الرابع	مدة حكمه	١٧٥ ـ ١٦٤
أنطيوخوس الخامس	مدة حكمه	١٦٤ ـ ١٦٢

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
دمتريوس	مدة حكمه	١٦٣ ـ ١٥٠
دمتريوس الثانى	مدة حكمه	١٥٠ ـ ١٣٨
أنطيوخوس السادس	مدة حكمه	١٣٨ ـ ١٢٩
	عصر البارتيين الأسرة الأشكانيـة	
أرشك	أسس دولة پارت — مدة حكمه	٢٥٦ ـ ٢٥٣
تيرداد	حكم الدولة البارتية ـ مدة حكمه	٢٥٣ ـ ٢١٤
اردوان الأول	ضم جرجان ـ مدة حكمه	٢١٤ ـ ١٩٦
فرى يابت	مدة حكمه	١٩٦ ـ ١٨١
فرهاد الأول	شيد مدينة خارا كس فى الرى ـ مدة حكمه	١٧٠ ـ ١٣٨
مهرداد الأول	حارب السلوكيين وانتصر عليهم مدة حكمه	١٣٨ ـ ١٢٥

اسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
فرهاد الثانى	حارب أنطيوخـــوس مى دء السلوكى وانتصر عليه وأبعد السلوكيين عن حدود إيران .	١٣٨ ـ ١٢٥
اردوان الثانى	جرح فى حرب مع طائفة اليوئه چى وتوفى	١٢٥ ـ ١٢٤
مهرداد الثانى الكبير	أنزل بأقوام السك هزيمة ساحقة ، وأقامت إيران فى عهده علاقات مع دولة الروم ، وبلغ بحدود إيران جبال الهيمالايا فى الشرق وبين النهرين فى الغرب ـ مدة حكمه	١٢٤ ـ ٨٧
سندروك	مرت فترة بعد مهرداد الكبير إلى أن جلس هذا الملك على العرش فى سنة ٧٧ ـ مدة حكمه	٧٧ ـ ٦٩
فرهاد الثالث	مدة حكمه	٦٩ ـ ٦٠
مهرداد الثالث	مدة حكمه	٦٠ ـ ٥٦
أرد الأول	مدة حكمه	٥٥ ـ ٣٧

إسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أرد الأول	حرب إيران الأولى مع الروم ـ فتح حران ـ مقتل كراسوس	٥٣
فرهاد الرابع	مدة حكمه. حرب إيران الثانية والثالثة مع الروم ـ هزائم أنطونيو ـ يأس الروم من الإستيلاء على إيران ـ عقدهم للصلح الدائم معها .	٣٧ ـ ١
فرهاد الخامس	حكم حتى سنة ٢ ميلادية	السنة الميلادية
أرد الثاني	مدة حكمه	٢ ـ ٦
وانان الأول		٧ ـ ١٦
اردوان الثالث	كان ملكا على ميديا وتابعاً للپارتيين ، ثم استولى على العرش من وانان	١٦ ـ ١٥
واردان	حروب داخلية	
كودرز	» »	

إسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
وانان الثانى	حروب داخلية	١٦ ـ ٥١
بلاش الأول (ولنكش)	مدة حكمه ـ انتصر فى حروبه مع عشيرة دها	٥١ ـ ٧٧
ياكر الثانى وادروان الرابع	كان عصر الفطرة الذى إستمر حتى سنة ١٠٧ ميلادية	١٠٧
كسرى	حرب ترجان إمبراطور الروم مع إيران وإنسحابه صلح الروم مع إيران — مدة حكمه	١٠٧ ـ ١٣٣
بلاش الثانى		١٣٣ ـ ١٩١
بلاش الثالث		
بلاش الرابع	الحرب مع الروم ـ إنسحاب سبتيم سور إمبراطور الروم	١٩١ ـ ٢٠٨
بلاش الخامس	مدة حكمه	٢٠٨ ـ ٢١٦

إسم الملك	الوقائع الهامة ـ ملاحظات	السنة قبل الميلاد
اردوان الخامس	مدة حكمه مجىء كاراكالا إلى إيران ـ هزيمة الروم ودفعهم الغرامة لحكومة إيران . إنقراض الدولة الأشكانية	٢١٦ ـ ٢٢٤ ٢١٧ ـ ٢١٨ ٢٢٤
	العهد الثانى للپارسيين (الفرس) الأسرة الساسانية	
پابك	كان يحكم فى جزء من پارس (فارس)	
شاپور	كان يحكم فى پارس	٢١١ ـ ٢١٢
اردشير الأول	كان يحكم فى پارس	٢١٢ ـ ٢٢٦
پاپكان	الحرب مع اردوان الخامس ومقتل آخر ملك اشكانى حكم أردشير الحرب مع الروم	٢٢٤ ـ ٢٢٦ ٢٢٦ ـ ٢٤١ ٢٢٨ ـ ٢٣٢
شاپور الأول	مدة حكمه	٢٤١ ـ ٢٧١